

محمد أحمد مشهور الحداد

362

حَقَائِقُ تَارِيخِيَّة

عن العرب والإسلام

في إفريقيا الشرقية

دار الفتح

حقوق الطبع محفوظة

الطبعة الأولى
١٣٩٣ هـ - ١٩٧٣ م

محمد أحمد مشهور الحذاء

حَقَائِقُ تَارِيخِيَّة

عن العرب والاسلام

في إفريقيا الشرقية

دار الفتح

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

تقديم

بقلم الأستاذ الكبير : محمد سعيد العامودي

رئيس تحرير مجلة (رابطة العالم الإسلامي)

ومجلة الحج (مكة المكرمة)

إفريقية .. إفريقية !

إفريقية للأفريقيين !

إفريقية للإفريقيين.. كان هذا أول نداء يُدَوِّي في العالم في أعقاب الحرب العالمية الثانية .. وقد أصبحت بأسبابها دول الاستعمار في شبه إعياء بعد أن أناخت عليها تلك الحرب بأهوالها الجسام، وأفنت من رجالها ما أفنت، وكبدتها ما كبدت من خسائر !

إفريقية للأفريقيين.. إذن فقد آن للرجل الأبيض أن يستريح وأن يُريح.. أو بعبارة أصح لقد آن له أن يترك ما لقيصر لقيصر.. أعني أن يترك بلاد الآخرين ، بعد أن جعل من نفسه هذا الرجل « أسطورة » ثم ظن خادعاً ومخدوعاً أنه بقوة الآلة ، أو بسحر التكنولوجيا يستطيع أن يحكم ويتحكم .. وأن يطغى ويتجبر .. دون أن يجد من يقول له : قف ! لسبب وحيد ، هو أنه قوي .. أو أن الظروف التاريخية شاءت له أن يكون هو دون سواه : رب الحضارة في العصر الحديث !

آن للرجل الأبيض ، رجل الاستعمار ، والاستغلال ، أن يعود من حيث جاء بعد أن أنهكت حربان متتابعتان من قواه ، وبعد أن هزّ طغيانه شعوب الأرض ، فأثار ثأرتها وأيقظ وعيها ، فأعلنت وقد واثتها الفرصة بانتهاء الحرب . انه لا استعمار بعد اليوم !

إفريقية للأفريقيين .. كانت هذه صيحة إخواننا الأفارقة في أعقاب الحرب العالمية ! كانت صيحة أشبه بالنفير .. كانت بالنسبة لهم إرهاصاً ليقظة جديدة ولحياة جديدة .. وليس من شك في أن القارة السمراء ، إنما استجابت عن قصد أو غير قصد لشاعرها الفيتوري القائل :

إفريقية !

إفريقية ، استيقظي !

استيقظي من حُلُمِكَ الأسود

قد طال ما نمت ، ألم تسأمي ؟

ألم تملّي كَدمَ السيد ؟

قد طالما استيقظت تحت الدجى

في كوخ المُجهدِ

إلى آخر ما يقول ...



أجل إن إفريقية للأفريقيين .. منذ أن استجابت لمشاعرها .. فاستيقظت ، وأعلنت للدنيا في إصرار ، أنها بعد الآن لن تستعمر !!

وحقيقة : لقد بهرت إفريقية بثورتها التحريرية عالم اليوم !

بعد أن كان الرأي السائد - إن خطأ أو صواباً - إن هذه القارة ما زالت

في سبات ..

لكن هذا هو الذي حدث لأمرٍ شاءته العناية الله - فما ان وضعت الحرب الثانية أوزارها حتى رأينا الشعوب الإفريقية جمعاء في طليعة شعوب قامت تطالب بالاستقلال !

ونالت أكثر شعوب إفريقيا استقلالها ..
واستنشقت نسيم الحرية ، ربما لأول مرة بعد أكثر من مائتي عام ..



يا للروعة ! من كان يظن ؟ !

من كان يظن أن أحلام إخواننا الأفارقة ، على هذه الصورة تتحقق ؟ في عالم ليس فيه لغير الأقوى مكان ..

لقد ظلت إفريقيا لعشرات السنين يحكمها استعمار الغرب .. ويوم تخلص عنها لم يدع وراءه سوى شعوب مهينة الجناح .. ومع ذلك فقد هبت في وجه المستعمر .. لا بقوة سلاح .. ولا بقوة علم .. ولا بقوة مال .. وإنما بقوة إيمان ! إنها العناية الإلهية ، ليس من ريب في ذلك .. وإذا ما أراد الله أمراً هيئ له الأسباب ..



لقد نالت أكثر الشعوب الإفريقية استقلالها ، وانزاح عنها كابوس الاستعمار ، وأصبحت تمارس أمورها الآن ، وأثبتت في الواقع عكس ما كان يتوهمه المستعمر من أنها أبعد ما تكون عن الأهلية للحرية ، وعن الجدارة بالاستقلال !

نالت استقلالها ولكنها ككل أمة من الأمم تصحو بعد نوم طويل ، وبعد اضطهاد مرير وجدت نفسها منذ أن تحررت تواجه صعاباً وأي صعاب ، ومشاكل لا أول لها ولا آخر ! وجدت نفسها في قائمة شعوب متخلفة .. تعاني من الجهل وهو أعدى أعداء الأمم ، وتعاني من الفقر ، وهو داء قد استشرى في عالم اليوم

حتى في بلاد المدنية برغم التقدم العلمي ..

وأكثر من ذلك .. أعني أكثر من مشكلات الجهل والفقر، وجدت الشعوب الإفريقية نفسها تواجه أخطاراً ضخماً من نوع آخر .. إنها أخطار تعتمد الاستعمار أن يصنعها وهو يعتمد ذلك دائماً بالنسبة لكل بلد يتخلى عنه راضياً أو مضطراً .. ما من بلد من مشكلة أو مشكلات يتركها وراءه لأمر ما ..

بالإضافة إلى هذا كله .. بالإضافة إلى ما تواجه إفريقيا اليوم من تحولات الاستعمار .. أو إلى ما يحاول أن يستبقيه لنفسه من نفوذ ولو من وراء ستار .. بالإضافة إلى هذا كله ، وهو ليس بالأمر الهين .. فإن أشدّ محنة في نظر المراقبين تعانيها إفريقيا المستقلة اليوم هي بلا شك التسلل الصهيوني من ناحية، ثم تيارات اليسار من ناحية أخرى .. أجل هذان هما أشد ما يواجه شعوب إفريقيا في هذه الآونة .. وإنه لأمر واضح أن إفريقيا المستقلة لا تختلف عن شعوب كثيرة أخرى في غيرها من القارات في هذا المجال .

فإسرائيل ومن ورائها الصهيونية العالمية تحاول جاهدة أن يكون لها وجودها في أي مكان تستطيع أن يكون لها فيه وجود !

وكذلك اليسار ، أو بعبارة أفصح (الشيوعية !)

إفريقية - إذن - هي الآن أمام عدة أخطار ، كل خطر منها أكثر ضراوة من الآخر .. وهي إذن في حاجة كأشد ما تكون إلى العون والإنقاذ .

ولن يكون هذا العون والإنقاذ من غرب أو شرق .. لن يكون من موسكو أو واشنطن أو لندن أو بروكسل .. وإنما يكون هذا - وهو لا بد أن يكون بمعونة الله - من العرب والمسلمين شعوباً وحكومات ..

فإن سألت : كيف يكون ذلك ؟

قلت : إنه يكون على مراحل ، فأولاً وقبل كل شيء لا بد من المضي قدماً في إيجاد المزيد من تدعيم الصلات مع الدول الإفريقية .

وثانياً : لا بد من مساعدة هذه الدول على الإكثار من نشر المدارس الأولية نحو الأمية ، ولا بد من عمل جبار لنشر اللغة العربية في قارة عظيمة كانت منذ التاريخ القديم حفيّة بالعرب ، وأوثق القارات صلة (بالجزيرة العربية) .

وثالثاً : التبشير .. وهو ما يزال ينتشر وربما زاد انتشاراً بعد الاستقلال .. لا بد من أن يقابله في إفريقية عمل جديد يكافئه قوة وتأثيراً ونتيجة .. ولن يكون ذلك بدون الاهتمام الجاد بنشر الدعوة الإسلامية هناك بواسطة وعاظ مستنيرين يُبعثون من كل بلد عربي وإسلامي بأكبر عدد ممكن ليقوموا بتنوير الأذهان ونشر تعاليم الإسلام على أوسع نطاق .

ورابعاً : إسرائيل .. أعتقد أنه من تحصيل الحاصل أن أقول : إن دول إفريقية بأسرها لو وجدت العناية الواجبة منا نحوها في كافة المجالات .. لما استطاعت إسرائيل أن تمارس تسللها هذا المريب إلى القارة الإفريقية ..

وليس كل هذا الذي أشرت إليه سوى بعض ما يجب أن تبادر إليه الحكومات والهيئات في العالم العربي والإسلامي بالنسبة للشعوب الإفريقية ..

أشياء كثيرة جداً لا بد من أن تتحمل عبئها هذه الحكومات والهيئات بالنسبة لشعوب يعيش فيها ملايين المسلمين والعرب .. فإن لم تسارع إلى عونها كي تستطيع أن تصمد في وجه الزحف الصهيوني والشيوعي ، وهو أشد الأخطار .. وكي تستطيع أن تنهض وان تقضي على التخلف .. إن لم تسارع فلن تكون إفريقية قد رجحت من استقلالها ، وستكون النتائج كأشوأ ما تكون لا بالنسبة للأفارقة فحسب .. وإنما بالنسبة للمسلمين جميعاً .. قال رسول الله ﷺ : « مثل المؤمنين في توادهم وتراحيمهم وتعاطفهم كمثل الجسد الواحد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى » .

أما بعد، فهذه خواطر أثارتها في نفسي قراءتي لهذا الكتاب، وقد أطلعني عليه مؤلفه الفاضل السيد محمد أحمد الحداد، وجعل عنوانه « حقائق تاريخية عن العرب والإسلام .. في افريقيا الشرقية » .

هذا الكتاب بما اشتمل عليه من حقائق مستمدة من مصادر أصيلة ومن بعض المصادر الأجنبية قد عرفت منه الكثير مما لم أكن أعرف عن افريقية، وخاصة القسم الذي خصه بالذكر في عنوان كتابه وهو افريقيا الشرقية .

وهذا القسم هو الذي يشمل الجمهوريات الثلاث (كينيا ، ويوغندا ، وتنجنيقا) والمؤلف وقد أتيح له المقام هناك لسنوات ، استطاع أن يدرس هذه الأجزاء من افريقية دراسة واعية ودقيقة أثمرت هذا الكتاب القيم ، ولعله أول كتاب في اللغة العربية يوضع بمثل هذه الدقة ، وهذا الشمول ..

ولست أعلم عن كتب باللغة العربية ظهرت عن افريقية - إذا استثنينا بعض كتب الرحلات وهي غالباً لا تكون مستوفية - وإن كان هناك الكثير من الكتب صدر باللغة الأوربية في هذا الموضوع وهي كتب كما نعهد لا تخلو من تشويه للحقائق في أكثر أحوالها ولا تخلو من تعصب موروث .

وقد ذكر المؤلف أسماء بعض هذه الكتب الغربية في كتابه ، وأورد نصوصاً منها دلت على مدى ما يحمله المؤلفون الغربيون من حقد ومن أنانية بالنسبة للعرب والمسلمين .

ولقد تناول المؤلف - فيما تناوله من موضوعات - دراسة الكشف الجغرافية ، وهي التي قام بها الاستعمار في افريقية وما تمخض عن ذلك من أحداث ، كما أفاض في حديثه عن دور المسلمين العرب في الأقطار الثلاثة (كينيا ، ويوغندا ، تنجنيقا) ، وقد تحدث عن علاقة العالم العربي والإسلامي بافريقية . وهي علاقة ذات جذور بدأت من عهد بعيد وزادها الإسلام عمقاً ، وقد كانت

للإسلام أثره البعيد في توثيق الروابط بين مسلمي افريقية بصورة عامة وسائر الأنحاء في العالم الإسلامي .

كما تحدث عن الغزو الأوروبي لسلطنات العرب في افريقية الشرقية بأنواعه الثلاثة (البرتغالي والألماني ، ثم البريطاني) وهو يصف الغزو البريطاني بأنه قد قام بدور الوريث للغزو الأوروبي .

ومن الفصول المهمة في الكتاب حديثه عن الرقيق .. والدور الذي قام به المستعمر في ممارسته لتجارة الرقيق .

وهو يتحدث عن الأخطار المحدقة بالإسلام في الشرق الافريقي فيذكر أن أهمها هو الاطماع الاستعمارية واليهودية وما يقوم به التبشير من نشاطه الدائب ولا يفوته أن ينوه بالزحف الآتي من الشرق : زحف الشيوعية . وهو يفيض في هذا الموضوع ويشير إلى ما يجب أن يؤخذ به تجاه هذه الأخطار .

وهو يقول في مرارة وفي ألم : « إننا نعيش بإسلامنا في أيام خطر ومحنة وقلق - وهي أيام تقتضي توضيحات كبيرة من جانب الذين يرون الخطر دانياً - ولكنها أيضاً أيام فرص كبيرة ونواهد سانحة » .

ويستطرد إلى الحديث عن أثر الدعاية في هذا العصر .. ثم يضيف قائلاً : « .. والمسلمون جميعاً يعرفون هذا - والقليل منهم من يعمل بذلك - فيما يتعلق بنشر الإسلام ، ولنقارن ذلك كله بالإرساليات التبشيرية ومن خلفها الملاجئ والمصححات والمدارس ، وبالتالي - المراكز التي تنظم الأعداد وتهيء السبل وتستخدم من أهل الخبرات والعقول الخ .. »

ثم يقول في ختام كتابه « فعلى ملوك المسلمين ورؤسائهم وقادتهم وهيئاتهم تقع المسؤولية .. وعليهم جميعاً أن يتقبلوا راضين بتبعات الذين يحيون في هذا العصر المادي الأثيم ليحاربوا الشر أينما وجدوه ، ويدفعوا الأذى حيثما شاهدوه ، وما ذلك إلا بإقامة مراكز إسلامية في المدن الافريقية وتزويدها بالصلاحات

والإمكانات الفعالة وكذلك بعث الدعاة الأكفاء المسلمين بمجريات الأحداث وطبائع النفوس - إلى آخر ما يقوله ويدعو إليه.

وبعد،

مرة ثانية : ليست هذه سوى إلمامة عن كتاب الأخ السيد الحداد ، ولو أردت أن أمضي في الحديث عنه لما اتسع المجال .. فحسبي أن أومئ .. متمنيا لهذا الكتاب المفيد ما هو جدير به من سيورة وذبوع ..

محمد سعيد العامودي

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

تمهيد ، وتوطئة :

يشير المؤلفون في أوربا وأمريكا نقطة مهمة هي أن افريقيا ليست قارة واحدة بل هي مجموعة من عوالم مختلفة متعددة أو كما يقول النص الأوربي: يوجد افريقيتان أو ثلاث أو أربع افريقيات ، والآراء في هذا الصدد كثيرة فيقول الفرنسيون : إن افريقيا شمال الصحراء هي جزء من أوربا ، وإن افريقيا الكائنة جنوب الصحراء هي افريقيا السوداء ، ويقول الانجليز ان هناك افريقيات هي :

السواحل الشمالية ، ثم الصحراء ، ثم افريقيا السوداء ، ثم افريقيا الاستوائية ، وأخيراً جنوب افريقيا . ويرى مصدر آخر أن القارة تتكون من جزءين غير متكافئين :

الأول - افريقيا شمال الصحراء ، كانت وما زالت جزءاً من حوض البحر الأبيض المتوسط والشرق الأدنى وآسيا .

الثاني - افريقيا جنوب الصحراء وتمثل جزيرة منعزلة عن العالم القديم وتكون الصحراء حاجزاً بين الشمال والجنوب .

ونحن نرى أن مصدر القول الأخير هو الواقع الذي لا يقبل الشك وهو الحق

الذي أثبتت الأحداث وجهته السلبية، وما المصادر الأولى إلا تقسيات سياسية استهدفت أكثر من غرض نَمَّ عن أطماع استهدفها المستعمرون في القارة بأسرها، ولئن زالت كل تلك الأهداف التي قصد من ورائها تلك التجزئات أو كادت، فإن لنا من واقع افريقيا اليوم أكبر دليل على ما نؤيده ونقوله في هذا التمهيد من الحقائق!! ولكي لا نخرج عن الموضوع الذي من شأنه لفت الأنظار إلى هذه الحقائق التاريخية وأبعادها نعد مسرعين إلى الدخول في صلب موضوعنا.

إن ما يجب علينا هو أن يضع كل مسئول وكاتب ومؤرخ نصب عينيه أن المعركة التي شنها الاستعمار قديماً على ممالكنا واستهدف بحوثنا وتشويه تاريخنا في أكثر بقعة في العالم شرقيه وغربيه، هي نفس المعركة التي نعيشها اليوم، وإذا كانت تلك المعارك وعلى اختلاف أشكالها وتباين أساليبها، قد ساعدتها من قريب أو بعيد أولئك الذين اعتنقوا المبادئ الدخيلة على الإسلام أم كانوا من أعداء الدين الخفيف ودهاقنة الاستعمار والكفر، فإن الخطر الذي ينجم عن مكائدهم أمر لا بد من الإحاطة بأساليب نشاطهم فيه ولا بد من إدراك مدى فعالية هذه الأساليب مع تقدير النتائج المحتملة ووضع الخطط الناجمة لدرئها واتقاء شرورها.

وإن أي جهد يبذل من أجل الإسلام، هو خدمة للإنسانية نفسها وهي أحوج ما تكون إليه، وإن مئات الألوف من البشر الذين يؤمنون بالإسلام وملايين أخرى يدينون به ويشغلون حيزاً كبيراً من أرض الله الواسعة في الشرق الافريقي محتاجون - وقد أفلت شمس الحكومة الإسلامية العربية من آفاقهم - إلى من يزيدهم علماً بالإسلام وتبصراً به وهم من جانبهم مستعدون لأن يكونوا جنود هذا الدين وأنصاره المخلصين وإن يدخروا وسعاً في إعزازه وتأييده ومناصرة كل من يمد يده إليهم في سبيله.

وأجزم بالقول وعلى ضوء ما قمت به من دراسة للوضع والمجتمع الإسلامي في خلال سبع سنوات خلت كنت فيها مدرّساً في المدارس الحكومية الافريقية

والأوساط الشعبية أيضاً أن هذا الوقت وهذا الوقت بالذات هو أنسب الأوقات للنهوض برسالة الإسلام في هذه الديار الأفريقية ، وأن أي جهد يبذل لا يقل في قيمته عن جهاد الدفاع الحربي الذي قام به أبطال الإسلام ودعاته في العصور القديمة بالديار الأفريقية الشرقية منها والغربية ، وأن أي جهد يبذل في هذه السبل هو جهد عظيم يباركه الله ويثيب عليه أجر ثوبه .

وإذا كان الإسلام بأصالة عقيدته جد قوي فالقيام به في أقطار أفريقية الشرقية يتطلب من العبء ما لا يطيقه فرد أو أفراد - ومما لا مشاحة - فيه أن جهد الأفراد أضعف من أن يحتمل النهوض بأمر خطير على الأعداء وعبء كبير على مخططات أطماعهم .

ولقد تمخضت عن أحداث وأحداث وكان نصيب الإسلام وأهله أن خضدت شوكتهم وشلت حركتهم بعد أن عصفت بتلك الأقطار عواصف هوجاء سياسية واقتصادية فلم تدع فيه ساكناً إلا حركته ولا أمراً قائماً للمسلمين إلا جرفته وذلك بما جندته وأعدته من فن وتمثيل وصحافة وإذاعة وما خططته من تعبئة الزارع والصانع والتاجر والمدني والعسكري والمحارب والطفل والشاب والكهل والشيخ حتى لم تدع أحداً في تلك الأقطار ذاتها يفكر إلا فيها ولا يشغل إلا بها ولا يعمل إلا لها حتى أصبحت المحرك الأول والأخير للقضاء على الإسلام وأهله .

ولم تتوقف يوماً بما كل هذه القوافل لحظة واحدة عن السير منذ أن أعلنت التعبئة بالقضاء على الحكم الإسلامي العربي وأهله وهي اليوم وقد دحرت رجال الحكم الإسلامي العربي وشطبت أسماء وجودهم هي أشد ضراوة منها بالأمس .

فالمسيحية ومذاهبها المتعددة .

واليهودية وأطباعها البعيدة المدى .

والشيوعية الملاحدة - والقاديانية الضالة - والبهائية - والماسونية ، كل هذه

في نمو مطرد وكلها تحارب الإسلام وأهله وقد سبقت من حيث العون المادي
والمعنوي كل هذه « المسيحية » .

وحيثي قولاً :

إن كل دولة وهيئة تتخذ كل الوسائل الممكنة لها - لترويج أفكارها والدعاية
لمذهبها - فتتشىء المراكز وتقيم المدارس وتبني الكنائس وتشيّد المصحات
والعيادات وتستغل الطاقات الفكرية بالإذاعة والنشر والصحافة .

وهي هي الجمعيات المسيحية العالمية بحكوماتها تنفق بسخاء وتعمل من غير
كلل أو ملل .

والصهيونية العالمية تعطي من غير تردد وتدعو مستجلبة مستنفرة .

والشيوعية الملاحدة تدفع من غير قيد ، والقاديانية المذبذبة تابعة بإتفاقها
سبيل أولئك ، وإني أقولها بحق بغية الوصول الى نصرته ، نعم أقولها صريحة
من واقع أقطار يعيش فيها قرابة عشرة ملايين مسلم - معظمهم بدائيون - إن دول
الإسلام وعلماء الإسلام وقادته وحاملي مشاعله وفي شتى أقطار المعمورة لم
يدركوا شيئاً بعد من هذه الحقائق إلا ما ندر مما يلاقيه الإسلام وما يخبتأ
ويخطط له في هذه الديار .

فهذه معالم الإسلام في افريقيا الشرقية تنمحي يوماً بعد يوم ، حكومة إسلامية
بعقيدتها ودستورها وعلمها شطبت تماماً من الخارطة ، إنها زنجبار^(١) والبقية الباقية
من أهلها وبنيتها كلها ازداد رشق المغرضين بسهامهم الى صلب عقيدتهم كلها انكمش
أهله وانطوا على أنفسهم - فهل قدّر المسلمون لهذا أي شيء - وماذا عملوا
أو فعلوا لما مضى وانقضى .

لقد صارع الإسلام في الشرق الافريقي منذ قدمه عدة جيّهات ، وكلها حملت له

(١) نتيجة لما أريد بها تدريجياً من الاستعمار منذ القرن التاسع عشر .

في طياتها من المخططات القاضية ما لا يقاس أثرها باتساع ميدانه وانتشار مجاله ، ولو أن الاستعمار وأعوانه والكفر وأشباعه قد عودونا على النزول في معركة سافرة مع الإسلام بالوسائل المكشوفة لكان الأمر على المسلمين المخلصين ، ولسهل دحرهم ورد كيدهم على نحورهم لأن ميزة الإسلام هي الحجّة الدامغة والبرهان الساطع الذي لا يحدده العقل ولا ينكره المنطق السليم ، بل إن هذا من شأنه أن يحدد في أقرب وقت مصير أية معركة يدخل فيها الإسلام مع الاستعمار والكفر بعدته وبعده أنصاره .

بيد أن الذي ألفتناه من مكائد الاستعمار هو التجاؤه للخديعة وللؤامرات الخاسئة واعتماده على الأساليب المضلّة - ولهذا فإن دفاعنا عن حقوقنا وعن إسلامنا وعن ممالكنا قد يزداد تعقيداً لأننا لا نؤمن خديعته ومكره إلا بعد أن يسلبنا ما يشاء ويختار ، وإلا بعد أن نتقبل الجزاء - جزاء الغفلة راضين مقتنعين منها بأحلام الاستعداد بحولة أخرى هي والله حلقة من جولات لا يعلم مداها إلا وحده .

وأخيراً وليس بآخر إننا جميعاً مدعوون ومفتقرون في هذه الظروف العصيبة التي يمر بها العالم العربي والإسلامي إلى تعزيز روح التضامن الإسلامي ، وتقوية أواصر الصلات والتعاون الأخوي بإخوة لنا في الدم والعقيدة لنصمد أمام أي تيارات من نوع جديد ، أو على منوال سير قديم تتآمر على سلامة الكيان الإسلامي المجيد والتي تعمل كادحة لتحديد نطاقه وإيقاف انتشاره بما ابتدعته من أساليب مضلّة قد أصبح وباً للأسف بعض من يدعون الإسلام عمادها ودعامتها وكلنا يعلم أن الحكم الإسلامي في الشرق الأفريقي كان إلى ما قبل ربع قرن مضى وما بعده بعدة سنين أميناً في سيره قوياً بعض الشيء في إرادته وبسطته ومضى موكبه تشفعه العيون الساهرة من أبنائه ويأبى الاستعمار إلا أن يخطط من معنويته في نفوس أهله ومعتنقيه فأنكشف أول ما انكشفت مؤامرة الاستعمار في تنصير الظهير البربري بأفريقيا وسلب الحق الكامل للسيادة الاثيوبية الارترية

ثم جعل الحكام وبطانة التنفيذ للمسيحية علاوة على خطط من الدسائس التي تبسّت واضحة في المراحل الأخيرة وكان من شأنها أن أودت بالحكم العربي الإسلامي من جذوره وكان ما كان لهذه المؤامرات الشنعاء من صدى واسع النطاق في كل من الأوساط الإسلامية الأخرى في إفريقيا بالذات وفي غيرها .

ومضت الأحداث بين مدّة وجزر ولم تكسب الشعوب ولا الحكام المعزولين أي نصر ، لماذا ؟

سؤال نترك جوابه لأحداث الزمن وعوايده ، أو باختصار :

أولاً - لأنها لم تلق من خارج ديارها من إخوانها المسلمين أي مؤازرة معنوية أو مادية .

ثانياً - الاستعمار نفسه الذي مهّد لذلك قد بذل كل جهوده في زيادة ضرب الخناق والحصار والدسّ والخديعة وشراء الضمائر أحياناً ، وقد كانت أسباب الإخفاق ترجع على الغالب للبعد السياسي المشين في خطوات السير للحكام يومئذ . وهكذا نفّذت خطوات الاستعمار ومخططاته الواحدة تلو الأخرى حتى تقلّص الحكم العربي الإسلامي من جذوره ولم يبق لبنية البالغين قرابة ٧٠٪ من مجموع سكان الشرق الإفريقي أي في كل من الدول الثلاث : تنزانيا - كينيا - يوغندا أي سلطة تذكر أو مجد يخلد .

المؤلف

م. ا. الحداد

حقائق تاريخية عن العرب والاسلام في الشرق الافريقي

فترة الكشف الجغرافية :

إن لإفريقيا تاريخاً طويلاً قبل فترة الكشف الجغرافية - ويتسم هذا التاريخ بقيام حضارات وظهور ممالك وإمارات عديدة ، ولقد تناول مؤلفون عديدون هذه النقطة بالذات وأوضحوها ونشروا أجزاء كثيرة من حقائق هذا التاريخ ومعالم هذه الحضارات .

وكان هذا في معرض الدفاع ودحض كثير من الأكاذيب والخرافات التي روجها الأوروبيون - من أن إفريقيا ليس لها تاريخ قبل وصول الرجل الأبيض وبدء الاستعمار الحديث - وأن إفريقيا لم تمنح التطور الحضاري العالمي شيئاً من ذاتها ومن ابتكارها - وقد تصدى لمعارضة هذه الأفكار وتباين ما فيها من أخطاء جملة من المؤلفين فبيّنوا ما تهدف إليه من أغراض سياسية أو عنصرية .. وأولهم : الدكتور « دي جرافت جونسون » وهو عالم إفريقي من غانا فقدّم من الأسانيد التاريخية منذ قدماء المصريين في حوض النيل - ثم الإغريق والفينيقيين - والرومان - ثم العرب سواء كان في الشمال من إفريقيا حتى منابع النيل ، أم في الساحل الشرقي لإفريقيا حتى الساحل الغربي للقارة .

و كثير من المراجع الموثوق بها في تاريخ افريقيا تبدأ من حضارة قدماء المصريين وتروي تاريخ غرب افريقيا وشرقها خاصة بعد أن دخل الإسلام القارة واستوطنتها القبائل العربية — والمتوافر لدينا من المعلومات قديماً وحديثاً تدل على أن مجموعة عربية قد أقامت مدناً وشيّدت حضارة في الشرق الافريقي توالى الأعصر فطمست أكثر معالمها حتى لم يبق منها إلا بعض ما توافرت عليه نصوص الحفريات حديثاً مما سنبينه في تضاعيف هذا الحديث وما سيتبعه إن شاء الله .

العرب في الشرق الافريقي قبل الاسلام

لقد كانت مناطق الشرق الإفريقي معروفة للعرب قبل الإسلام وقبل أن يعرفها الغرب بعدة قرون. وقد أثبت ذلك أكثر من 'منصف غربي'، ومن أولئك الكاتب الانكليزي المشهور «ستانلي» في قوله الغريب: «إننا الآن نكشف ما كان معلوماً عند الخلفاء والباطالسة والفراعنة قبلهم وما حفظ في آثارهم التي توارثها الخلف عن السلف حتى اتصلت بجغرافيا العرب في زمانهم - ثم عفت آثارها - وطمست أخبارها فكشفناها في زماننا .. أجل لقد عرف العرب افريقيا قبل الإسلام ومن لدن عدة قرون خلت - عرفوها قبله بخمسة قرون وقد قال المؤرخ الكبير «بطليموس» : إن العرب في النصف الثاني من القرن الأول للمسيح كانوا قد بدأوا يتجرون مع شرقي افريقيا ، ويصلون بقوافل تجارتهم إلى حدود (الموزنبيق) . وقال في موضوع سياق طويل : إن ازدهار التجارة العربية قد ازداد بعد ظهور الاسلام في شرقي افريقيا ازدياداً عظيماً حتى انقلبت في نحو القرن الثامن للمسيح استعماراً حقيقياً ، وتأسست في نحو القرن العاشر «مقديشو وبرأوا» وفي سنة ٩٧٥م جاء الفرس من شيراز وأسسوا «كلوا» وتوغلوا في السواحل إلى روديسيا طالبين الذهب وانتشروا على طول الساحل الشرقي ، ووصلوا إلى مقديشو - وبرأوا - وماليندي - وتونغوني - وزنجبار - وبيمبا - ومافيا - وغيرها ، وقد وجدت إمارات فارسية صغيرة بين الامارات العربية .

ولما ورد البرتغاليون تلك الجهات في مطلع القرن الخامس عشر وجدوا فيها
المدنية الإسلامية مؤسسة مؤثرة . ولم يقتصر هؤلاء العرب والفرس على التجارة
في أعمالهم هناك بل اشتغلوا بالزراعة وعلموا غيرهم وغرسوا عدداً لا يحصى من
أشجار جزيرة العرب وفارس؛ منها الرمان والاترج وقصب السكر وأدخلوا
زراعة القطن والسهم الهندي والبهارات الهندية والأرز وأتوا بكثير من حيوانات
بلدانهم ، ولقد كانت (كلوا) في تنجنيقا ، و (غيده) في كينيا أكبر مدن
شرقي افريقيا قديماً الآهلة بالسكان والأكثر ازدهاراً وازدهاماً بالعرب . وبقيت
المدنية العربية الإسلامية قروناً طويلة محصورة في شواطئ السواحل ، لكنها
في القرن التاسع عشر أدخلها العرب الأجداد من أهل عمان الى الداخل .

حفريات تكشف حضارة عربية إسلامية

ولقد تمت بعض الحفريات وكان آخرها في عام ١٩٥٩م ولم تنته بعد على الساحل الشمالي لإفريقيا والذي يمتد من الساحل الجنوبي لمدينة ممباسا ، كشفت الحفريات وبالذات في المدينة العربية القديمة (غيده) فوجدت بعض المنشآت الإسلامية من بينها منازل مستطيلة من الحجارة تدور حول حصن ترتفع جدرانها لارتفاع ١٦ قدماً ، كما وجدت محكمة شرعية بها عدة دواوين وبقرى المساجد وآبارها كما وجدت بعض الكتابات بالخط الكوفي وكذا مؤن خزفية من صنع عربي ، والمدلول التاريخي الذي يرجع تاريخه الى ٨٠٢هـ هو ضريح خارج السور لهذه المدينة وقد دلت المباحث من أن بناءها قد أعيد في القرن الخامس عشر الميلادي بالرغم من أن بعض الأسوار والآبار يرجع تاريخها الى القرن الثالث عشر الميلادي ومما يلفت النظر هو أنه ليس هناك أية دلائل أو تعريض في قرارات البرتغاليين المحتلين تدلنا على غيده - أو عمرانها - والمحتمل أنها كانت إبان احتلالهم لما ليندي وجعلها مركزاً لهم في غضون ١٥١٢م و١٥٩٣م أطلالاً .

وكشفت الحفريات في Sangeyakata جنوبي مدينة (كلوا) بتنجنيقا وعلى بعد ٦٠ كيلومتراً من هذه المستوطنة العربية القديمة برجاً مغطى من الحجر الرملي ، كما وجدت الحفريات في المدن المهجورة شمال شرقي الصومال ما يقرب من ٣٠٠ منزل وهيكل قديم ، ووجدوا أيضاً في غرب كينيا وشمال وجنوب

تنجنيقا آثاراً زراعية وشبكة من الطرق وحفر للري والصرف وكل هذا يدل على آثار حضارة عربية تطورت في تلك المناطق ردها من الزمن حتى ضاعت مع الأيام وأصبح شأنها شأن الحضارات التي سادت ثم بادت .

ولقد حدثني العالم البحاثة « كوكنيت » مدير عام متاحف الآثار والتنقيبات بمباسا - كينيا - قائلاً : إن الحزام الساحلي ما زال يكتنف الكثير والكثير من الحضارة العربية الإسلامية ، ويرجع في حديثه أن آثاراً عظيمة ستكشفها البحوث في كل من القرى الإسلامية الساحلية - جنوبي خور ممباسا - وعلى أية حال فإنها اليوم وقد وجدت من يبحث عليها وينقب وراءها ليسجلها في سطور التاريخ لتدل دلالة قاطعة على أن أرض شرقي افريقيا قد دخلت من باب التاريخ العربي والإسلامي قبل وصول الأوروبيين إلى البلاد بقرون وقرون وستدخله مرة ثانية بفضل التضامن الإسلامي السائر في دربه - والتاريخ يعيد نفسه !

. . .

وقد تشممت القارة الافريقية بأسرها أريج الإسلام إبان اجتياح العرب شمال افريقيا وقرنها محولين السكان المحليين إلى عقيدة الإسلام . ففي الشرق من القارة أنشأ العرب امبراطورية « زيلع » بين الأرض الحبشية العالية وبين البحر ، وقد استمر نفوذهم للجنوب من هذا - في كينيا - وتنجنيقا - قائماً على الساحل الشرقي للمحيط الهندي وقفاً على الأرض في جوار الماء .

ويعتبر دخول الإسلام في افريقيا بأسرها أحد المنعطقات التاريخية الحاسمة في حياة القارة على حد قول مؤلف كتاب « تاريخ استعمار افريقيا » السير « هاري جنتسون » فقد تغير تاريخها واتخذت ملامحها شكلاً جديداً لم يكن كأي شيء حدث من ذي قبل - كل ذلك لأن العرب وبفضل عقيدة التساوي في الإسلام لم يؤمنوا يوماً ما بنظرية تفوق الأجناس ووجود جنس نقي - بل تزوجوا واختلطوا بجميع الشعوب والقبائل الافريقية .

وفي يومنا هذا نجد آثار الاختلاط والتزاوج والتداخل ظاهراً في السمات والقسمات - واضح في أكثر القبائل الأفريقية - ففي المنطقة الشرقية الواسعة وعلى امتداد الساحل الشرقي لبحر المحيط الهندي تعيش عدة قبائل مسلمة مزدوجة أفريقية وعربية أهمها مجموعة قبائل « الوديغو Wadegu » والتي تمتد رقعة أراضيها ألفاً ونيّف كيلومتر مربع وكلها أرض خصبة جبلاً وسهلاً - تتلوها من حيث العدد قبيلة الاثني عشر طائفة - السواحلية - ثم قبيلة « الباجون Bajun » وهكذا دواليك - ناهيك بالآلاف المؤلفة ذات الأزواج المثلث - الأفريقي - العربي - الشيرازي في كل من زنجبار - بيمبا - دار السلام - وعلى الرغم من كل هذا فالمؤسف جداً أن الكثير من كتاب الاستعمار للتاريخ الأفريقي - قديماً وحديثاً - قد حاولوا وبكل أساليبهم الملتوية إخفاء هذه الظاهرة فشوهوا ما ائتمنوا عليه من الحرص على معالم ذمة التاريخ .

وهب كل كاتب منهم يستفرغ في قالبه التاريخي كل ما تحمله طاقة أذهنه من الحقد والكراهية تنديداً وتشنيعاً بالإسلام وأهله ، فلم يُظهروا العربي تجاه النظر الأفريقي القديم أو الحديث إلا بمظهر المستورد والمصدر « للرقيق » وقد أحدثت هذه الغمزات التاريخية واقعاً مرأوساً وسببت الكثير والكثير من الإحراج والشعور بالكربة عند العربي والإفريقي على حد سواء ، بالإضافة إلى خلقها عقدة نفسية عند الأفريقي تجاه العربي .

والحقيقة التي لا مناص لأحد من التملص منها هو أن كلا الجنسين قد مرت بهما فترات أحداث وأحداث لا داعي لذكرها - لولا أن الاستعمار والكتاب الحاقدون على الإسلام وأهله كانوا وما زالوا يغذون هذه اللمة أو الغمزة التاريخية ويشيرونها في مؤلفاتهم العديدة كلها لاح لهم تقارب الأفريقي - العربي ، وبين يديّ لأن مجموعة من الكتب التي أسهبت وأطنبت في تلك الغمزة التاريخية ، غير أنني سأترك الخوض نحوها والتصدي لها حتى حين آخر إن شاء الله .

لمَ ظلَّ التَّعَرُّكُ الإسلامي في الساحل الشرقي ؟

لقد كان الساحل الشرقي منذ أبعد العصور ، أبعد أمناً وأسرع نجدة ، حيث لم تخلو موانئ شواطئه من السفن الشراعية العربية التي كانت فيما مضى تمخر عباب المحيط الهندي إلى الجزيرة العربية والخليج ، وعلى طول فصول السنة مها كانت الرياح البحرية شمالاً أو جنوباً - وهو أيضاً كوسيلة علمية دقيقة للسفر والرحلة عن الطريق البري - ذلك لأن الأهوية والرياح 'تعاون على قطع الطريق' ، وبذلك ندرك أن انتشار الإسلام في الشرق الأفريقي من القارة الأفريقية كان مصدر بعثة من العرب الأوائل المهاجرين من الجزيرة العربية ومنطقة الخليج الذين وفدوه بسفنهم الشراعية ، وأولئك الأوائل هم الذين كوّنوا الإمارات الإسلامية في شرقي أفريقيا وصمدوا بعدها أجيالاً إزاء هجمات المسيحية والوثنيين والاستعمار.

مصدر انتشار الاسلام

غير أن انتشار الإسلام بصورة تثير الدهشة والاستغراب قد كان نتيجة للدور الخطر الذي لعبته الهيئات الإسلامية الوافدة من عدة جهات عربية وإسلامية - في السيطرة على توجيه الإسلام في شتى بقاع إفريقيا (الحضراء) والمرجح أن بذرة النواة للدعوة القوية التي انتشرت في ربوع الشرق الإفريقي إنما كانت من قبل الوافدين من جنوب الجزيرة العربية وبالذات - حضرموت - وذلك أن المذهب السائد في كل الطوائف التي تحدثنا عنها سابقاً وملايين غيرها هو المذهب الشافعي ، ومن العسير أن تعثر على شخص إفريقي مسلم يقلد مذهباً إسلامياً غير المذهب الشافعي - بله هو ما ندر .

ونحن هنا حينما نعى بذكر المذهب لا نقصد به تعصباً لمذهب دون آخر ، وإنما نقصد أن اندلاع انتشار الإسلام وبالذات في الأقطار غير الإسلامية قد تأثرت بيماتها بالدعاة المقلدين لمذهب ما - إذاً فالأمر هنا حتمي في منزع التقليد وهو هنا حجة ثابتة لمصدر الانتشار والبرهان للإسلام في تلك الربوع النضرة !!

غير أن بعض المصادر الأجنبية تختلف في ذلك - وليس من الحق في شيء إذا صدقنا تلك المصادر الأجنبية التي لم نثق فيما تنقله أو ترويه - وبدهي أن الروايات الفردية المجردة المبتورة عن ملابساتها - لا يجوز - أن يفهم منها تاريخ

ولا أن ينتزع منها قضايا وأحكام - بل أقول هذا متحدياً أولئك الذين تصدوا
لكتابة التاريخ عن دخول الإسلام في الشرق الأفريقي - حيث يعزوه مرة إلى
أشخاص وفدوا من الخليج الفارسي - قديماً - وأخرى يقولون بل من أشخاص
وفدوا من الهند - والأمر الواقع هو أن الصواب قد أخطأهم - وإلا ماذا عسى
أن يكتبوا للتاريخ - لو أن أحدهم ألقى قبل أن يكتب نظرة فحص وتدقيق -
أو سبحة فكرة يستخرج من مظانته ما يجب أن يكتب للتاريخ وبالذات
لأفريقيا الشرقية لأن أكثره - أو معظمه - قد ألقى من الضياع ما لا يحدث
لغيره - حتى أصبح مظنة لا يهتدي المؤرخ أو الكاتب لحقيقة ما عسى أن يكتبه
عنه حتى يبني ما يكتبه على ضوء ملابسات مرت بها أحداث التطور والارتقاء
لحد ذات التاريخ - لاتجاه ما يكتب للتاريخ الإسلامي في أفريقيا الشرقية فحسب ،
بل في كل مكان من موزنبيق - ومدغشقر - وجزر القمر - والكونغو بقسميه -
فأفريقيا الشمالية وما جاورها .

.. ثم ما ظنهم بتلك الجنود المجندة من لدن قرون خلت في كل من جزائر
الشرق الأقصى في سيليبس ، وبرنيو ، وسومطرا ، وجاوا ، وملوكو - مفتاح
الهند الصينية ؟ ماذا عسى أن يكتبوا لو تراثوا قليلاً قبل أن يخطوا شيئاً ،
لأدركوا أن الإسلام إنما دخل في كل هذه الأقطار - بالحضرمي - ابن الجزيرة -
الذي كان ولا يزال حلف أسفار وركاب أخطار وأبعد الناس منتوى وأقصاهم
رحلة - هذا على حد ما كتبه أمير البيان شكيب أرسلان - في الجزء الثالث
من حاضر العالم الإسلامي وقد كان ذلك شأن الحضارمة من قبل التاريخ ، حتى
لقد ظن كثير من المؤرخين كالمؤرخ « جيمس هنري بريستد » أن سكان مصر
القدماء ومؤسسي الحضارة فيها وبعض أهل أفريقيا الشمالية إنما جاءوا من تلك
البلاد وما جاورها . ومن نظر في الفتوحات الإسلامية رأى أنهم كانوا في مقدمة
النازحين إلى الفتوحات البعيدة عن بلادهم ، فكان سدس الجيش الذي فتح
الاسكندرية من المهرة كما أنه قد دخل الأندلس كثير منهم . وقد كان الحضارمة

في أول عهدهم منعزلين عن العالم الإسلامي لمكان مذهبهم الشاذ إلا قليلاً منهم ، وكان لا بد للحضرمي من رحلة وسفر فكان أهل الجماعة منهم يرحلون إلى اليمن والعراق والشام ومصر ، ومنهم آل التنعي الذين أوعبوا كلهم إلى البصرة ، وكان الآخرون يرحلون إلى جهات إفريقيا الشمالية ، وبرقة ، وقابس ، وبودان منهم جمع غفير ، وكانت لهم قرية تسمى (بوصى) فلما اتحد المذهب في حضرموت وذهب الخلاف عادوا يرحلون إلى العالم الإسلامي ، إلى الهند ، وإفريقيا الشرقية ، والجزائر ، الملايوية ، وجاوا ، وقد مرت بالعرب في الشرق الإفريقي أحداث قتال دامية كانت حامية بينهم وبين البرتغاليين ، وقد كان للعنانيين في تلك المنازلات القدح المعلى على الرغم من أن عملهم في إفريقيا الشرقية كان متأخراً عن عمل الحضارمة بنحو ثمانين عاماً .

وقد اثبتت المصادر التاريخية الغربية والشرقية أن العرب في ذلك العهد كانوا من الكثرة بمكان - وكانوا تجاراً قل ما يتعرضون للأمور السياسية - حتى اهاجمهم البرتغاليون بعسفهم وظلمهم - وكان العرب على اتصال ببلادهم وأخبارها - وترد إليهم في سفنهم الأنباء بأفعال البرتغاليين في بحر العرب فكان ذلك مما يزيد في نقيمتهم عليهم وتسبب عن ذلك قيام أهالي زنجبار عليهم سنة ١١١٠ فطردوهم منها وهاجت عليهم إفريقيا الشرقية وجزائر القمر واتصلت بينهم حروب زعزعوا بها مرا كز البرتغال - والقول الصراح هنا أن العرب والشيرازيين لم يكونوا جميعاً دعاة دين فحسب بل كان فيهم من يهدف إلى ذلك وإلى غير ذلك ذهب آخرون - وقد اقاموا جميعاً منذ أقدم العصور مستأنسين بعديد من الدواعي والبواعث الدافعة إلى الاستقرار فالاطمئنان .

والذي لا شك فيه أن دور العرب في نشر الإسلام لا في شرقي القارة فحسب بل في القارة بأسرها لم يلق عليه الضوء الكافي في حياتنا بعد ، ولعل سائلاً يسأل - ولم التنقيب عن هذا الدور الآن ؟

والجواب على حد قول مؤلف كتاب - انتشار الإسلام والعروبة فيما يلي

الصحراء الكبرى - الدكتور حسن ابراهيم حسن - « إنه لا يمكن فهم إفريقيا دون معرفة هذا الدور، ولا يمكن أن نقف بعيداً عن هذه القارة لأن معنى هذا أننا لا نريد فهم أنفسنا - ومعناه أيضاً أننا لا نطبق النظر داخل أنفسنا - ومن هنا تظل نظراتنا دائماً سطحية - ومغرورة وبعيدة عن القاع والجوهر وعن الطموح في الوقت نفسه .

فمعرفة دخول الإسلام وانتشاره ثمة مفتاح ضروري لمعرفة هذه القارة - لأنه أي الإسلام الشيء الوحيد الذي لا يظهر كخيوط أو خيطين في النسيج وإنما يظهر في النسيج كله .

وليس معنى هذا أننا نذهب مذهب (ت - س - اليوت) في اعتباره الثقافة الوجه الثاني للدين - ولكننا نذهب إلى أبعد من هذا - وفي أذهاننا أن شعوب هذه المنطقة من العالم لم تكن لها فلسفات ووجهات نظر محدودة كما كان الحال عند اليونان أو الإغريق مثلاً - وأنها حين اعتنقت الإسلام لم تنظر إليه فقط على أنه مجرد نور يخطف العينين إلى السماء - وإنما نظرت إليه وقد ساعدتها طبيعة الإسلام نفسه على أنه الشيء الكلي الذي ينتظم الحياة - ومن هنا نظروا إليه مرة أخرى على أنه (الفخر الوحيد) الذي يملأ حياتهم والذي لا يحكم عليهم بالقهر والسلبية أو يقف وحيداً منزوياً عن كل ما يمشی أدق شؤونهم !

... ومهما يكن من شيء فالإسلام إذا كان في بعض الدول قد وجد حضارات وفلسفات فإنه في بعض الدول الإفريقية قد وجد ذراعين مفتوحتين لكل نبضة فيه ، ومن هنا كان الإسلام في الشرق الإفريقي هو وجهة النظر الوحيدة في الحياة والذي يطل من روع المسلم ومن عينه على كل شيء حوله !!

وقد شهد له بعض أعدائه من كتاب الغرب عن إفريقيا (والفضل ما شهدت له الأعداء) فقالوا عنه: إن الإسلام دين طموح لا يقبل مشاركة من العقائد أو الفلسفات السابقة له - كما قالوا أيضاً - مفسرين عملية مضاعفة نفسه في هذا

القرن وما قبله : - إنه دين إفريقي - أو صالح للإفريقيين - ويقولون أشياء كثيرة ، ولكنهم ينسون أو يتجاهلون أنه دين يفهم الإنسان ويستطيع أن يدير كل حركاته دون أن يصيبه بالشلل أو العقم ، وأن من مقوماته الرئيسية أن يترك باباً للحرية يستطيع منه الإنسان أن يمارس قدراته السوية دون أن يحس بالضغط أو أن يعرقله أو يصادره ، ومرة ثانية نسجل لدمّة التاريخ أن انتشار الإسلام قديماً وحديثاً في إفريقيا الشرقية وإلى حوض نهر الكونغو في المنطقة الاستوائية من القارة الإفريقية إنما يرجع فضله إلى عرب الساحل المهاجرين من الجزيرة العربية .

المنطقة الاستوائية

وقد كانت المنطقة الاستوائية معروفة للعرب قبل أن يعرفها الغرب، ومعلوم أن الذي اكتشفها للغرب هو الرحالة المشهور (هنري استانلي) بعد أن ظلت مجهولة زمناً طويلاً ، إذ لم يعرفها الغربيون إلا في القرن التاسع عشر عندما نشطت الرحلات الاستكشافية ، والتبشيرية ، التي انتهت بتنافس الدول على استعمارها . وقد نهب الدول إليها «هنري استانلي» وهو الذي مكّن البلجيكيين منها وحل بها البلجيكيك يعيشون فيها فساداً ويستنزفون خيراتها سلباً ونهباً كما عملوا جاهدين على طمس معالم التاريخ العربي الإسلامي لهذه البلاد وكما هي عادتهم في كل بلد يستولون عليه وما ذلك إلا ليصنعوا هم تاريخها وينسبوا الفضل في تقدمها إليهم !!

والظاهرة التي لا بد أن يقال ، هي أنا نغفل عن الدور الذي يمكن أن يقوم به الإسلام في إفريقيا المعاصرة ، وأنا لا نسند هذا الدور بإلقاء الضوء على الدور القديم الذي قام به الإسلام من قبل في هذه القارة ، والذي قام على أسس المساواة ، وبعث القدرات والإيمان بالإنسان وهي تلك الأسس التي ما زال يعرقل خطاها الرجل الأبيض في إفريقيا حتى يومنا هذا !

ولقد اهتم الكثير من كتّاب الغرب بهذا الدور ، ويعتبر في مقدمة الذين

بذلوا الجهد في هذا المجال السكاتب الغربي « سبنسر تريمينجهام » الذي قدم ثلاثة مؤلفات مهمة لم تترجم بعد ، وهي : (الإسلام في السودان) (الإسلام في أثيوبيا) (الإسلام في غرب إفريقيا) .

والحقائق الجديدة التي يجب أن تعرف بحيث يشعر المسلم بامتداد جديد في نفسه وبأن حدوده الثقافية لا تقف عند حدوده السياسية وإنما تتخطاها وتتجاوزها في عمق وفهم وحيوية ، هذه الحقائق هي وجود أكثر من عشرين دولة إفريقية إسلامية وعربية في إفريقيا القارة .

وهل العالم العربي إلا جزءاً من إفريقيا ؟ !

فالمؤرخ « جون جنتر » في كتابه (داخل إفريقيا) يرى أن الأرقام تثبت علاقة أكبر وأعمق مما تجري به ألسنة السياسيين والمثقفين ، وهو يرى أن الأرض العربية تقع في العالم القديم ما بين المنطقة والمنطقة المدارية .

وإذا أمكن تحديدها من الشرق للغرب أو ما بين إيران إلى المحيط الأطلسي ، فإنه من الصعب تحديدها من الجنوب في قسميها الإفريقي ، لانبساط الصحراوات فيه وتداخل العرب والمستعربين مع قبائل رنجيه .

ومساحة هذا الوطن العربي لو تجمعت في دولة واحدة لكانت الثالثة في العالم من حيث الامتداد بعد الاتحاد السوفيتي ، وتكون السابعة في العالم من حيث عدد المواطنين .

وجملة مساحة العالم العربي تقاس $\frac{1}{4}$ ١١ مليون متر مربع : ٢٨ ٪ في آسيا

و ٧٢ ٪ منها في إفريقيا . وتبلغ مساحة الجزء الآسيوي : ٣٤٠، ١٣٩، ٣ كم^٢ ، والجزء الإفريقي : ٥٥٢، ٠٤٩، ٨ كم^٢ .

ويعمر الأرض العربية أكثر من مائة مليون نسمة ، ثلثهم في آسيا والباقي في إفريقيا .. وهكذا فإن إفريقيا هي الأرض العربية الرئيسية من حيث الامتداد ومن حيث عدد السكان ..

والقول إن إفريقيا الحديثة هي ما صنعه المبشرون والمستعمرون - قول غير حقيقي على حد قول الدكتور « دي جرافت جنسون » إن اندفاع أوربا نحو إفريقيا وآثار هذا الاندفاع فيما حملته من نظم واقتصاد رأسمالي، وخمور، وفساد، وسلاح، وبضائع، ومذاهب وأفكار، ما هو إلا حادث وقع، وسيكتب في تاريخ إفريقيا الطويل مجرد العبرة .. وللعبرة فقط !

أما وجه إفريقيا الحقيقي النابع من التربة بشراً وفكراً، فهو ذلك الذي قدمه الإسلام .. وما هي إفريقيا اليوم تتقدم به من غير تكلف أو تصنع، وقد كتب المؤرخون فيما نحن بصددده شيئاً كثيراً .. كتبوا الكثير المجدي حول التاريخ الإسلامي والحضارة الإسلامية في إفريقيا، وسوف يكتب الأكثر عن الدين الإسلامي - كلما زادت الرؤيا وضوحاً حول إفريقيا القارة - وأنه قد أمدّها بمشاعل الضوء في مختلف الشؤون أو كما يقول « Basil Davedson » إن حضارة إفريقيا التي ارتبطت بالعالم الخارجي (الإسلامي) حرّكتها عوامل إفريقية خلقة خالصة من بدايتها كما تشهد بذلك ممالك السودان القديمة، ومدن الساحل الشرقي العظيمة، وأسوار (زيمبابوي) وأبراجها وهي حضارة تقرر انتصار شعوب غير معروفة قامت في داخل إفريقيا وحققت ذلك الانتصار، وكانت تمثل نمواً لا يختلف في أساسه وجوهره عن نمو أي مجتمع في أي مكان آخر من العالم ..

ويقتبس : Derek Kortun ، ما ذكره Frobenius في كتابه الحضارة الإفريقية عن دهشة تجار القوون الوسطى الأوربيين عندما وجدوا بإفريقيا طرقاً معتنى بها مظلة لمسافات طويلة بصفين من الأشجار، ورأوا حقولاً مزدهرة ومدناً معمورة ودولاً منظمة وملوكاً أقوياء وحرفاً مزدهرة وصلت إلى حد كبير من المدنية، ولقد أسهمت هذه الحضارة الإسلامية بأفكارها وفنونها وآرائها في الحكم والفن في تراث الإنسانية المشترك ..

وقد قدّم الرئيس « أحمد سيكوتوري » دراسة واسعة النطاق - للحضارة

بإفريقيا الإسلامية - وسخر من الذين ينكرون حضارة إفريقية نبتت في ظل الإسلام وازدهرت بازدهاره .

.. ولولا شذرات آخر تردد عرضاً في تقارير الرحالة والمؤرخين والمكتشفين ومذكراتهم لظل أمر هذه القارة وبعض مناطقها بالذات مجهولاً لدينا نحن المسلمين ، مجهولاً لمن يريد أن يكتب عن ماضي تاريخه ، وجهلنا بماضينا التليد ماضينا المشرق أمر تلتاع له القلوب وترقاب له النهى .

فها هو الرحالة البلجيكي « فريتر فان ليندن » يستوفي في كتيب رحلته الشرح على الكنفو فيتناول في بعض لفتاته ذكر العرب ويشيد بتاريخهم الذي أهملته الأحداث فيما بينهم وطوته حيل المستعمرين ظلماً وعدواناً مما يجعلنا نعزف أو نترفع بالقلم عن التعرض لما كتبوه لا تفادياً منا لشيء ما وإنما لعلمنا أن التاريخ هو عبارة عن مجموعة من الوقائع تصاغ في بوتقة الحقائق ، لا سطور مجردة لا تحمل من الكتابة غير الكيل جزافاً بالأعالي والأباطيل .

فقال في الصفحة ٢٦١ في بحث عن تداول الأهالي - للمسكوكات - أن أكثر الأهالي المستعربين يعرفون النقود ، وأن بخار العرب من الكاسونغو (مقاطعة) وكبار التجار الذين لهم علاقات مع زنجبار يؤثرون الذهب لا سيما الليرة الاسترلينية لأن علاقاتهم متصلة مع عرب الأوغنده ، والمستعمرات الألمانية في شرقي إفريقيا . ثم استطرد قائلاً : إن العنصر العربي لا يزال عظيماً في جهات كاسونغو القديمة ، لكن مجده الماضي قد زال والمراكز التي كانت (لموني محره) وسعيد بن عبدلي قد ذهبت !

ثم ذكر مدينة - نيانقوا - فنقل عن قائم المقام السويدي « غليروب » قوله في سنة ١٨٨٦ م أن نيانقوا ، هي مقر العرب الأصلي وهي مقسومة إلى قسمين يفصل بينهما واد عميق تكثر فيه مزارع الارز ، فإذا بلغ ارتفاع نهر الكونغو معظمه طمت المياه على هذا الوادي ، وقد ازدادت هذه المدينة من عهد (استانلي) ازدياداً عظيماً فأهلها اليوم يبلغون نحو عشرة آلاف ، وترى

على جانبي الوادي أفخر المزارع والمغارس وجميع الأشجار المثمرة المحلوقة من إفريقيا الشرقية ، كذلك العرب أدخلوا فيها المواشي والحمير الفارسة للركوب .

وقال الرحالة البلجيكي : أما اليوم فقد نزلت نيانقوا عن درجتها هذه بسبب ثورة ١٨٩٣م ولم يبق فيها إلا ألف رجل وتحولت تلك المخاريف البديعة التي كانت مصطفة بها الأشجار على ضفتي النهر إلى شعاب سطا عليها العوسج والشوك ولم يبق في نيانقوا منزل يستحق الذكر سوى بيت هذا الزعيم العربي الذي بقي أميناً للحكومة البلجيكية وحظي بمقابلة الملك في قصر « بروكسل » .

ثم في الصفحة ٢٧٤ من الكتاب ذكر المؤلف نهراً يتشعب من الكونغو وقال إن الأهالي هم من العرب والمستعربين والطراً من أماكن بعيدة ووصف العرب بالنظافة والاتقان في العمل . وفي صفحة ٢٩٠ ذكر قرية مستعربة مدحها بنظافتها وبيتن الفرق العظيم بينها وبين القرى الأخرى التي يسكنها غير المستعربين ، وشاهد فيها سوقاً مهمة تقام كل يوم من الصباح إلى نحو الظهر في ساحة القرية ووصف الدكاكين التي فيها معروضة أمامها أصناف البضائع وحوانيت الخياطين ، وباعة الخبز والخص وغير ذلك . وقال إن المستعربين رحبوا بهم ترحيباً واستضافوهم إلى منازلهم فعاجوا على معلم كتاب - بضم الكاف - أمامه جماعة من الصبيان يعلمهم القرآن الكريم !

وذكر أن سكان هذه القرية المستعربة يبلغ عددهم ألفي رجل ، وقال انه سأل المسيو (دومولستر) المندوب العام في الكونغو عن عدد المستعربين في الولاية الشرقية من الكونغو ، فقال له : لا أقدر أن أجزم بشيء ، ولكنني أظن أنهم نحو مائتي ألف !

فقال له : أفلا تراهم خطراً دائماً على المستعمرة ؟

فأجابه : كلا . لأنهم متفرقون ولأننا نحن نملك القوة اللازمة لقمع كل ثورة . ثم قال : طالما أنهم هؤلاء العرب والمستعربون تهماً باطلة ، فلا أنكر أنه

يجب علينا مراقبتهم وإجبارهم على طاعة القوانين ، ولكن مما لا أنكره أيضاً أنهم عنصر جيد في البلاد لأنهم قوامون على الزراعة ، مدنيون بطبعهم وعندهم ميل إلى الجنس الأبيض ونحن كل سنة نشترى منهم في جهات - ستانليفيل - وبونتيارفيل - ولوكاندو - وكيروندو - مقداراً مهماً من الأرض .

أما الباحث الكبير « بريمنجهام » فقد عني عناية كبيرة بالبحوث والتحقيق عن أثر الإسلام في إفريقيا وآخر ما كتبه في ذلك كتاب :

The infidence of Islam Upon Afriea

ومن قوله : كانت الجماعة الأفريقية تؤسس حياتها على أساسين : القبيلة ، والأرض التي تعيش عليها .

وكانت العصبية القبلية على أشدها .. فلما جاء الإسلام غير هذين الأساسين ، فحلت الأخوة في الإسلام محل العصبية القبلية ، وارتبط الإفريقي بالمسلمين جميعاً بعد أن كان رباطه محدوداً بأفراد قبيلته وذلك طبقاً للآية الكريمة : ﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ ﴾ ، وساعد على ذلك ما خلقه الإسلام من ظروف تؤكد هذه الأخوة فالمسلمون جميعاً يحتفلون بعيد واحد ، ويعبدون إلهاً واحداً في اتجاه واحد ويؤدون يوم الجمعة عطلة لهم وشهر رمضان صوماً ، كما يتبعون نوعاً واحداً من التشريع وكانت من قبل أعيادهم مختلفة وشرائعهم متباينة ، واتجه نظام الأخوة في الإسلام إلى إفساح المجال لأساس أوسع نطاقاً ، وبعبارة أخرى إلى اندماج القبائل بعضها في بعض لتصير أمماً ، وبازدياد النشاط والمعرفة أصبحت الأمم إمبراطوريات .

وعلى ضوء ما تقدم يتضح لنا أن الإسلام بعد أن دخل الساحل بالعرب المهاجرين تسرب متشداً وزاحفاً إلى كل المناطق النائية .

العالم العربي في إفريقيا

.. لم تظهر الدعوة الإسلامية واضحة مشرقة في المناطق الاستوائية بالذات إلا في القرن التاسع عشر عندما قامت الحركات التحررية التي قاومت المستعمر - والتي بدأها ثلاثة من عظماء الرجال المؤمنين : (١) الزبير باشا : في حوض النيل الأعلى من سنة ١٨٥٦ إلى سنة ١٨٧٥ ، (٢) رابع بن فضل : في حوض تشاد من سنة ١٨٧٧ - ١٩٠٠ ، (٣) الحاج عمر تال الذي كوّن جيشاً من مسلمي غابون من بلاد الكونغو - وظل يحارب الوثنيين والأعداء وينشر دعوة الإسلام حتى توفي سنة ١٨٦٥ م .

وقد كان الفضل الأكبر في إنشاء مراكز إسلامية في الكونغو بل وفي تأسيس دولة فيها - يعود للمجاهد العربي التي تزحت قبيلته من الجزيرة العربية واستوطنت شرقي إفريقيا - هذا المجاهد هو - حامد محمود - الملقب تيبوتيد - ولد هذا المجاهد في جزيرة زنجبار حوالي ١٨٣٣ - واحترف التجارة ككأبيه وغامر بالتوغل داخل القارة واجتاز بقافلته حدود تنجنيقا ، ووصل نهر الكونغو ، وجعل ينشئ على ضفافه مراكز ومخازن للتجارة أهمها : ريباريا - ونيانقوا - وكازنغوا - وأنشأ لها مزارع منظمة رتب لها العمال وحكم هذه المنطقة ما يقرب من خمسة وعشرين عاماً .

وإلى هذا المجاهد يرجع الفضل في تمكين الرحالة المكتشفين من أداء مهمتهم — فساعد لفنجستون سنة ١٨٦٧ ورافق الرحالة كامرون سنة ١٨٧٤م إلى ما وراء نهر الكونغو — وكانت له اليد الطولى في تمكين ستانلي من كشفه العديدة وعثوره على لفنجستون المفقود ..

ولأن الحقد الدفين والكراهية الصليبية لابن الإسلام جعلت من « ستانلي » رجلاً جحوداً فلم يعترف بهذا الفضل بل جعله يكشف عن إنائه مما جعله يصف « تيبو » بأقبح الصفات بعدما رشد منه كيف يسلك في الأنهر وأحراجها والسهول وأدغالها — فالتاريخ وحده — بل حتمية التاريخ وكفى — هي التي ستعترف بفضل هؤلاء العرب الذين ما فتئوا منذ فجر التاريخ حتى الآن وهم يتلقون الصفعات من أناس لؤماء حقودين

ثقلاً على الأعناق والأرض والهواء وشرّاً وإفساداً وسمّاً منقعا
فلا حملتهم بعد ذا اليوم أرضنا ولا شاهدت منهم أديماً مبقعا

وقد بدأ الغربيون يدقون على قلب القارة — من لدن أربعة قرون خلت وتكشفت أهداف مطامعهم واضحة جليلة بعد أن تقاطر منهم سير المكتشفين والمبشرين — وما ذلك إلا بغية هدم أركان القوة العربية في تلك الديار حتى لا يبقى لهم معارض ولا منازع في استعمارها واستغلالها واستنزاف خيراتها ، ولأنهم أدركوا أن كل دولة عربية عزيزة على جوانب الاوقيانوس الهندي هي قذى في أعينهم وخطر وأي خطر على مصالحهم ، بل أدركوا أنه لا يمكن لهم أن يعلوا في تلك الديار إلا بسقوط العرب والمسلمين وبطمس تاريخهم ومعالم إسلامهم . فالبرتغاليون — حينما داروا حول رأس الرجاء الصالح — أدهشهم ما شاهدوه في شرق إفريقيا من مدن عامرة ذات حضارة ، وحكومات مستقرة ، وملاحين من العرب مزودين بالخرائط والأجهزة البحرية . وما كان ذلك ليرضي الغربيين الذين اشرأبت نفوسهم بالحقد الدفين على العرب دعاء الإسلام وأهله .. فبدأ أولئك يعدون عدتهم ويخططون كفاحهم لصراع كان لا بد من حدوثه بين

رجال الامارات العربية الاسلامية والحكام من المسلمين في شرقي القارة ، والقوى الغازية الجديدة التي سرعان ما ضربت عهد النهضة الاسلامية ضربة قاصمة .

وكان هذا الصراع في نهاية القرن السادس عشر ومطلع القرن السابع عشر . غير أن البرتغاليين لم تشهم الهزائم التي ألحقت بهم الكثير من الخسائر الفادحة في العدد والعدة فاستأنفوا الكرة لاستعادة نفوذهم مرة ثانية في أوائل القرن الثامن عشر . ولكن إمام عمان سارع إلى إحباط المؤامرة وإلى طرد البرتغاليين تماماً من شرقي افريقيا في عام ١٧٣٠ م وهكذا ظل الشرقي الافريقي عصراً ذهبياً للإسلام وبخاصة في عهد الإمام سعيد من عام ١٨٤٠ إلى عام ١٨٥٦ ، فقد أسس مدينة زنجبار كعاصمة للحكم ، وحكم منها ولايته الافريقية وامتد نفوذه على الساحل وعلى طول مساحة تقدر بـ ١٦٠٠ كيلومتر ، كما امتد نفوذه إلى الداخل حتى وصل إلى حدود الكونغو ، وأوغندا ، وروديسيا . وكذا علاصيته حول البحيرات العظمى وأصبحت المدن والقرى المعمورة بالسكان العرب والمسلمين تغمر كينيا وأوغندا وتنجنيقا وبيمبا والأجزاء الشمالية المحاذية للصومال — وقد كانت كل هذه المناطق مسلمة بخليط من العرب والافريقيين المسلمين . وقد ظل الحكم في أولاده حتى تمت عملية تقسيم شرقي افريقيا .

.. وأصبحت كينيا من نصيب انجلترا بعد أن مهدت لذلك شركة افريقيا الشرقية والتي سجلت باسم Royal East African Co. وهي التي تولت السيطرة من القطاع الساحلي الممتد من ممباسا على ساحل المحيط الهندي حتى بحيرة فيكتوريا — أي كينيا الحالية .

وهكذا كانت النتيجة المرة التي أسفرت عنها أحقاد الغرب للعرب والمسلمين . فبعد أن صفا الزمن للسلطان سيف بن سلطان ، من الحروب والغزوات الطاحنة بينه وبين البرتغاليين وتوفرت همته كأسلافه على مكافحة هؤلاء الغزاة فأجلاهم عن ممباسا — وهي ثغر مهم من ثغور شرقي افريقيا مرت بها أحداث جسام ،

تطور الحكم فيها متنقلا بين العرب أولاً ، ثم تملكها البرتغاليون ، ثم سلطان مسقط ، ثم سلطان زنجبار وأخيراً عام ١٨٩٠ م استولى عليها الانجليز الذين هدموا بنيان هذه المملكة العربية وورثوا أنقاضها ، وصارت ممباسا عاصمة لمستعمرة شرقي افريقيا . كما أصبحت زنجبار أيضاً تحت الحماية نفسها بالإضافة إلى غيرها من الجزر والسواحل التي كان العمانيون قد استوطنوها في الشرق الافريقي ، ولم يبق لسلطان زنجبار آئذ سوى اسم السلطنة لا غير .

وقد كانت زنجبار مع جزيرة بيمبا ، ومافيا ، ولامو ، والسواحل الافريقية المقابلة لها مملكة عربية إسلامية أسسها أولئك الأوائل من ملوك عمان سنة ١٨٥٦ م القدم . . ووضعت الدول الاستعمارية أيديها عنوة على كل ذلك وتقاسمتها أنصبة ثلاثة سنأتي بها تفصيلاً في موضع آخر . ولم يكن هذا التقسيم من باب الصدف فحسب بل حسبنا حقائق ثابتة حصلت قديماً وما زالت ماثلة ثابتة للعيان . . . فمثلاً : الكشف الجغرافية الغربية للقارة بأسرها إنما كانت تعبيراً عن انطلاق الطاقة الأوروبية التي سبق أن اختمرت ووصلت إلى حد النضوج ومن ثم أصبحت في حالة ضرورة حتمية تريد أن تنطلق من سجن البحر الأبيض المتوسط شمالي القارة والمحيط الاطلنطي غرباً إلى البحر الأحمر والمحيط الهندي شرقاً . . وقد تم لها كل ذلك على خير وجه .

إذاً ، فالكشف الجغرافية والتي كانت بداية السيطرة الغربية في تقسيم ممالك إفريقيا بأسرها قد حققت فوائد جمة لو لم يكن من ثمراتها إلا هذه العلاقات الدولية القائمة بين أوروبا وإفريقيا لكفى ! علماً بأنها استهدفت بها أكثر من غرض كشف سترها - الكاتب الكبير « سردار بانيكار » في كتابه « آسيا والسيطرة الأوروبية » . . وسعادة الكاتب المعروف « علال الفاسي » في كتابه « حماية اسبانيا في مراکش » نجمل أسبابها فيما يلي :

١ - تمثل الكشف الجغرافية ظهور القوى البحرية ، دول غرب أوروبا

وشاطيء الاطلنطي وملاقاتها للقوى البرية (دول ممالك المسلمين في افريقيا وآسيا) وترتب على هذا التقابل على حد ايضاحات الدكتور عبد الملك عوده في كتابه : « الحكم والسياسة في افريقيا » تغلب القوى البحرية وبدء انهيار القوى البرية بعد أن صمدت الأخيرة وتغلبت في الفترات السابقة وسارت وسيطرت على موازين القوى في العلاقات الدولية في العصر الوسيط ..

٢ - بالكشوف الجغرافية تمكنت أوروبا من الوصول إلى القارة الافريقية عن طريق جديد غير الطريقة التقليدية التي كانت تبدأ من الساحل الشمالي للقارة على البحر الأبيض المتوسط وتتجه جنوباً أو غرباً وتقف عند خط الاستواء ، وكانت وسيلتها في هذا الانتقال هي القوافل ودواب الحمل ، ولكن الطريق الجديد وصل إلى القارة عن طريق شواطئها غرباً وشرقاً مما مكن لأوروبا بعد ذلك الاتصال بمناطق منعزلة .

والمهم في كل ذلك أن دوافع الكشوف الجغرافية وأهدافها تتركز في ثلاث نقط رئيسية ارتبطت بها مجموعة من الأهداف الفرعية . وهذه النقط الرئيسية هي :

١ - شن الحرب ضد المسلمين وهزيمتهم في إفريقيا وآسيا ، وهذا تعبير عن الروح الصليبية العميقة ضد الإسلام والتي عبرت عنها الحروب الصليبية في العصور الوسطى ، وحروب الاستعادة التي آمنت بها اسبانيا وانبرتغال بعد طرد المسلمين من شبه جزيرة « ايبيريا » .

٢ - نشر العقيدة المسيحية وهذا مرتبط بشقين :

الشق الأول : الواجب الديني على معتنقي المسيحية أن يوسعوا من دائرة إخوانهم في الدين وأن يبشروا به .

والشق الثاني : يأتي من أن فكرة الحرب ضد المسلمين قد تطورت لا إلى

ملاقاتهم وجهاً لوجه ، وإنما إلى تطويقهم ، ويتم هذا بالوصول إلى الأراضي الواقعة خلف بلاد المسلمين ونشر المسيحية فيها وضمها تحت نفوذ البرتغال وإسبانيا ، ومن ثم ينحصر المسلمون في وسط المسيحيين ، من الأمام أوروبا ، ومن الخلف إفريقيا وآسيا .. وقد ساعد على فكرة التطويق ما ذاع في أوروبا ذلك الوقت من وجود مملكة مسيحية كبيرة في إفريقيا وحاول البرتغاليون الوصول إليها ولكن العرب المسلمين خاضوا في ردعهم الأهوال وحاربوا ومات منهم من مات ودارت عجلة الزمن لصالح المستعمر الغربي ، والاستعمار الغربي في شتى صورته وأشكاله ليس إلا حلقات متراصة ، لا يبدأون بالأولى منها حتى يرون أنهم قادرون لإتمام ما بعدها منها كلهم الثمن أو طال بهم مداه .



متى بدأ الغزو الأوروبي للقارة وما هي أغراضه؟ وكيف انتهى؟

وانتهت مرحلة البداية بدور المستكشفين الجغرافيين ومنها انبعثت خطوط المراسيم للغزو والمعاهدات حتى تطورت مع الأحداث وتكيفت بمجريات الأمور فعدت هذه المعاهدات ركائز استغلال احتكاري للأرض ومن عليها ، ثم تبلورت إلى استعمار احتلالي .

وهنا يحق لنا أن نتساءل ، متى بدأ الغزو الأوروبي للقارة ؟ وما هي أغراضه ؟ وكيف انتهى ؟ والإجابة - هي أن لكل من هذه الأسئلة مواضع طويلة الشرح - غير أننا ونحن نكتب عن حقائق تاريخية عن العرب والإسلام في الشرق الإفريقي - الأمر الذي لا يتطلب أكثر من أن يكتب ما يلامس هذا العنوان مباشرة - نلم إتماماً للفائدة لأنه إذا ما ندر ما في الأسفاط التأويخية الغربية قصداً وعنوة فعلى الحقائق أن تبينه وتبته معلومات تضاف إلى التاريخ نفسه .

وإذا كان الاستعمار قد انتهى - شأنه شأن كل شيء له نهاية - فإن التاريخ نفسه جوهراً لا يستغني عنه الحالي بفضل فكيف بالمفتقر إليه .

وعليه فقد بدأ الغزو الأوروبي حينما أنشأ كل من البرتغال وفرنسا وألمانيا

وبريطانيا وهولندا وبلجيكا - الاستعمار تباعاً في القارة الافريقية ، فاستعمرت البرتغال أنغولا عام ١٤٨٢م وموزمبيق عام ١٥٠٥م وفي القرنين السابع عشر والثامن عشر تم الحصول على مزيد من المراكز الأوروبية في إفريقيا - فقد قام الفرنسيون في السنغال عام ١٦٣٧ م وفي رينيون سنة ١٦٤٣م وفي مورتويس عام ١٧١٥م كما استوطن الهولندي الكاب عام ١٨٥٢م وفي خلال الخمس والستين السنة التالية وقعت جميع الأقطار الباقية تقريباً تحت السيطرة الأوروبية ، وقد عمدت بلجيكا ممثلة في شخص الملك « ليوبولد » إلى الاستيلاء على الكونغو عام ١٨٨٥ م ، وفي العام نفسه أقيمت إفريقيا الشرقية لألمانيا ، وهوجمت دول السودان سنة ١٨٨٩ م وزنجبار سنة ١٨٩٠ م ونياسلاند سنة ١٨٩١ م وأوغندا سنة ١٨٩٣ م وداهومبي سنة ١٨٩٤ وكينيا سنة ١٨٩٥ م .

وكان غرض كل هذه الدول في استعمارها - الاستغلال الاقتصادي واستنزاف خيرات الشعوب ومواردها الطبيعية ، فقد كانت كل من اسبانيا والبرتغال في القديم تتندر كغيرها من الدول الأوروبية الأخرى بالحديث عن الثروة الطائلة التي أدركها (ماركو بولو) سنة ١٢٥٦م و١٣٢٣م بأسفاره إلى الشرق الأقصى ، ويروي الأستاذ « رمزي مايور » المدرس للتاريخ في جامعة مانشستر ، في كتابه « سر توسع أوربا الدولي » أن هناك سبباً آخر غير التحري عن الثروة - حمل كلاً من اسبانيا والبرتغال على التورط بهذه المغامرات بغية الوصول إلى أمريكا والهند - إذ لم تكن أمريكا يومئذ شيئاً مذكوراً . واستطرد قائلاً إن في عداد ما كان يسوق هاتين الدولتين اللتين كان تاريخهما في القرون الوسطى من أوله إلى آخره عبارة عن حروب صليبية ضد المغاربة هو حرصهم على فوز النصرانية وانتشارها ، ذلك لأنها كانتا تتوقعان تحقيق الامبراطورية النصرانية التي نسج خيوطها خيال الكاتب الغربي المعروف « رستوجن » والتاريخ الغربي الحديث يعترف بالتقدير والفضل لكل من « ماركو بولو » و « كريستوف كولومبس » لأنها كانتا من الأوائل الأفذاذ الذين مهدوا الطريق لانتشال أوربا إلى

حال أحسن مما كانت عليه ، لأن اكتشافاتهم جاءت مشجعة لغيرهم من البحارة المغامرين ، وكان أشهرهم « فسيبوس أمريك » الذي واصل رحلاته إلى هذا العالم الجديد حتى أطلق الناس عليه « أمريكا » نسبة له ، ثم عُُدَّ من جاء بعده وهو « فاسكو دا قاما » الذي بلغ سنة ١٤٩٧ م المكان الذي سمي فيما بعد برأس الرجاء الصالح تيمناً بالنجاح - والمذكور من أكثر الرحالة المكتشفين خطأً وتوفيقاً - وتلاه إلى إفريقيا الرحالة « كامبيرون » و « لفينجستون » و « ستانلي » وغيرهم - وبعد أن سجل هؤلاء الرحالة والمكتشفين في مذكراتهم ما سجلوه ، بدأت العيون الطامعة تدق على قلب القارة بشدة وبدأ منذ أول يوم حل فيه القارة - إلى استغلال البشر أنفسهم - فقد كان الإنسان الإفريقي في نظر الغازي المستعمر لا يعدو أن يكون سلعة اقتصادية رخيصة يستغلها كما يشاء ويمتص ماء الحياة من شرايينها بدون أدنى رادع إنساني - وقد بدأ استغلال الإنسان في إفريقيا في صورة الرق - ثم تعداه إلى السخرة .

وقد أسفرت الأيام منذ السنوات الأولى لالتقاء أوربا وإفريقيا بما كتبت عنه أكثر السطور وحشية في تاريخ الإنسانية - فقد جذب الأوربيين إلى إفريقيا في أول الأمر ما ينهبونه من الحاصلات الزراعية كالفلفل وزيت النخيل ولحاء شجر الزيت ، ومن المواد كالذهب والنحاس وسن الفيل ثم لم يلبث أن تحول التجار إلى قناصة عبيد لما تدره هذه التجارة من أرباح خيالية - نظراً لحاجة أوربا وأمريكا في ذلك العهد إلى استخدام الأيدي الإفريقية الزهيدة الثمن في إنشاء الطرق وزراعة الأرض الشاسعة والقيام بالأعمال الشاقة والخدمة في الأسطبلات والقصور ، حتى قال المؤرخ الكبير « جلبر نوفراري » إن الدور الذي قام به العبد الإفريقي في البرازيل هو أخطر من الدور الذي قام به الأوربي المستعمر صاحب المزاغم الطولى في بناء الحضارة - وقد رست السفن البرتغالية أول الأمر في منتصف القرن الخامس عشر على ساحل إفريقيا الشرقية وجلبت في عودتها عينة من هذا الإنسان المضطهد وسرعان ما سال لعاب أوربا على هذه

السلعة الجديدة المتحدة . وفي سنة ١٤٤٤ م شرع البرتغاليون يستوردون العبيد من ساحل الذهب - غانا - وما كاد القرن السادس عشر يحل حتى كان العبيد في بعض مناطق البرتغال - أكثر من عدد البرتغاليين أنفسهم وبهذا صار الكشف الجغرافي سرقة .

ثم تحولت السرقة إلى استعباد عام ! .

وفي ذلك يقول مؤلف كتاب « الصحو الافريقي » ، إن أوربا لا تنظر إلى إفريقيا إلا في ضوء منافعها الخاصة وما تلبه مصالحها فحسب ، لذلك استعبدت الافريقيين واستغلتهم أسوأ استغلال . واندفعت السفن من كل أنحاء أوربا سعياً وراء تلك التجارة البشعة .. ونشأت شركات خاصة تدرب النخاسين على عمليات قنص الافريقيين والاتجار بهم .. واشترك في هذه العمليات كافة الدول الأوروبية تقريباً ، كالبرتغال ، واسبانيا ، وانجلترا ، وفرنسا ، وألمانيا ، والسويد .. ثم احتكرت انجلترا هذا الفن من التجارة بمقتضى معاهدات « أوترخت » عام ١٧٨٣م وقد بهر الاوربيين الأرباح الخيالية التي تدرها هذه التجارة .. وكان تجار الرقيق - أو النخاسون - ينصبون شباكهم في أدغال الغابات ويوقعون فيها الزنوج الأبرياء على غفلة منهم ثم يسوقونهم بالسياط ، ويكبّلونهم بالأغلال ، كما كانوا أحياناً يدمغونهم بالحديد المكوى ويشحنونهم في سفن مكتظة تعبر بهم الاطلنطي إلى أوربا وأمريكا . ولم تكن الكنيسة الأوروبية تعترض على هذه التجارة السوداء بل كانت راضية بنصيبها من الأسلاب ..

واستمرت تجارة الرقيق قائمة على قدم وساق أكثر من أربعة قرون حتى حرّمت في القرن التاسع عشر .. ولا يمكن تقدير عدد ضحايا الرق خلال هذه القرون الطويلة . وقد قدر أحد المؤرخين البرتغاليين من واقع الوثائق الرسمية بخزائن الحكومة البرتغالية ، إن ما جلب من زنوج انغولا وحدها فيما بين سنتي ١٤٩٦م و ١٦٤١م بلغ حوالي ١,٣٨٩,٠٠٠ عبد - أي بمعدل تسعة آلاف كل

عام ، ووصل هذا الرقم إلى ٢٥ ألفاً في العام خلال القرن الثامن عشر ، ثم زاد إلى ثلاثين ألفاً في السنوات الأولى من القرن التاسع عشر .

وقد بزت انجلترا ، البرتغال في تجارة الرقيق واعتمدت عليها اقتصادياً اعتماداً كبيراً وأنشأت لها مرفأً خاصاً. ولو سألت الأوربي اليوم ما هي الأسباب التي أنشئ من أجلها ميناء ليفربول ؟ لتواري بوجهه كاشحاً منك ، أو قائلاً لك - إذا أدرك أنك عارف - : إن هذا كله كذب وافتراء .

ولكنه لا يستطيع أن ينكر ما سجله تاريخه الغربي .. فاللورد دارتموث - وزير المستعمرات الانجليزي عام ١٧٧٥م - اعترض على أي حركة تقف في سبيل تجارة الرقيق بقوله : إننا لا نستطيع أن نسمح للمستعمرات بأن تعترض سبيل أو تقص أطراف تجارة تعود على الأمة بمثل هذه المنافع .

وكانت ليفربول هي بورصة هذه التجارة التي تعود على الأمة الانجليزية بالمنافع ، فقد احتكرت خمس التجارة البريطانية من العبيد .. وثلاثة أسباع التجارة العالمية كلها ، وقد قدر أنه بين سنتي ١٦٨٠ و ١٧٨٠ م حملت سفن ليفربول وحدها مجموعة من الرقيق قدرها ٢,٠٠٠,٠٠٠ زنجياً ، كما ثبت أنه خلال إحدى عشرة سنة فيما بين عامي ١٧٨٣ و ١٧٩٣ م استخدمت ليفربول ٩٣١ سفينة في نقل ٣١٣,٧٣٧ عبداً .. قيمتهم الإجمالية ١٥,١٨٦,٨٥٠ جنيهها استرلينياً . ناهيك عن الأهوال البشعة التي كان يتعرض لها هؤلاء المظلومون في الرحلات البحرية .. ويقول « ويلبر فورس » - المصلح الاجتماعي في القرن التاسع عشر - إنه لا يمكن للعين أن تقع على شقاء أشد هولاً وتركيزاً مما تراه على مثل تلك البقعة الصغيرة .. « سفينة الرقيق » المسافرة إلى الدول الغربية .

وقد استمرت تجارة الرقيق قائمة كما قلنا سابقاً زهاء أربعة قرون جلبت فيها ملايين من العبيد الذين قاموا بتعمير أمريكا محور الحضارة الحديثة ، والتي ما

زالت تضطهد أحفادهم حتى هذا اليوم . ويقدر المؤرخ الزنجي ، البروفسور (دوبوا) عدد الزوج الذين وقعوا في أسر القناصة خلال هذه القرون بما لا يقل عن مائة مليون من إفريقيا ، وقد انتهت هذه المأساة رسمياً في بداية القرن التاسع عشر ورغم ذلك فقد بقيت بعض الدول الأوروبية طيلة القرن التاسع عشر تتعاطى هذه التجارة في الخفاء حتى حرّمها مؤتمر برلين عام ١٨٨٥م تحريماً مطلقاً .

والواقع ان الأسباب التي دعت العالم الغربي إلى تحريم تجارة الرقيق ، لم تكن إنسانية بحتة وإنما ترجع في حقيقتها إلى دوافع اقتصادية أيضاً .. وفي ذلك نجد كتاب (تاريخ إفريقيا) تأليف « روند أوليفر » و « جون فيج » .. وكذلك كتاب « إفريقيا وصحوة الأسد » الكل يسجلون ما مفاده بقولهم : ولم يكن ذلك بدافع من حب البشر أو العدالة الذاتية .. وإنما لأسباب تجارية معقولة .. فطالما أن تجارة الرقيق سهلة ومربحة أكثر من أي تجارة إفريقية أخرى ، فيجب القضاء عليها دولياً قبل ظهور أية تجارة مشروعة بين إفريقيا وأوروبا .

والاستعمار الأوروبي لم يرعو عن هذه التجارة ، إلا بعد دخول النظام الرأسمالي في مرحلته الامبريالية ، وبعد أن آتت الثورة الصناعية والزراعية أكلها .. وتراكم رأس المال لديه في حوزته الحالية .. وأصبح الهدف الأول للاستعمار الجديد تصدير المصنوعات إلى الأسواق الإفريقية وجلب المواد الخام مقابلها .. وهكذا صار من الأرباح على الاستعمار الابقاء على الافريقيين في عقر ديارهم لاستغلالهم من جديد في استهلاك منتجاته ، وقد اتخذ لهذه الغاية أشكالاً مباشرة وغير مباشرة ، فقد كبّل الدول التي كانت تحت استعمارهم بالشركات الاحتكارية والمعاهدات الاقتصادية غير المتكافئة كما قيدها ببرامج المعونة المشروطة ، وقديماً عمل الاستعمار منذ أنك إفريقيا على جعلها امتداداً اقتصادياً استغلالاً للدول الأوروبية وربط ثرواتها بعجلة الرأسمال الغربي ربطاً لا انفصام فيه ، وهياً جميع الظروف التي تجعل من اقتصاديات هذه القارة اقتصاديات تابعة ومكملة

لاقتصاديات الدول الغربية النائية ، وكأني به قد فرض على الشعوب الافريقية التخصّص في إنتاج المواد الأولية اللازمة للصناعة والثروة الاوربية وقبض بإتقان على أزمّة التجارة الخارجية الافريقية بأسرها.. واحتكر كافة المنشآت الصناعية والتعدينية والزراعية في داخل القارة .. إنما كان يقصد إيصال الاخطبوط الاستعماري إلى كل خلايا القارة العذراء ، ليمتص الدماء عن شرايينها ويحوّلها إلى جيوب الرأسماليين الاوربيين والمساهمين في شركات الاستغلال الكبرى بأفريقيا اليوم .. وليس بدعاً كل هذا ، ثم ظهر إلى جانب كل ذلك أهمية أفريقيا السياسية والاستراتيجية البالغة بعد الحرب العالمية الثانية وانقسام العالم إلى معسكرين يتطاحنان في صراع (المثل) كما يدعيان ..

الغزو الاوروبي لسلطين العرب بافريقيا الشرقية

... أما وقد استعرضنا في اختصار من القول الغزو الاوروبي لإفريقيا بصورة عامة وأغراضه فيها - حياً في اعطاء المعلومات - نلخص هنا بإيجاز غزوها لإفريقيا الشرقية ابان كان الحكم فيها إسلامياً عربياً منذ أبعد العصور .. وسيرى القارىء في هذا الباب صراع العربي مع الغازي الاوربي ، كما سيرى كيف اندحر العربي المسلم من كل شيء حتى أصبح اليوم في إفريقيا الشرقية بعد أن هيا المستعمر كل شيء ضده .. أصبح غريب الدار والأهل ، أجنبياً بحتاً وكأن لم يكن بالأمس هو الذي قدّم نفسه ونفيسه ، دمه وماله ، لصد الغزو الاوربي !!

الغزو البرتغالي الاول

بدىء به من نهاية القرن الرابع عشر وامتد استعمارهم لكل من مبابسا ، وماليندي ، اللتان كانتا تابعتين لمستعمرات مسقط .. على أن البرتغاليين كانوا قد وضعوا حداً للدور الأول من مدنية العرب عندما احتلوا زنجبار عام ١٥٠٣م ، و«براوا» عام ١٥٠٤م ، و«كيلوا» عام ١٥٠٥م .. ومبابسا ثغر الشرق الافريقي في العام نفسه ، وكان مقصدهم بهذا الاحتلال تأسيس قواعد تجارية للبضائع التي تأتي من الهند ووضع اليد على معادن الذهب في (سوفالا) ، وبقي البرتغاليون هم الحكام في تلك السواحل إلى أواسط القرن السابع عشر إذ قاتلهم عرب عمان قتالاً شديداً .. بدأوا به في ساحل عمان نفسها سنة ١٧٥٠م فلما أجلوهم من هناك هاجموهم في مستعمراتهم بالهند وفي شرق افريقيا وفتحوا بذلك زنجبار ، ومافيا ، وبيمبا ، ومبابسا في أواخر القرن السابع عشر وأوائل القرن الثامن عشر ..

واستأنف البرتغاليون الكرة مرة ثانية طامحين لاستعادة نفوذهم ، ولكن إمام عمان سارع إلى احباط مؤامرتهم وطردهم تماماً من شرقي افريقيا بأسرها سنة ١٧٣٠م .

الغزو الالماني

بدأ الغزو الالماني نتيجة لترقي الالمان صناعياً واندفاعاً وراء الأطماع الاستثنائية الاستعمارية ، فألمانيا كأى دولة أوربية استعمارية قد شاقها ما ولده جشع الدول الكبرى وما نشأ عن تقسيمات فرنسا وانكلترا في افريقيا بموجب عقد سنة ١٩٠٢ م ، فأخذت غيرة الأطماع الالمانية تتلمس لها المداخل في طريق الاستعمار .. وكنتيجة من أول شركة تجارية المانيّة في افريقيا وهي شركة « وورمون » .. فلم يقتصر الالمان بمصالحهم منها على منافسة الانكليز والفرنسيين في غرب افريقيا ، بل تبسطوا في الشرق منها .. واشترت شركة الاستعمار الالماني سنة ١٨٨٤ م أراضي واسعة في بلاد « ويتو » الواقعة بين ممباسا ولامو شمالي كينيا حالياً .. واتفقت مع سلطان ويتو - وكان عربياً - على أن يعترف بحمايتها للأراضي المذكورة ، فاحتج سلطان زنجبار على عمل سلطان ويتو ، وزعم مدعياً انه لا يملك حق النزول للالمان عن شيء وبعث بحشود من جنوده إلى هاتيك الأرجاء لحفظ حقوقه السياسية عليها .. وكان سلطان زنجبار يدعي حق السلطنة على جميع البلاد الممتدة من « رأس » جنوباً إلى « وارشيخ » شمالاً والتي تمتد من بحر الشريط الحزامي الشرقي للمحيط الهندي حتى البحيرات الكبرى في داخل القارة !!

وبما ان الاستعمار وفي كل أشكاله ووجهات نظره وبالذات فيما يتعلق بنزع الحكم العربي وطمس المعالم الاسلامية فقد استغل الالمان ومنافسيهم الانكليز ثغرة هذا النزاع بين السلاطين العرب وذهبوا جميعاً يخططون السبل ويحيكون المؤامرات ويدبرون الحيل كما هو شأنهم للتقسيم أولاً ، ثم الاستيلاء وفرض الحماية ثانياً .. مستغلين كل ما لديهم من قوى مادية ومعنوية وفرضها رغبة ورهبة على طبيعة العربي الافريقي المسلم المغرر وقتئذ بطيب نوايا أولئك الغزاة الذين استغلوه قديماً ومزقوه بمعاهداتهم شرّ ممزق ، فنال الالمان من الانكليز وقتئذ الاعتراف بصحة عملهم المتقدم في اتفاق مؤرخ في ٣٠ مايو عام ١٨٨٥ ، وفي ٧ أغسطس من تلك السنة وفدت خمس بوارج حربية المانية وهددت سلطان زنجبار في عاصمته وقضت على الخلاف بعقد معاهدة بين السلطان والحكومة الالمانية على أن تعفى من المكوس جميع البضائع والمتاجر المشحونة إلى بلاد الالمان .. وسلمت (فرضة) دار السلام على الساحل الافريقي لقمة سائغة للقوى الالمانية .. ثم تعينت لجنة ألمانية مختلطة بانكليز وفرنسيين لتحديد حدود الاستعمار الالمانى في مستعمرته الجديدة .. وانتهى التحديد سنة ١٨٨٦ م على النحو التالى : خرج لنصيب سلطان زنجبار ، جزيرة زنجبار وبيمبا ، ولامو ، ومافيا ، وعشرة أميال بحرية من العرض على طول سيف البحر الممتد من مصب نهر المنيقاني « تانجي » جنوباً إلى كيبني شمالاً من بلاد كيسمايوه ، وابراروا ، ومركا ، ووارشيخ - وهو ميناء حالياً من موانئ الجمهورية الصومالية .. كما خرج لنصيب سلطان « ويتو » الأراضى التى تمتد من « كيبني » شمالاً إلى الجنوب الشمالى للأراضى المسماة « ماندا » .. أما الحدود الألمانية فقد كانت من الجنوب نهر « روفوما » ، ومن الشمال خط يمتد من مصب نهر « فانجا » إلى بحيرة « جيب » .. ومن ثمة في الوسط أراضى « تافيتا » و « ديتشاجا » تابعاً للمصب الشرقى من جبل « الكليمانجارو » حتى بحيرة فيكتوريا « ينانزا » .

وهكذا كان الغزو الألماني .. بدأ متاجراً مع العرب وانتهى معهم حرباً

واستعماراً . وقد استمرت هذه الأراضي تخضع للحكم الألماني حتى جاء دور الاستعمار البريطاني فتولت بريطانيا الانتداب على المستعمرة بعد الحرب العالمية الثانية بموجب صك من عصبة الأمم عام ١٩١٩ ، وبدهياً أن كل دور جديد يظهر على المسرح يطوي في لفائفه صفحات من تاريخ العرب والمسلمين و كأن لم يكن شيئاً ..

الغزو البريطاني وقيامه بفرض الامبراطورية على الشعوب الافريقية

وجاء الدور الأخير على غرار التصفية التي أهلكت الحرث والنسل ، وإثر الفترة التي طمأننتهم أحداثها من بوائق الزمن الدوار وجوائحه حتى خيل لهم أنهم قد كسبوا الزمن فاستمطروهم فيض خلوده ، جاء دور الغزو والاحتلال البريطاني ليستوعب بمقدراته ما بقي للعرب والمسلمين من مجد أثيل عاشوا به في الشرق الافريقي أزماناً طويلة .

كان هذا الغزو نتيجة لوكالة شركة الامبراطورية البريطانية لافريقيا الشرقية والتي كانت تحت رئاسة « السير وليم ماكينن » الذي احتفظت بريطانيا بالوفاء له حياً وميتاً فأوجدت له نصباً تذكاريّاً رائعاً وما زال هذا التذكار يحتل مكانه في أحسن حديقة غناء من حدائق بلدية ممباسا ثغر الشرق الافريقي . وحينما أنشأ السير وليم ماكينن شركة للسفن البحرية البريطانية في عام ١٨٧٢م وضع لها مخططاً محكماً فنظم مبدئياً الملاحة بين جزيرة زنجبار - والهند - وأوربا .

وبذهياً أن السلطات العليا للامبراطورية آنذاك كانت هي بمثابة الكل في الكل فهي التي تنقض وتبرم وهي التي كانت تخطط ثم تنفذ بالكمية التي تبتغيها والكيف الذي ترتأيه .

وقد سمح السلطان برغش - بحكم صلاحياته يومئذ - سمح بتسليم كل سلطاته مما ينطوي تحت حكمه في افريقيا الشرقية وبالتحديد من مشارف الساحل للمحيط الهندي الشرقي إلى حيث تنتهي حدوده وكانت آنذاك موعلة جداً في البر الافريقي لكينيا . وتقول بعض المصادر التاريخية انها كانت بمعدل ٤٥٠ كيلومتراً وتنتهي في البقعة التي ما زالت حتى يومنا هذا تسمى (بموقف سلطان حمود) وهو على مقربة من نيروبي عاصمة كينيا . مستثنياً هذا السماح مدينة زنجبار وكانت عاصمة الملك يومئذ . والغريب في التكتيك السياسي وبالذات الغربي أن بريطانيا يومها كما - تحدث السير وليم - قد رفضت حمل المسؤولية الكبرى لهذه الممتلكات ، وأحسب أن ذلك الرفض لم يكن إلا مناورة استعمارية جديدة . فقد ظهرت على المسرح المانيا في جانب آخر من المملكة ويومها بدأت الأمور تشتد وتتأزم بين الحكومتين الغربيتين وعادت إلى الأذهان قصة الحمار حامل الاسفنج عندما تبع زميله حامل الملح وقد اعترضها بحرى ماء فخرج هذا متخففاً وذاك موقراً .

والمؤسف جداً أن ما حصل بعد تقسيم المملكة بين الدولتين لم يحىء من قوة الغازيتين بقدر ما حصل من تكاسل الجهاز الحكومي ووهن عزيمة أتباعه من عرب وافريقيين على السواء - ونحن في هذه الحقائق لا نفرض أن يؤخذ كلامنا قضايا تاريخية مسلمة ولا أن تقبل كلمات غيرنا دون مناقشة وتدبر - فالبحث عن الحقائق ميسور شريطة التحري في المقصد والمطلب ، فالمؤرخ الصادق هو الذي يدرك الحق بالتاريخ ، أما أولئك الذين لا يعرفون للحق تاريخاً سوى أن تلقى إليهم كلمات صادرة عن سبط فلان الكبير أو فلان الحاكم فهم أبعد الناس عن فهم التاريخ بل هم آخر من يقدم للتاريخ أكاذيبه ويكفلون له مسخاً وتضليلاً .

ثم إنه من الخطأ الجسيم أن نحسب لأحداث التاريخ التي مرّت بها افريقيا

الشرقية قضية أشخاص من العرب كانوا سلاطين أو آخرين مسلمين دحروا عن حقوق وأملاك واسعة عن جور متعمد وعن تصرف سيء - كلا ، فقضية تصفية المجد الإسلامي هي التي تعيننا أولاً وآخرأ !

ويمكننا هنا أن نتساءل في هذه الحقائق : هل سترك امتداد الأيدي الخفية التي كانت امتداداً من ذلك العهد تلعب وتعبث بزمام ما بقي من مسحات عربية وإسلامية في كل من زنجبار ، ودار السلام ، وكينيا ؟

وهل من الضروري في منطق العصر الحديث أن يحمل الإسلام سنين طويلة أوزار قيادة واهنة مضت وانقضت وأخرى حاقدة لازالت تستر ضعفها بالاستبداد ونكوصها بالمكر السيء ؟

.. وكما أسلفنا عن ظهور المانيا وتدخلها في جانب آخر من المملكة وتآزم الأمور بينها وبين بريطانيا تصنعاً واختلاقاً ، مكرأ وخديعة ، فقد أسرع المانيا بوضع معاهدات رسمية مع كبرى القبائل الافريقية وعلى حدة من مخططات بريطانيا . وتقول بعض المصادر التاريخية : ان المانيا قد استغلت صراع الفرقة فتمكنت من وضع مئتين من المعاهدات مع القبائل الافريقية النائية عن الساحل رامية بذلك تمكين استعمارها في الأراضي الافريقية بالذات ، وقد يتساءل المرء عن نوعية المجتمع الافريقي آنذاك فيعجب كيف استسلم في انصياع غريب لهذه الألاعيب من التقسيمات وكأن تربته لم تحمل على ظهرها بشراً يدرك مغبة أمره !

غير أن كل هذا التساؤل يتلاشى حين ندرك أن الفرد في المجتمع الافريقي التقليدي يومئذ لم يكن يعتقد أنه جزء من آلة ، ولم تكن فكرته عن الحكومة أية حكومة قانونية بل شخصية وعندما كانت تذكر قبيلة الحكومة كان الافريقي يتخيل شبح القبيلة دون أن يفكر في البنيان الحكومي الضخم كما هو الحال بالنسبة لغيره ، وكان لا يستطيع أن يفكر في نفسه منفصلاً عن الجماعة ، فقد كان شخصاً ينتمي لأسرة كثيرة الفروع متشعبة الوشائج بينما ترتبط هذه الأسرة برابطة الدم بالقبيلة . وهذه حقيقة في غاية من الدقة والواقعية في الدراسات

النفسية وقد أدركتها الدول الاستعمارية وفهمتها عن كذب فاستطاعت على ضوءها أن تعقد الاتفاقيات وتسجل المعاهدات مع رؤساء القبائل سابقاً لتجني الثمرة لاحقاً، وبعد لأي من الزمن بعيد المدى فتجعل من ذلك الامتداد مدأً لجعل الحكام مسيحيين وما ذلك إلا للإغراء والاستجلاب . بل كان يتعذر على الفرد أن يتصور قيام صراع طبيعي بين مصالحه الخاصة ومصالح مجتمعه - إذ أن الجماعة عبارة عن امتداد لأسرته، ورغم هذه النقائص الواضحة التي تنطوي عليها التقاليد القبلية لديه فإن المجتمع الأفريقي ذاته طالما حافظ سابقاً على تقاليد تؤلف بين حقوقه المشروعة في وطنه وحقوق الآخرين أيًا كانوا مهاجرين أو غزاة !!

هذا وقد اعترض سلطان زنجبار واحتج بشدة على تصرفات ألمانيا في المعاهدات التي انطوت لفائف صفحاتها على ثقل من الدسائس المشبعة بالخدعة للحكم العربي الإسلامي ، كما استنكرت أيضاً بريطانيا تلك المعاهدات لا تضامناً مع سلطان زنجبار فحسب ، ولكن لخيبة آمالها فيما كانت تضمرة وتنويه مبيتاً للغزو الألماني الدخيل والحكم العربي على السواء .

ومضت فترة من الزمن والأمور تجري بأحداثها في سير غير عادي حتى حلت سنة ١٨٨٧م فخوّل سلطان زنجبار لشركة East African Royal من النفوذ والسيطرة ما كان أكثر فعالية مما كانت عليه باديء ذي بدء ، وامتدت الشركة بنفوذها من نهر « امبي » جنوباً إلى « كيبني شمالاً ، وتغطي هذه الحدود أراضي جد واسعة وتقع بين كينيا وتنجانيقا سابقاً . ولم تقتصر الشركة على قيد البنود فحسب بل قامت بنشاط أبعد مدى وأكثر سرية، وما كانت في كل ذلك مما قامت به تخشى شيئاً ولا ترعى عهداً ولا ذمة ، فعاهدت بدورها عدة قبائل تبعد أراضيها من الشريط الساحلي بمعدل ٢٠٠ ميل . وفي هذه السنة ١٨٨٨م ثبتت الشركة أقدامها على أسس من القوة ودعائم من فرضيات المعاهدات ، ومن ثمة أطلق عليها « شركة الامبراطورية لأفريقيا الشرقية » وأشرفت عليها مركزية

الامبراطورية من عل لتهب لها من الامتيازات منحاً لا حدة لصلاحياتها . وعلى غرار ما تم لها من النيل أوصى « السير وليم ماكينن » الحكومة البريطانية توصيات ما من شأنه التوسع العملي في الشرق الافريقي كله فجاءت هذه التوصية في كثير من ملابساتها بما لم يكن في الحسبان حتى خيل أن عدم الأخذ بالالتزامات المشروعة في صكوك المعاهدات والاتفاقيات أصبح من الأمور التي لا يلام عليها .

واقترح ما كان مبيتاً وذلك تخطيط وإصلاح الخط الحديدي بين الساحل ويوغندا ليربط الأراضي الشاسعة النائية بعضها ببعض وفي ذلك كشف جديد للامبراطورية ونصر وأي نصر أحرزته في سبيل التوسع .

وانتهى مد خط السكة الحديدية وامتدت أسلاكه من ممباسا إلى شواطئ بحيرة فيكتوريا في عام ١٩٠١م وانفتح الطريق العملاق أمام عصر جديد من تاريخ افريقيا الشرقية . فقد كان لربط هذه الأقطار المترامية نتاج مثمر تحركت له افريقيا الشرقية ، ولا غرابة من أن يكون ذلك فتحاً كبيراً في ميدان النجاح للتسويق الزراعي ، ومعلوم أن الأراضي التي يمر بها أو تخرقها أسلاك القطار هي كلها أراض زراعية وقد عمل الاوروبيون فيها بزراعة الأراضي المرتفعة والأكثر إنتاجاً .

وخلال بضع سنوات مضت على تسير هذا العملاق بدأ استيطان العنصر الأبيض بصورة تثير الدهشة ، كما بدأت الشركات الغربية تعمل وتخطط يجد ونشاط عظيمين وكأنها بالخط الحديدي انطلقت من حصارها في الساحل واستوعبت بنخباتها كل ما جاء من أجله ، كما بدأت تستخدم الأيدي الافريقية في مزارعها وبأجور جد ضئيلة وسمحت لها مركزية المستعمرة والمحمية بشراء الأراضي ذات التربة الخصبة وبأثمان زهيدة . وقبل ذلك كان التجار العرب والآسيويون الذين كانوا قد استوطنوا على طول الساحل قد بدأوا يتحركون باتجاه المناطق الداخلية

لتأسيس مراكز تجارية ، وساعد العديد من الآسيويين على بناء الخط الحديدي حيث جلبتهم بريطانيا من الهند وكانت يومها تزح تحت استعمار التاج البريطاني.

وقد أصبحت خطوط السكة الحديدية تغطي الآن من المساحة أكثر من ٣٠٥٠٠ ميل في بلدان افريقيا الشرقية الثلاثة .

منها ١٣٠٠ ميل في كينيا والباقي عبر القطرين الآخرين يوغندا وتنزانيا . وتعمل هذه الخطوط حالياً كمشروع افريقي شرقي مشترك تحت إدارة السكك الحديدية والمرافئ الافريقية الشرقية ، وهي الدائرة الرسمية التي تشرف أيضاً على تسيير خدمات الطرقات وممرات المياه الداخلية وكذلك على المرافئ الرئيسية ، وينطلق الخط الرئيسي لمقطع كينيا وأوغندا للسكك الحديدية في مرفأ ممباسا عبر نيروبي العاصمة - وناكودو - واولدورت - وكبالا ومنها إلى المدن الأخرى ، ومن هذا الخط الرئيسي تتفرع عدة خطوط فرعية متجهة نحو عدة مناطق هامة تجارية وزراعية .

ولم تقف بريطانيا والدول الاستعمارية الأخرى لحظة واحدة في السير من أجل سلخ الحقوق والممتلكات الإسلامية والتي كان الحكم العربي يرعاها ويدير شؤونها منذ أمد بعيد ، ففي الوقت الذي كان العمل مستمراً لشق طريق السكة الحديدية وكان المسلمون من الافريقيين والعرب لا يدركون شيئاً من مغبة مكائد الذين اندسوا ليحتلوا أولاً ما شاءوا أن يحتلوه ثم يدحروا عنوة سلاطين الحكم الإسلامي العربي بما خططوه ودبروه في المعاهدات والوثائق وعلى اختلاف غاياتها وأهداف أبعادها .

فاستشاطوا من جديد وعقدوا مؤتمراً بألمانيا سنة ١٨٨٨ م هذا المؤتمر الذي كان فريداً في جدول أعماله ، ولئن سبقته مؤتمرات عديدة ومعاهدات واتفاقيات بين بريطانيا والحكام العرب إلا أن هذا المؤتمر كان على المستوى الرسمي لتقسيم افريقيا (الطعمة) وبصورة قانونية كما خيل لمؤتمريه أو بمباراة أدق كما ارتأته

مطامع الاستعمار البريطاني فأعلنوها تقسيمات شرعية ، ودرست بريطانيا من جديد كل ما لديها من صكوك المعاهدات السالفة بينها وبين سلاطين العرب فرأتها لم تستحوذ كما تريد القضاء النهائي للحكم الإسلامي العربي فسجلت معاهدة وبنوع تكتيك جديد في ١٤ - ٦ - ١٨٩٠م بين السلطان علي بن سعيد والملكة فيكتوريا .

ويعجب الدارسون للتاريخ العربي بأفريقيا من كثرة المعاهدات والاتفاقيات التي أفقدها التكرار صلاحياتها الشرعية ومفادها الدولي الأمر الذي لم يفد منها أهلها الشرعيون وقد غدت كلها في مقتضيات المفهوم الاستعماري البريطاني غير خطوط سوداء جرى بها القلم عبر السطور البيضاء ليس إلا ، ثم تصبح لا قيمة لها عند بريطانيا نفسها . فلم تمض سنوات خمس حتى عادت بريطانيا من جديد وقد طالعت الحكم العربي بمعاهدة جديدة بين السلطان حمد بن ثوين والملكة فيكتوريا ، سجلت في ١٤ ديسمبر ١٨٩٥م ، وقد غدت هذه المعاهدة الفاصلة القاضية أو بعبارة أدق المعاهدة التي أمسكت بريطانيا فيها بآخر حلقة من حلقات مطامعها وقيدت ببندوها الحكم العربي في شرقي أفريقيا حتى صار يومها اسماً على غير مسمى ، إذ تزعت بريطانيا منه كل شيء اسمه سلطة تنفيذية ؛ فالنظم التشريعية وما ينبثق منها من وصايا في الأخذ والعطاء في المجالات أياً كانت اقتصادية أو اجتماعية أو سياسية في التمثيل الخارجي أو الداخلي على السواء . وغدا الحكم العربي لا يتمتع في عزه وعلاه بأكثر من وضع « العلم » الأحمر على رؤوس المراكز الحكومية في « زنجبار » وفي ممباسا على قلعة تذكارية قلعة « فورت جوزيف » وكانت حتى عهد قريب سجنًا حكومياً ، وكأني به قد وضع رمزاً ليسجن في يوم ما إلى الأبد . وقد وقع ذلك وتم على أبشع صورة عرفها التاريخ والتاريخ نفسه كما يدين أولئك الأغبياء من رجال الحكم العربي الإسلامي في

عدم تقديرهم للمسؤوليات التي نيطت بأعناقهم منذ آمامد سحيقة في القدم، لا ولن ينسى إدانته بريطانيا بالذات فهي الدولة الوحيدة التي واكبت سير الحكم الاسلامي عبر العصور في افريقيا الشرقية ، وهي الدولة الوحيدة التي نقضت له حيناً وأبرمت له آخر وأخذت به فترة ورمته ومعاهدات إلى حيث لا رجعة إلا ما شاء الله .

قوة الكيان الافريقي

تعد حركة تثبيت الكيان الافريقي من أخطر الظواهر في النصف الثاني من هذا القرن على الاستعمار الغربي بأسره .

وما الكيان الافريقي في جوهره إلا حركة وطنية نضالية معادية للاستعمار المتعدد الأشكال ، ولقد أصبح الكيان الافريقي في الحين واقعاً متحققاً بعد أن كان امكانيات موضوعية كامنة ، وإرادات مشتتة ، وحواجز مفتعلة .

والكيان الافريقي عند الافريقيين لم يكن نتيجة لوعي عمّ القارة الافريقية فحسب ، بل إن بروزه ضرورة تاريخية تمخضت به حتمية أحداث التاريخ حتى انصهر منها كل الافريقيين في بوتقة واحدة وأصبح الانتساب إلى افريقيا هو الجواب الوحيد على سؤال : من أنت .

بل أصبح هذا الجواب دليل فخر واعتزاز !!

بروز فجر الكيان الافريقي

إن بروز فجر الكيان الافريقي الشرقي قد تمخضت أحداثه عن مراحل ثلاث ! فالمرحلة الأولى ، هو التقاء الزعماء الأربعة : جومو كنياتا - كوامي نيكروما - الدكتور ونبي بوغارت - جورج بادمو . وكان ذلك أعقاب الحرب العالمية الثانية بالرغم من ان اجتماعهم آنذاك لم يكن غير مرحلة بدائية لم تكن فيها حقيقة علنية بالنسبة لذلك الطرف الافريقي إذ كانت افريقيا آنذاك تغط في سبات عميق ، تابعة ومقوده وبكل طاقاتها ومقدراتها للاستعمار الغربي ، بل لم يكن اجتماعهم آنذاك من الظواهر لبروز الكيان الافريقي وإنما كان اجتماعهم مجرد أمنية لإيجاد كيان افريقي لا لشعوبهم المحصورة عدداً فحسب بل للقارة بأسرها .

وكانت هذه الأمنية مجموعة من الأحلام طالما راودت أرباب الوعي منهم وترددت في مخايل أفكارهم منذ أمد بعيد .

وعندما أعلن في نهاية الحرب العالمية الثانية ان افريقيا ستسير قدماً مع باقي دول العالم وكان ذلك في أول اجتماع لاتحاد التجارة الدولي المنعقد في باريس في شهر اكتوبر سنة ١٩٤٥ م .

فقد صرح كل من جومو كنياتا ، وكوامي نيكروما ، وآخرون في المؤتمر الخامس الموالي لإفريقيا والذي عقد في أواخر شهر اكتوبر في (برمنجهام)

بانجلترا والذي ترأسه الدكتور و.بي. بوغارت ديبو - مؤسس الحركة الموالية لإفريقيا ، التي بدأت عام ١٩١٩ م فقد قالوا جميعاً : كما ورد في بيان المؤتمر الموالي لإفريقيا :

« يجب أن تتحرر كافة المستعمرات من السيطرة الاستعمارية الأجنبية سواء منها السياسية والاقتصادية ، وبدهي أن المقصود من التحرر السياسي إنما هو إيجاد كيان إفريقي متحرر » .

ثم نتج هذه المؤتمرات نشوب سلسلة من الثورات والاضرابات ومقاطعة الاستعمار سادت القارة الإفريقية في السنوات التي أعقبت الحرب العالمية مباشرة وفي السنوات التالية ، وقد ساهمت النقابات العمالية الإفريقية الخمس لشرق وشمال وغرب نيجيريا - والكرون الجنوبي - واتحاد نيجيريا بقسط كبير في بروز الكيان الإفريقي !

ثم جاءت المرحلة الثانية .

بارزة مبرزة باعلان الكيان الإفريقي على الملأ ، هذه المرحلة هي مرحلة الانتقال الفكري عند الزعماء ، وجعل كل ما كان يداعب أمانهم ونخايلهم أمر لا بد من وقوعه أو يهلكون دونه ، وقد بدأ هذا التخطيط في سطور العريضة لدى كوامي نكروما حينما سئل في ابريل ١٩٥٦ م :

ما هي أمسّ الاحتياجات العاجلة لإفريقيا اليوم ؟

فكانت إجابة (نكروما) : انني أعتقد أن الشيء الضروري الأول للتحرير السياسي ، وعلى هذا يتضح جلياً ان ما يطلبه الإفريقيون جميعاً يمكن تلخيصه في كلمتين (إفريقيا للإفريقيين) ثم أصبح هذا المنطق (Africa for Africans) أنشودة الملايين من الإفريقيين ، ثم تلا ذلك تشكيل المجتمع الإفريقي (African Personality) .

ثم جاء الدور الثالث : نتيجة لمعركة غانا من المستعمر حتى عام ١٩٥٧ م وكان الأثر كبيراً للاجتماع الافريقي الذي عقد في - أكرا - عام ١٩٦٠ م. والذي دعي باسم (Pan African Conference) ومن هنا أصبحت الدول الاستعمارية تعرف جيداً هذا الموقف الجديد ، ومن ثم اتخذت لها أشكالاً مختلفة للمحافظة على رؤوس الجسور التي تملكها في افريقيا.. ولقد عبّر (السير اندرو كوهين) عن الخطة الجديدة فيما بعد اعترافهم بهذه الأحداث التي أثبتت الكيان الافريقي في أجلى صورته. فقال في كتابه «السياسة البريطانية في افريقيا المتغيرة»: « ان التعاون الموفق مع القومية أعظم حصن لنا » ثم استطرد قائلاً: « في البلدان الافريقية تسير حركات القومية بانتظام نحو مزيد من التقدم والقوة.. والشيء البارع هو أن تقوم الحكومات بالاعتراف بهذا في وقت مبكر » .

كما نجد أيضاً رئيس الوزارة البريطانية (هيرولد مكيلان) يقول بعد أن قام بجولة في افريقيا عام ١٩٦٠: « إن أكثر ما يلفت النظر من جميع الانطباعات التي كونتها منذ غادرت لندن من شهر مضى إنما هو قوة هذا الوعي الوطني الافريقي ». ثم قال: « ان ربح التغير تهب في جميع أنحاء القارة ، وسواء أحببنا أم لم نحب .. فإن نمو هذا الوعي الوطني حقيقة سياسية ، ولا بد أن نقبلها جميعاً كحقيقة .. ويجب على سياستنا الوطنية أن تأخذها في الاعتبار » .

وهكذا توالى الاجتماعات والاتصالات والتحفشات حتى اكتملت حلقات السلسلة لإيجاد الكيان الافريقي بمؤتمر الوحدة الافريقية في عام ١٩٦٣ م. والذي عقد في عاصمة الحبشة - أديس أبابا - ومعلوم انه من قبل أربعة عشر عاماً ما كان عدد الدول الافريقية في الامم المتحدة غير أربعة دول افريقية لا غير ، فأصبح الآن ٣٧ دولة .

ومن المؤكد انه لو لم تجد افريقيا الحديثة استجابة لأهدافها في الغرب فإنها

ستتجه اتجاهها آخر .. ولقد بدأ فعلاً بعض الافريقيين ينظرون إلى الاتحاد السوفيتي أو إلى الصين على أنها رمز التقدم بين الدول المتخلفة ، وهذا يعطينا معرفة بالحجة الاستعمارية القديمة القائلة بأن الافريقيين لا يمكن أن يحكموا أنفسهم ، بالعبارة الآتية : وهي ان الاستقلال مجرد المرحلة قبل الأخيرة التي هي الشيوعية ، وقد قال (السير ودي ويلنسي) رئيس وزراء اتحاد افريقيا الوسطى : « ان الحقائق الواضحة تتم عن أن القومية الافريقية المنطلقة اليوم تلاثم الشيوعية من الألف إلى الياء » .

إذا فالمسلمون في القارة على مشارف الخطر وبالذات الأقليات ، لأن الاستعمار قديماً قد سدّ أمام أعينهم كل السبل التي من شأنها أن تقيهم مخاطر الشيوعية .. وإن نظرة واحدة يلقيها المفكر في سير الشعوب الافريقية المسلمة يجدها تسير أكثر اتجاهها إلى المعسكر الشرقي الملحد ، وإذا كانت الدول المسلمة من القارة قد سلمت أو كادت من تسليم قيادتها للمعسكر الشرقي فما بال الدويلات الصغيرة ؟ وما بال الأقليات المسلمة المتناثرة هنا وهناك علماً بأنها في أمس الحاجة لا إلى الغذاء أو الملابس ، فحسب .. بل إلى عقيدة وفكرة يتكلم بها في هذا العالم المليء بالكلام والتاريخ .

والكلمة الأخيرة هنا : هو ان أي خطة بعد اليوم من قبل دول الغرب لتقسيم افريقيا واستذلالها اقتصادياً لا بد وان تحسب حساب الشعب الافريقي اليقظ الذي لن ينسى في غمرة تحطيم الأغلال السياسية التي تقيده تلك الأغلال الاقتصادية التي ما زالت قائمة .

ومهما كان الأمر ، فدول افريقيا بكيانها الجديد اليوم قد أصبحت قوية بما لها من أصدقاء أقوياء في المعسكر الغربي ، وفي الدول الاشتراكية التي هي قادرة على بذل معونة اقتصادية كبيرة . وعليه فلا خوف عليها أو على كيانها بعد أن أصبح حقيقة واقعة من أي تراحم غربي أو شرقي مهما تعددت مرامي الأهداف

واتجاه المطامع .

وإذا ثبت ذلك بالدواعي الملحة الاقتصادية والتي تتطلبها الكيان الإفريقي أكثر من أي شيء آخر فسيكون ثباته ولا شك قصير الأمد ، سريع الأفول .. وفي هذا التصوير أو التخمين سيكون الشعب الإفريقي وفي كل قطر من أقطاره الواسعة والغنية بالثروات الغذائية منها والطبيعية ، وليس الاستعمار هو الوريث لثروته على أرضه الإفريقية بفضل قوته التي برزت بكيان إفريقي عنيد .

استقلال دول شرقي افريقيا

بقيت دول الشرق الافريقي قرابة ٧٢ عاماً تزرع تحت وطأة الاستعمار الغربي مستنزفاً خيراتها الطبيعية ، مستدرأً ومحتكراً اقتصادياتها الخارجية والداخلية ، حتى أذن الله بإشراق شمس الحرية على هذه الشعوب المغلوبة على أمرها . وحيث كانت افريقيا بأسرها تخضع للنفوذ الاستعماري الغربي فقد تقصد الغربيون تأخير كل ما من شأنه مشجعاً بالأخذ لنيل الاستقلال ، ولهذا نرى وإلى وقت قصير جداً ، أي في عام ١٩٦٠ م . لم ينل الاستقلال من الدول الافريقية سياسياً غير ٢٥ دولة من مجموع ٤١ دولة البالغ عدد سكانها ٢٦٠ مليون نسمة .

ومن ثم اتضح جلياً أن الاستقلال السياسي سار في اتجاه وضعه الحتمي لجميع الشعوب الافريقية وكيفية بناء هذه الشعوب لدولها الجديدة وتطوير الديمقراطية ومتابعة التعمير الاقتصادي بعد الاستقلال السيامي وتحسين مستويات المعيشة ، وإقامة علاقات جديدة بينها وبين البلدان الأخرى ، كل هذا ينطوي على أهمية خاصة بالنسبة لكل الذين يهتمون بالزحف البشري إلى حيث المجد والكرامة (مجد الأمم .. وكرامة حريتها) .

وعلى ضوء هذا السير التقدمي فقد نالت كل من الدول الافريقية الشرقية

استقلالها في الأعوام التالية :

(تنجنيقا في ١٩٦١ م ^(١) .. يوغندا في ١٢ من شهر أكتوبر ١٩٦٣ م .
زننجبار في ١٠ من شهر ديسمبر ١٩٦٣ م . وأخيراً استقلال كينيا في ١٢ من
شهر ديسمبر ١٩٦٤ م) .

وكل هذه الدول تشكل مناطق استراتيجية وتربية زراعية وطاقات بشرية ،
وتضم كلها من السكان ما يوازي ٢٧ مليون نسمة . تقدر كالتالي : (١ - تنزانيا
المتحدة ١٠ مليون . ٢ - كينيا ٩ مليون . ٣ - يوغندا ٧ مليون) .

تقدر المسيحية في المجموعة المئوية ٥٠ ٪

ويقدر المسلمون ٢٧ ٪

واللادينيون ٢٣ ٪

تتكون الحكومات على الوضع التالي :

(١) تنجنيقا وزنجبار جمهورية .

(٢) يوغندا ملكية .

(٣) كينيا جمهورية .

ولكل من هذه الدول في ركائز وضعها برلمانات ومجالس وزراء .. وهي
كلها تدور تحت تصرف الحزب الواحد وهو الذي يسيطر على دفعة الحكم في

(١) وهي التي تدعى الآن باسم تنزانيا وهي اتحاد الدولتين (تنجنيقا ، وزنجبار)
وقد اتحدت هاتان الدولتان في نيسان عام ١٩٦٤ م . لتؤلفا جمهورية ، وتنزانيا عضو في
الكومنولث البريطاني .

حينه . باستثناء - يوغندا - ففيها حزبين ، ودين الدولة وبصورة عامة لتلك الدول (الدين المسيحي) غير انه حتى هذا الحين ما زالت حرية الأديان طليقة . وعلى نطاق واسع بالذات دولة كينيا ، فهي الدولة الوحيدة التي نص دستورها على احترام الحقوق الاسلامية .

معلومات عامة عن الشرق الافريقي

جغرافية أقطارها . حدودها . مساحاتها . مناخها . سكانها . مواردها
الاقتصادية .

١ - كينيا

جغرافيتها .. تقع كينيا على جهة خط الاستواء وعلى الساحل الشرقي من
القارة الافريقية بين خطي العرض ٤ درجات شمالاً و ٤ درجات جنوباً ، ومن
خط الطول ٣٤ إلى خط الطول ٤١ شرقاً .

حدودها .. تحد كينيا من الشمال أراضي أثيوبيا والسودان وإلى الجنوب
تنجانيقا وإلى الشرق البحري جمهورية الصومال والمحيط الهندي .

مساحتها .. تغطي كينيا مساحة ٢٢٥٠٠٠ ميل مربع - منها ٥١٧١ ميلاً
مربعاً من المياه بما فيها بحيرة « رودولف » (Rudolf) وجزء من
بحيرة « فيكتوريا » (victoria) و ٦٠١١١ ميلاً مربعاً من الاغراش والغابات ،
وتتجمع في المرتفعات من كينيا كثافة السكان - كما تنتج المرتفعات والتي
تختلف في علوّها بين ٥٠٠٠ و ٩٠٠٠ قدماً - عن سطح البحر - أكثر المحاصيل

الاقتصادية في البلاد .

مناخها .. حزام كينيا الساحلي هو في الاساس ذو مناخ استوائي - فالمناخ فيه حار ولكن حرارته ملطفة بالرياح الموسمية التي تعصف من الجنوب الشرقي ومن الشمال الشرقي - والمناخ في منطقة الاراضي المرتفعة معتدل إجمالاً ، ويشتد أحياناً .

السكان .. طبقاً لإحصاء عام ١٩٦٢ م . كان عدد السكان ٩،٨٤٧،٠٠٠ مليون نسمة ، ومن المقدّر انه قد أصبح الآن إذا أخذنا بعين الاعتبار زيادة الـ ٣ في المئة السنوية ٩،٧٠٠،٠٠٠ مليون نسمة - وهناك ثلاث ديانات رئيسية وهي المسيحية ، الاسلام ، الهندوسية . ولا زال عدد كبير من السكان الافريقيين يتبعون الاعتقادات والعادات الوثنية .

مدنها الرئيسية .. نيروبي ، ممباسا ، ناكورو ، كيسومو .

مواردها الاقتصادية .. الزراعة هي النشاط الاقتصادي والاساسي لكينيا - وتؤمّن الزراعة وتربية المواشي أكثر من ٨٥ بالمئة من مدخول البلاد من التصدير ، ونتاج كينيا الزراعي متنوع نسبياً . فالمحاصيل التصديرية وخاصة القهوة والشاي ، والسيسال والقطن ، والاشخاب ، تؤلف الجزء الاكبر من قيمة الانتاج الزراعي التسويقي . وتساهم تربية المواشي بشكل متزايد في مدخول المزارع وأرباح التصدير . كما ان البلاد تنتج ايضاً العديد من المحاصيل وخاصة الحبوب (كالذرة ، والارز ، والقمح ، والشعير) وغيرها . وذلك للاستهلاك المحلي بصورة رئيسية .

وبالاضافة إلى ما تقدم فالحكومة تشجع تربية المواشي لإنتاج اللحم وتوابعه ، بينما هناك تجارة واسعة للجلود الخام والمذبوغة .. كما ان صناعة الالبان

والاجبان والصوف تشهد حالياً نمواً مطرداً . وهناك أيضاً طاقات لا يستهان بها من التعدين والصناعة والسياحة ، وتوفير شبكة المواصلات . وباختصار فكينيا تمتلك شبكة حديثة ممتازة من الطرق والسكك الحديدية والخطوط الجوية . فشبكة الطرق الرئيسية الفرعية تغطي مسافة ٢٦٠٠٠ ألف ميل ، كما يوجد أكثر من ٣٠٥٠٠ من الخطوط الحديدية في بلدان إفريقيا الشرقية الثلاث منها ١٠٣٠٠ ميل في كينيا . وتعمل هذه الخطوط كمشروع أفريقي شرقي مشترك تحت إدارة شركة السكك الحديدية والمرافئ الإفريقية الشرقية ، وهي الدائرة الرسمية التي تشرف أيضاً على تسيير خدمات الطرق وممرات المياه الداخلية ، وكذلك على المرافئ الرئيسية .

٢ — يوغندا

جغرافيتها . تقع يوغندا وسط إفريقيا الاستوائية وإن كانت من الناحية السياسية تعتبر جزءاً من إفريقيا الشرقية التي تضم كينيا وتنزانيا ، ويطلق الجغرافيون على المنطقة التي تشغلها بلاد يوغندا (سقف أفريقيا) (Roof of Africa) وهي الهضبة العالية التي تتوسطها بحيرة فكتوريا . وتحيط بها بحيرات « كيفو » و « ادوارد » و « البرت » و « رودلف » وتنجنيقا ، وترتفع هذه الهضبة ٢٠٠٠ متر فوق سطح البحر ، ويوغندا فريدة في موقعها فهي تشغل منطقة البحيرات العظمى التي تغذي بالمياه طول السنة نهر النيل العظيم ثاني أنهار العالم وأطول أنهار القارة وقد شغلت المسطحات المائية نحو ١٣٠٦٨٩ ميلاً مربعاً من جملة المساحة الكلية التي تبلغ ١٩٠٩٨١ ميلاً مربعاً أي ما يعادل ١٥ في المائة .

حدودها . في شمال يوغندا توجد جمهورية السودان وفي جنوبها جمهورية تنجنيقا أي — تنزانيا المتحدة — وجمهورية رواندا — ومملكة بورندي ، وفي

الشرق تقع جمهورية كينيا - وفي الغرب الكونغو (ليوبولد فيل) ويعتبر موقع
يوغندا من الناحية الاستراتيجية في وسط الجمهوريات السالفة الذكر وهي بحق
كما قال الجغرافيون (سقف إفريقيا) .

مساحتها .. تبلغ مساحة يوغندا ٩٣،٩٨١ ميلاً مربعاً ، تغطي المسطحات
المائية من المساحة ما يعادل ١٥ في المئة .. أي ١٣،٦٨٩ ميلاً .

مسيرة الاسلام في يوغندا

والمرة الثانية تعود مقاليد الحكم في يوغندا إلى قائد مسلم مسؤول . وهذا لا يرضي الكثير من أولئك الذين قضوا على الحكم والحاكم المسلم منذ ثمانين عاماً . قضوا عليه عنوة باسم المسيحية .

وحدثنا للقضية في هذه الحقائق سيثير الدهشة والاستغراب عند الكثير ، ولكن هذا الكثير لم يحاول قط التعرف على ذلك التاريخ ، تاريخ أولئك المسلمين . وقد سألت في هذا الشأن معالي وزير المعارف اليوغندي « الاستاذ أبو بكر ميانجا » فأجاب بما فحواه :

عرف الشعب اليوغندي الإسلام على يد التجار العرب من أبناء الجزيرة العربية وكان ذلك في عام ١٨٥٠م وزحبت العائلة المالكة يومها بالإسلام فدخل فيه أفرادها وعلى رأسهم الملك « موقيسا » .

واختلق المستعمرون يومئذ صراعاً فأثار ذلك الصراع فتنة شعبية اشتعلت فيها الحرب بين الفئات الوطنية فاستمرت المناوشات التي أريقَت فيها دماء كثيرة حوالي عشرة أعوام لتنتهي في عام ١٣٩٤م بانتصار الاستعمار الذي أيد بكل قوة فئة المسيحيين ، وطرد قائد المسلمين الأمير نوح ، ذلك البطل الذي عرض عليه الملك إذا رجع إلى المسيحيين فرفض بشدة وخرج من البلاد ليعيش باقي أيامه في

زنجبار تحت رعاية السلطان برغش حاكم زنجبار وملحقاتها ! وقد خلف هذا البطل الإسلامي أمير المسلمين حالياً في يوغندا الأمير « بدر بن نوح » هذا الأمير الصالح الذي أحبط كثيراً من المؤامرات التي قامت وتقوم ضد الإسلام ، وقد تعرض لكثير من المتاعب والمآسي في حكم الدكتور اوبوتي المخلوع !

هكذا روى لنا ابن يوغندا الحديث قصة الإسلام قديماً في بلاده . أما مصدر الأمس فحسبنا منها كتب التاريخ الذي لم تكذب تجمع أنفاسه بعد ، حتى انقضت الأيدي الخفية بقصد أو بغير قصد لتमित هذا الامتداد من الحكم في مهده .

تقول تلك المصادر وهي جد كثيرة ولكنها بلغات القوم الذين لم نفهمهم بعد ولن نفهمهم ، طالما كان المسكرون لمعلوماتنا والمتحدثون باسمها أناس لا علاقة لهم بهم من قريب أو بعيد اللهم إلا ما ندر من استثناءات فرضتها ظروف المنطقة لتشكل بعض الصور والألوان من الاجتماعات التي لم تثبت بعد حقيقة أبعاد أهداف الذين أقاموها .. وسيان كان الأمر لصالح الكل أو البعض ، فنحن لا نريد إلا الخير لإفريقيا عموماً وإلا التضامن والوحدة لأبنائها ، نقول هذا ونحن نؤمل الآمال الكبار على أن يكون الإسلام في كل الديار الإفريقية إسلام عقيدة وشريعة ودستور حياة ، ليسود الأمن بين أبنائه ولينتشر السلام وتسود المحبة كل أرجاء القارة التي رحبت بالإسلام قديماً فاستقبلته في بزوغ عهده ، واحتضنت أهله وبقيت أرضاً وبشراً ترعاه وتحتمي به ، وتغار عليه .

فكم تحمّل الافارقة العزل قديماً وحديثاً من تشريد في سبيل الثبات عليه ، ومن تقتيل في سبيل الارتباط به ، ومن عزل في سبيل الاحتكام إليه .

وبالرجوع إلى مختزل ذلك التاريخ أي منذ ثمانين عاماً ، نجد أن الإسلام أو إسلام حكام يوغندا يومئذ قد أثّر تأثيراً بالغاً في الشريط السوداني غربي النيل ، كما أحدث انفتاحاً في سياسة مصر الإسلامية بالرغم من ثقل الاحتلال الاستعماري البريطاني الجاثم على صدرها والذي استطاع بمكره الحد من هذا الانفتاح الذي

لو قدّر له السير يومئذ لأصبحت كل تلك الأجزاء في وسط القارة ، وجنوبي خط الاستواء أمة مسلمة بكاملها.. وأدركت مصر هذه الحقيقة فأخذت تتسع بحدود السودان نحو الجنوب كما يقول الدكتور محمد محمود الصياد .. ورحب السلطان « كباريجا » سلطان (بونيورو) -مقاطعة غربي النيل - برسل مصر الاسلاميين ، ويرفع العلم المصري على عاصمته بحضور عدد كبير من الأهالي تعبيراً عن بهجتهم بدعوة الإسلام ورمزاً لأخوة وحدة وادي النيل ، الذي مزقه الاستعمار وقسمه إلى حدود جغرافية ، فجعل منه الجنوب ، والشمال ، والوسط والشرق والغرب والمصوب ، والملتقى ، ثم أقام الفواصل والحواجز ، وبث رسله ومبشرينه ، ثم أعقبهم بدهاقنة الاستعمار ليكملوا الخطة المرسومة واللعبة الاجرامية التي أعدت هناك في لندن لوضع حد قاطع للمدّ الإسلامي ، في طول جنوب السودان وامتداد نهر النيل الذي يبلغ طوله ٦٦٩٥ كلم .

وقد رفع الملك « كباريجا » ملك (بونيورو) علم الحكومة المصرية في قلب عاصمته بحضور عدد كبير من الأهالي .

ويتحرك الشعب اليوغندي الذي بلغته الدعوة قديماً بواسطة الدعاة المتنقلين من الساحل الشرقي وزنجبار ، المارين بيوغندا إلى الكونغو الأوسط ، ويتفاعل ملكها « امتيسا » بهذا النبأ فيرسل سفراءه لاستقبال القادمين من الشمال ، ويبعث بهداياه ، ويطلب من مصر أن تبسط حمايتها على أرضه حباً منه للإسلام ووحدة المسلمين ، وأن تبعث إليه بعالمين يهتدي عن طريقهما إلى الدين الإسلامي .

وتلبي مصر الدعوة ويكتب صاحب مصر إلى ملك يوغندا رسالة يقول فيها :

« بسم الله الرحمن الرحيم : أما بعد ، حمداً لله والصلاة والسلام على سيدنا محمد خاتم أنبيائه ، نخصكم بمزيد السلام والتحية ، انه عرضت لدينا مكاتباتكم وعلمنا الهدية التي أرسلتموها ، وحصلت عندنا المسرورية حيث شرح الله صدوركم للإسلام وجعلكم من أمة سيدنا محمد خير الأنام وأوجب علينا إسعافكم في إبعاث العلماء

الذين طلبتموهم لتعليم الديانة .

وبعد تاريخه يرسلوا لطرفكم زادكم الله توفيقاً ورشاداً وهداية والسلام .

وتقضى هذه الخطة مضاجع الاستعمار كما يقول الدكتور محمد محمود الصياد ، وكان قد بيت لهذا الجزء من افريقيا أمراً ، ويهوله أن يتحول ملك افريقي إلى الإسلام ، وأن تم بذلك وحدة وادي النيل وتتألف أجزاءه ، وهنا تبدأ دسائسه وكان له عيونهم ومنهم من أكل عيش مصر وملحها ، بل ما وصل إلى هذه الجهات إلا تحت خدمتها ومن أجلها . ويكتب « غوردون » الموظف المصري البريطاني مقترحاً أن يصدر امر القاهرة بسحب الحامية المصرية من يوغندا ، ولكنها ترد بأن ترك « امتيسا » أمر بارد في حق الحكومة ، وأنه بحسب المعلوم فيكم من حسن الادارة لا يستصعب عليكم إجراء الطرق والوسائط لجذب قلبه وميله وتأليفه لجهة الحكومة (أي حكومة مصر) .

ولم يفعل « غوردون » شيئاً لتنفيذ ما أشارت به القاهرة - لأن ذلك لا يخدم مصلحة الاستعمار الصليبي في مواطن غنية بدائية - وقد كان على اتصال بحكومة لندن وإرسالياتها وذلك لمراقبة أي نشاط إسلامي يتحرك من الخارج إلى يوغندا وما والاها ، وفعلاً نجح « غوردون » لأن الاستعمار الذي وظفه كان يحكم مصر ، والسودان ، ويوغندا ، وكينيا ، وكان مع كثير من أمثاله أدوات طيعة في أيدي الإرساليات التي كانت نشطة جداً في التبشير ، والعالم العربي والإسلامي يومئذ مقيد مكبل إلا القليل لا يتحرك ولا يتطلع إلى شيء إلا إذا سمحت له بريطانيا أو أرادت له فرنسا في حدود وظيفة وداخلية ليس إلا !

وتنافست البعثات التبشيرية أيها - يرتد « بامتيسا » عن الاسلام ؟!

وبدأت أراضي يوغندا الغنية الهادئة تشهد ألواناً من الصراع مختلفة ، وحدثت الخلافات الحادثة بين البعثات التبشيرية المتعددة ، وكلها تريد أن تكون صاحبة الكلمة والنفوذ ، وتألفت الأحزاب الاستعمارية في أرض عاشت مئات السنين

موحدة لا تعرف للفرقة أي معنى ! وقام حزب (البيا انجلترا) البروتستانتى ليربط البلاد بالسياسة الاستعمارية البريطانية ، وفافسه (البيا فرنسا) الكاثوليكي وهدفه أن يدخل يوغندا ضمن دائرة النفوذ الفرنسى وقبل أن ينتصر أحد الفريقين مات (امتيسا) .

وخلفه ابنه (موانجا) ولم يكن في قوة أبيه ، وحدث في أول عهده أن قتل الأسقف (هانتجتين) رئيس الارسالية البروتستانتية فكان قتله نجدة السماء كما يقول - المحتلون - للاستعمار فقد اتخذ من هذا الحادث فرصة ليضرب ضربته القاصمة ، واتحدت الجبهتان البروتستانتية والكاثوليكية ، ضد الملك المسلم وأتباعه من المسلمين وكذا من لم يدخلوا أحد المذهبين المسيحية ، وأجبر الملك على التنازل لأخيه ، واستمرت الحرب الأهلية في يوغندا حيث ذهب ضحيتها مئات الأنفس وكادت الدوائر تدور على البروتستانت ، فاستنجدوا بشركة (شرقي إفريقيا البريطانية) التي أرسلت كابتن (لوجارد) على رأس قوة من جنودها نجحت في القضاء على استقلال يوغندا (الحرية المسلمة) لتبدأ بتاريخ حياة مسيحية تحت المدافع وتحت ضربات وطلقات الرصاص وسيط الضباط الانكليز ، وأن تدخلها الحماية البريطانية في سنة ١٨٩٤ ، أي الفترة التي قضي فيها على المسلمين وحكمهم .

ومن يومها شددت انكلترا الحثاق على الانفتاح للدعوة الاسلامية في المنطقة شمالي مناطق الغابات الوسطى الممتدة من مصب نهر السنغال إلى اقليم برنو ، في غرب حوض النيل إلى الحد الشرقي الذي هو ساحل البحر الأحمر - لأن هذا الاقليم يتخطى وادي النيل إلى الصحراء الشرقية ، وكذلك شمال السودان حتى مدينة الخرطوم ، أو بعبارة أخرى جميع المنطقة الواقعة بين خطي عرض ٣٠ شمالاً و ٢٠ جنوباً مع استثناء وادي النيل في مصر وبعض السهول الجنوبية في برقة وطرابلس ، لأن بريطانيا تدرك تماماً وبأيجديات حسابية دقيقة قام بحسابها دهاقنة التبشير وارساليات الكنيسة - أن ترك انتشار الاسلام في شعوب

إفريقيا الزنجية يخلف آثاراً بعيدة كما قال الكاتب المسيحي - ميك - الذي قرر أن الاسلام لم يترك أثراً عميقاً في التركيب الجنسي لهذه الشعوب الزنجية فحسب ، بل إنه جاء بحضارة جديدة ، أتاحت للشعوب الزنجية طابعاً حضارياً متميزاً ما زال واضحاً حتى اليوم ، مؤثراً في نظمهم السياسية والاجتماعية : ذلك لأن الاسلام حمل الحضارة إلى القبائل المتوحشة ، وجعل من المجموعات الوثنية المنعزلة المتفرقة شعوباً متحالفة ، فقد وسع من أفقها ، ورفع مستوى حياتها بخلق مستوى اجتماعي أرقى بكثير من بعض الشعوب الأخرى المتمدنة وخلع على اتباعه الكرامة والعزة واحترام الذات ، واحترام الآخرين ، وأنسرفيهم تأثيراً جعلهم يستبشعون أفعال أولئك الذين يأكلون لحوم البشر أو الآخرين الذين يشربون الخمر ويأكلون لحوم الخنزير ويعتقدون في أمور ما أنزل الله بها من سلطان .

وهكذا خططت بريطانيا ... وكانت تعمل جاهدة منذ خضعت لها يوغندا - على أن تربط بها النصف الجنوبي من السودان وادي النيل ، فاعتبرت المنطقة جنوب - الملكان - أرضاً مقفلة لا يدخلها إلا من ترضى عنه وتفرح بدخوله ، وشقت الطرق من - جوبا - إلى الجنوب دون أن يوجد طريق واحد يربطها بالعاصمة الأم في الخرطوم ، ووجهت الجنوبيين ممن أتموا تعليمهم في مدارس الارساليات إلى جامعة - ما كيري - في كمبالا يوغندا بدلاً من أن توجههم إلى جامعة الخرطوم في السودان ، لقد كانت خطة محكمة ولكن يقظة السودان المسلم قوّضت تلك الخطة من أساسها ، وبقي السودان بشطريه تحت ظل الحكم العربي الاسلامي .

أما يوغندا - فقد مكن الاستعمار من حكمها المسيحي وأزّره في كل مراحل تطويره ، ونشطت الكنيسة التي كانت محصورة في منطقة محددة حتى عم تبشير ارسالياتها كل تلك الأرجاء ، وقام الاستعمار بدوره أحسن قيام في نشر مدارسه

ومعاهدته وكنيسته فملأها بالمسيحيين وترك المسلمين يرفسون في الجهل والمرض ومنعهم من كل مقومات الحياة ، ورغم كل هذا فقد نشطت مجموعة من الدعاة بالدعوة الإسلامية وكانت الحركة المباركة التي قام بها الأمير بدر بن نوح قد جمعت من حوله قلائل من الرجال أخلصوا للدعوة وتنافست فيها كل مقاطعات يوغندا ، انكولا ، كيقيزي ، تورو ، بنيورو ، أوشولي ، لانقو ، تيسو ، أوقيسو ، بوكيدي ، بوسوقا ، كاراموجا ، فقام المواطنون بإنشاء مئات المدارس القرآنية وبناء المساجد تلك التي حفظت للإسلام عودة ، وعاش المسلمون بدعوتهم أحراراً في عهد الملك الذي عزله الدكتور أوبوتي الذي عاش باقي حياته في لندن وقضى نحبه في العام المنصرم .

وقد ساهم المسلمون جميعاً في دفع عجلة الدعوة مساهمة أقلقت جمعيات التبشير وقساوسة الاستعمار ، كما ساهم المسلمون أيضاً في المطالبة مع الملك المسلم باستقلال بلادهم عن الحكم البريطاني مساهمة فعالة زاد من تقدير الحكومة الملكية للمسلمين كأعضاء في المجتمع اليوغندي ، وفي الفترة التي تلت عهد الاستقلال برزت في الأجواء اليوغندية مشكلتان عانت منها يوغندا ، نوعين من الانقسامات .

الأول والأهم : هو ما نتج عن تصميم النصارى الذين ثقفهم الاستعمار ثقيفاً تكنولوجياً معاصراً مما كان كافياً لاحتفاظهم باحتسار المناصب على حساب المسلمين الذين هم حوالي ثلث السكان في البلاد والذين يعانون دحرأ منظماً من شتى الوظائف الهامة في الدولة ، وجهلاً تربوياً نتيجة لمؤامرات الاستعمار .

المشكلة الثانية :

هي في مجتمع يوغندا ، وهي إقامة الوحدة الوطنية في وجه الانقسامات الإقليمية والقبائلية بالإضافة إلى صعوبة ضم مملكة يوغندا في أمة يوغندية معاصرة

واحدة ، وقد حلت الأخيرة بعد انقلاب أوبوتي وإعلانه للحكم الجمهوري ..
وقد واجه الرئيس ملتون أوبوتي مشكلة الكراهية المتبادلة بين النيلين في شمال
البلاد الذين دخلوا في دين الله أفواجاً والذين يعانون فقراً مدقعاً واعتزلاً جغرافياً
من جهة أولى ، وبين - النيتو - الجنوبيين الذين أكثرهم نصارى والذين رباهم
الاستعمار البريطاني ليكونوا سادة يوغندا المستقلة رسمياً باكثر إعدادهم تعليمياً
من جهة ثانية . فحسب قول - سجل معاصر لأفريقيا - الصادر في لندن ص ٢٣٠ -
٢٣١ فإن جهود القادة الشماليين في سبيل ادخال اقليمهم في مجرى البناء
الاقتصادي الوطني قد وضعهم في خطر التهمة بأنهم يريدون محاباة الشمال الذي
له اتصالاته الكثيرة بالاسلام ، وقد أثبت الدين نفسه عاملاً رئيسياً في تطوير
يوغندا السياسي في العهد الحديث ، لأن المسلمين اليوغنديين يدخلون بسرعة
متزايدة في السباق وراء التقدم الاقتصادي والسلطة السياسية في أرض يوغندا .

وفي سنة ١٩٦٧ م كان المسلمون في يوغندا قد تخلصوا من نير الجنوبيين
النصارى الطائفيين على حد قول الأستاذ أحمد نصر : أحد كتاب جريدة اليقين
الباكستانية - ولكن قضى الله بأن هذا الفجر كاذب ، ففي تلك السنة ألغى
الرئيس ملتون أوبوتي الممتلكات الاقطاعية في يوغندا وأعلن دولة جمهورية
واحدة واستطرد قائلاً : ولنا ندرى في الوقت الحاضر إلى أي حد سيؤثر
تقوية المسلمين في الجيش هذا في الاتفاقية التي أبرمها ملتون أوبوتي مع الاسرائيليين
لتدريب السلاح الجوي الأوغندي وطياريه .

إن ما يسمى بالإجراءات الجذرية التي اتخذها أوبوتي بتوظيف بعض المسلمين
في الجيش اليوغندي لم تصل بعد إلى حد إعطاء المسلمين السلطة السياسية
والاقتصادية التي يرونها موافقة لنسبة مجموع السكان اليوغنديين ، وبالرغم من عدم

توظيفهم في الدوائر الحكومية الهامة - فإن شكاوى الجنوبيين المسيحيين الصاخبة لا تزال بالرغم من أنها الأكثرية الساحقة في المناصب الادارية، وإن حادثة أواخر عام ١٩٦٨ م قد أظهرت اتجاهاً جديداً في استياء المسلمين المتزايد في الأوساط الحكومية في يوغندا، فتحت اعلان الطوارئ الجديدة الواسعة في قبض نظام الرئيس أوبوتي على عضو مسلم في البرلمان هو الاستاذ أبو بكر ميانجا، وعلى مجموعة أخرى من الزعماء المسلمين وأودعهم في السجون، بتهمة بث الكراهية والاحتقار ضد الرئيس بترديد شائعات كاذبة ان أسباباً قبائلية قد دعت أوبوتي المسيحي إلى تأجيل توظيف الأفارقة المسلمين في مناصب حكومة يوغندا. ص ٢٣٤ .

وقد انتقدت الأوساط الديمقراطية خارج البلاد هذه الموجة من القمع بوصفها موجهة ضد الحرية الوطنية . ولكن الرئيس النصراني لم يكشف القناع عن الأسباب الحقيقية لخيار زعماء المسلمين وأخلصهم وطنية منذ عهد بعيد ، ويفسر لنا سجل معاصر لإفريقيا ذلك بقوله :

يبدو أنه كان يساور الحكومة ريبات وشكوك أخرى من جهة أبي ميانجا - الشاب المسلم الذي أقلق أوبوتي وحكومته - فإنه قد دخل في حقل السياسة الوطنية أول الأمر كقوة جذرية ، وأنه قد اقترب أكثر فأكثر في السنوات الأخيرة من موقع القيادة لتزعم المسلمين اليوغنديين ، وأنه قد أصبح شخصاً بارزاً في شؤون جميع مسلمي شرقي إفريقيا .

وقد حاول أوبوتي المخلوع خداع المسلمين وتضليلهم بشتى الوسائل، فكما نصب بعضهم في قيادة الجيش ليضرب بهم إخوة الشمال والجنوب وليقضي بهم على المتحفزين لطلب الحقوق في مقاعد البرلمان والدعوة الحكومية الأخرى ، كذلك نصب في الجانب الآخر جمعية - نعم - العملية لإسرائيل وقد مثل شخصيتها الكبرى - أ- أ- نيكبون ، والمدعو الآخر - عبده عبيد كامليقيا - قاتلاً

الحالية الاسلامية في يوغندا وقد لعب الأول دور مستشار مقرب من الرئيس ملتون أوبوتي .

وقد عرف المسلمون جميعهم أن أعضاء هذه الجمعية بدلاً من أن يقضوا أيام اجازاتهم في اداء فريضة الحج - كانوا يقضونها هناك في حيفا وتل أبيب . وقد نشرت إحدى الصحف الاسرائيلية في القدس مقابلة خاصة مع عبده عبيد كمليقيا نائب رئيس جمعية - نعم - تحت عنوان - الشيخ عبده عبيد ، نائب رئيس جمعية نعم قدم إلى اسرائيل في يوليو ١٩٦٧ م وزار الأماكن المقدسة وصلى في المسجد الأقصى والجزار ، وقابل القضاة والمسؤولين .

وفي مقابلة مع الصحيفة اليومية الاسرائيلية - اليوم - وبعد اختتام زيارته في ٩ يوليو ١٩٦٧ م قال ما نصه : إن ملاحظاتي الخاصة والتأكيدات التي سمعتها أقنعتني بأن الواقع هو مخالف تماماً للدعايات التي نشرت وتنتشر من قبل عناصر خاصة في إفريقيا ، إن المسلمين في اسرائيل يتمتعون بالحرية الكاملة إلى آخر هذا النوع من الأكاذيب .

هذا وقد شجعت حكومة أوبوتي هذه الجمعية وآزرت رجالها ونفذت مخططاتهم فطردوا الكثير من الدعاة وسجنوا آخرين وفرقوا عدة جمعيات اسلامية الأمر الذي جعل من الدعاة والشيوخ المعارضين لهذه الجمعية أن يعيشوا عيشة قلق واضطراب وخصوصاً بعد سجنه لأبي ميانجا - والامير بدر ، والداعية الشيخ علي كلومبا وغيرهم من زعماء المسلمين اليوغنديين - والانكى من كل ذلك أن شدة الاضطهاد قد منحت السلطة المسؤولية عدم المرافعة القضائية ، بحجة أن أبو بكر ميانجا الوزير المسلم السابق والعضو البرلماني في حكومة أوبوتي قد قام بسفرته إلى الشرق الاوسط - ويعني بذلك الدول العربية في الجزيرة والخليج طلباً لتأييد نشاط جمعياته ، ويعنون بالجمعية هنا - جمعية الأمير بدر ابن نوح - والسلطة تعلم حق العلم - أن الدول التي قام بزيارتها معالي الأستاذ

ميانجا - لا ترضى بل لا تسمح لنفسها أن تتدخل فيما لا يعنيتها - ولا تحتفظ منذ انطلقت منها دعوة محمد عليه الصلاة والسلام بأي أوكار للجاسوسية أو بأي أطماع كأطماع الصهيونية التي فتح لها أبواب يوغندا وربط بها تلك الجمعية التي شئت وحدة المسلمين ومزقتهم شر ممزق -

جغرافيتها :

تقع يوغندا وسط افريقيا الاستوائية ، وإن كانت من الناحية السياسية تعتبر جزءاً من إفريقيا الشرقية التي تضم كينيا وتنزانيا ، ويطلق الجغرافيون على المنطقة التي تشغلها بلاد يوغندا سقف إفريقيا ، وهي الهضبة العالية التي تتوسط بحيرة فكتوريا وتحيط بها بحيرات - كيفو - وادوارد - والبرت - ورودلف - وترتفع هذه الهضبة - ٢٠٠٠ متر فوق سطح البحر ، ويوغندا فريدة في موقعها ، فهي تشغل منطقة البحيرات العظمى التي تغذي نهر النيل العظيم ثاني أنهار العالم وأطول أنهار القارة المغمور بالمياه طوال السنة ، وقد شغلت المسطحات المائية نحو ١٣،٦٨٩ ميلاً مربعاً من جملة المساحة الكلية التي تبلغ ٩٣،٩٨١ ميلاً مربعاً أي ما يعادل ١٥٪ .

حدودها :

يحدها شرقاً كينيا والسودان شمالاً ، وتنجنيقا جنوباً ، والكونغو - ليبولدفيل - غرباً ويعتبر موقع يوغندا من الناحية الاستراتيجية في وسط الجمهوريات السالفة الذكر وهي بحق كما قال الجغرافيون : سقف إفريقيا .

وتنقسم إلى ١٢ مقاطعة وعاصمتها السياسية - انتيبه - وبها مطارها الدولي والعاصمة الإدارية - كمبالا - وهي عبارة عن سبعة تلال اقيمت عليها مباني المدينة الحديثة وتتراعى للناظر وحدة منسقة في دروبها ومنعرجاتها في قصورها وحدائقها وتلتقي بالعالم الخارجي بطريق الخطوط السلكية واللاسلكية ، ويوغندا بلاد

برية ليس لها أي منفذ إلى البحر ، وتشارك مع كينيا وتنزانيا في المواصلات البرية والبحرية ، وتستلم معظم الواردات عن طريق ميناء ممباسا البحري لتنقل بعدها عن طريق سكة الحديد التي هي عصب الحياة في مواصلاته لأفريقيا الشرقية .

عدد السكان :

يبلغ عدد سكان يوغندا حوالي ٧ ملايين ونصف مليون تقريباً ، منهم مليونان من المسلمين ، وقد حقق الاسلام في السنوات الأخيرة انتصاراً رائعاً في جذب السكان إلى عقيدته ، فاذا رجعنا إلى الوراء أي عام ١٠٠٠ م فاننا نجد نسبة المسلمين لا تتجاوز ٢٪ من عدد السكان فارتفع تدريجياً حتى بلغ قرابة ٣٠٪ وفي حديث سابق لمعالي وزير التربية اليوغندي قال : إن معدل زيادة المسلمين يبلغ حوالي ١٥٪ سنوياً في حين نجد أن نسبة زيادة عدد السكان عموماً في يوغندا يبلغ بنسبة ٢،٥٪ اثنان ونصف بالمائة مما يظهر أن عدد المسلمين سيكون الغالب في يوغندا في غضون عدة سنوات وتعود تلك الزيادة المطردة في عدد المسلمين إلى كثرة الذين يهتدون إلى الاسلام ، وهؤلاء إما أن يكونوا مسيحيين أو وثنيين .

الملامح الاجتماعية للسكان :

يمكن تقسيم يوغندا إلى قطاعين كبيرين ، فأكبرهما يوغندا التي تشمل على بحيرة فيكتوريا ، ونيانزا ، ومينجو ، وماسكا ، وموبوندي ، وهذا القطاع أكثر ثروة وتقدماً ، ويوغندا أرض خصبة وخضراء التربة ولا يوجد فيها جفاف صيفاً وشتاءاً فهي كثيرة الأمطار ، كثيرة الأنهار وبها خزان جنجا الرائع بشلالاته الهادرة بالمياه دائماً وأبداً ، وأرض يوغندا أرض زراعية فهي غنية بالمحصولات الغذائية ، ومحصولها في الدرجة الأولى البن ، والشاي ، والسكر ، علاوة على محاصيل أخرى ، وسكان هذا القطاع إفريقيون يوغنديون أصولاً كما ان السكان هنا يبدون جميعاً وحدة متماسكة ، وكل هذا يدل على قوة الترابط فيما بينهم وعلى مدى ما

بلغ إليه المستوى الاجتماعي الذي ذابت في رحابه نوازع القبلية .

ثم القطاع الثاني : يوغندا والذي ينقسم إلى جنوبي وشمالى وغربي حيث
يكثّر تعداد المسيحيين والوثنيين، وفي هذا القطاع عدة قبائل إفريقية نزح بعضها
من الدول المجاورة ولهذا لم يبلغ الترابط والتلاحم بينهم مبلغ السكان القطاع
الأول - يوغندا - .

الأوضاع الدينية :

بالنسبة للأوضاع الدينية السائدة فإنه يمكن القول بأن منطقة - يوغندا -
تدين أغلبية مقاطعاتها بالدين الإسلامي وكلهم على المذهب الشافعي -
أما في الجنوب والشمال فإن نسبة كبيرة من هؤلاء السكان ما زال على الوثنية
الإفريقية دين آبائهم الأقدمين ، وقد تمكن الأوروبيون المبشرون أن يجذبوا
عدداً من هؤلاء الوثنيين في السنين الأخيرة إلى الديانة النصرانية بفروعها :
الكاثوليكي ، والبروتستانت ، والارثوذكسي على أن المنجذبين إلى المذهب
الأول أكثر عدداً لأن المبشرين الكاثوليك أكثر فعالية ونشاطاً من
زملائهم الآخرين ، وبما يلاحظ أن المسلمين هناك بصورة عامة أكثر حرصاً على
تعاليم دينهم من بقية مواطنيهم لا سيما المتنصرون من هؤلاء المواطنين الذين
يكادون لا يفهمون من النصرانية إلا أن يتخذوا لأنفسهم الأسماء المسيحية ،
وأن يتصلوا بالمبشرين وارسالياتهم من أجل قضاء مصالحهم الذاتية بينما نجد
معظمهم مستمرون على اتباع التقاليد الوثنية القديمة خصوصاً فيما لا علاقة له
بحياتهم العائلية حيث ما يزال نظام تعدد الزوجات سائداً فيهم والدولة تأخذ
به من الناحية الرسمية .

زعماء المسلمين في يوغندا :

يتقيد المسلمون في يوغندا بتقاليد للزعامة مرعية ، تقاليد حفظت لهم كياناتهم

الاسلامي البارز سنياً طوالاً، وقد شب على هذه التقاليد شعب يوغندا وتوارثت فيهم أباً عن جد ، وقد أصبحت هذه التقاليد ذات أثر كبير في علاقاتهم بعضهم مع بعض بل سهلت الكثير من سبل الاتصال والارتباط بالحكومات التي قادت البلاد على اختلاف نظم أوضاعها ومنذ عهد بعيدة .

فهناك زعماء ، وهناك مشايخ ، ولكل من أولئك الزعماء والشيوخ صلاحياته وارتباط الآخرين به ، وقد أقرت الحكومات التي حكمت البلاد هذه العادات التقليدية .

وعلى رأس زعماء المسلمين المشهورين الأمير المجاهد بدر بن نوح ، ومعالي الأستاذ أبو بكر ماينجا . . والحاج موسى كسيرو ، وعلى رأس شيوخهم الشيخ الفاضل شعيب والشيخ أحمد بن كعب والشيخ علي كلومبا ، وهناك شيوخ كثيرون ومعلمون أكثرهم منبشّين في كل مقاطعات يوغندا ، وقد خدم هؤلاء دعوة الاسلام أحسن خدمة ، وأكثرهم خدمة هو الأمير بدر بن نوح فله يد بيضاء على المسلمين في يوغندا - فلقد وقف الأمير من أراضيه ثمانين هكتاراً في سبيل الاسلام ، أنشأ فيها جامعاً فخماً كما أسس على نفقته الخاصة مدرسة ثانوية في العاصمة كمبالا ووجه عنايته فيها بتعليم الدين ، ومن العادات المتبعة هناك في تنصيب الشيوخ ، هو اجتماع أهل المقاطعة واستدعاء أكبر مجموعة من الزعماء والعلماء ، فيقام احتفال ديني يتبادل فيه الخطباء كلماتهم ، ثم يقدم المؤهلون لتنصيب المشيخة فيلبسهم رئيس الحفل - العمة الاسلامية العربية ، ويعلن على الملأ أهليتهم لذلك ليبلغ الحاضر الغائب ، وهكذا تقام في كل عام تقريباً ، ويخول للشيخ بعد ذلك القيام بإصلاح ذات البين وبالعقود والأنكحة وكتابة الوصايا والوثائق الدينية على نهج الشرع الاسلامي الشريف وبالخطابة الدينية في المحافل العامة وبتفسير القرآن الكريم والسنة بعنونة التلقين إلى غير ذلك مما يتعلق بالشؤون الاجتماعية الإسلامية ، وما زال لباس الشيوخ يعطي الصورة الصادقة المشرفة للزي الاسلامي العلمي ، فهو مكوّن من السروال والثوب ثم الجبّة والعمامة الاسلامية المعروفة وبعضهم يرتدي العمة الألفية أو القلنسوة مع العمة الأزهرية .

أحوال المسلمين في يوغندا :

إن كلمة الحق التي نسجلها للتاريخ هي استمساك مسلمي يوغندا بعروة دينهم إلى حد كبير ، فهم قوم متدينون ، يؤدون شعائر الإسلام ، فيصومون رمضان ، ويؤدون الصلاة في أوقاتها رجالاً ونساءً ويحج المقتدر منهم مراراً . وحسبنا أن نعلم أن المسلم والمسلمة اليوغنديين يحسان بسعادة عظيمة عندما يتمكنان من أداء فريضة الحج ، ويبقى المسلم والمسلمة يفتخران بلقب حاج وحاجة .

وفي يوغندا المئات من المساجد القديمة والحديثة الصغيرة والكبيرة ؛ والكثير منها بني على مستوى عال من التصميم الفني والهندسة المعمارية مما نفقد مثلها في بعض بلدان العالم العربي .

وعلى العموم فإنه لا تكاد مدينة ولا قرية في يوغندا تخلو من مكان خصصه المسلمون لأداء الصلوات ، أما العواصم الكبيرة فتجد في بعضها عدداً من الجوامع وكلها تقام فيها صلاة الجمعة ، وفي المناسبات الدينية كالأعياد والاحتفالات الموسمية ترى المسلمين يتجمعون في المساجد الكبيرة التي تحيط بها الساحات الواسعة فتغص بآلاف المصلين الذين يتوافدون من جميع أطراف البلد لشهود الجماعة في مكان واحد ، وقد شهدت العاصمة كمبالا هذا العام أروع احتفال بمناسبة يوم المولد النبوي سار في موكبه نحو خمسين ألفاً يتقدمهم زعيم البلاد عيدي أمين والزعماء والشيوخ . ولا يفوتنا هنا أن ننوه أن هذه المساجد الكبيرة أو الصغيرة قد بنيت بمجهود أفراد من أهل الثراء ، أو بمجهود اكتاب شعبي ، ويمكننا القول هنا أن يوغندا في حينها لا تحتاج إلى بناء المساجد قدر حاجتها الماسة إلى إشادة المدارس على اختلاف مستوياتها .

المستوى الثقافي :

مما لا شك فيه أن الاستعمار البريطاني الذي دام قرابة ستين عاماً قد سعى

جهده بإقضاء المسلمين عن دينهم وذلك بما فرضه عليهم من نظام تجهيل وإبعاد عن البلاد الإسلامية إذ كان محظوراً على أي مسلم السفر للتعليم الديني اللهم إلا ما ندر وحصل خلصة أو بطرق أخرى سلكها البعض منهم ، كما كانوا أيضاً في أيام الاستعمار البريطاني يتحاشون دخول المدارس الحكومية لاعتقادهم بأن هذه المدارس خاضعة - للكفار - لذلك لم تتجاوز الكثرة الساحقة منهم في ثقافتهم حدود المعلومات الدينية الابتدائية والتي كانوا يتلقونها في مدارسهم الأهلية الخاصة التي يسمونها عندهم « المدارس القرآنية » . لهذا كله ولعدم وجود اتصال بالعالم الإسلامي والعربي يومئذ ولوقوعهم في زاوية الانعزال الكلي داخلياً وخارجياً فقد تخلفوا كثيراً عن الوضع الجدير بهم ، سواء كان ذلك اجتماعياً أو اقتصادياً أو ثقافياً .

وقد غامر البعض منهم للالتحاق بالمدارس الحكومية في عهد المستعمر ، فأفادوا بتخرجهم إخوانهم ، وكان اللقاء الازدواجي بين هؤلاء البعض والبعض الآخر من مدارس القرآن ورحاب المساجد فتمكنوا جميعاً من الحفاظ على الإسلام دعوة وعقيدة .

ويجب هنا أن نميز بين الدعوة إلى الإسلام والتأخر الثقافي العلمي . فالدعوة برجالها عرباً وإفريقيين لم يقفوا لحظة واحدة عن السير بالدعوة للإسلام ، في حين استمر التأخر الثقافي ليضيف إلى ملفه كل يوم وأسبوع وشهر وسنة رصيذاً من المسلمين الجدد الذين لم يجدوا من الإمكانيات المادية ما يأخذ بأيديهم إلى ساحات العلم والمعرفة الشاملة .

وهناك عدد من المؤسسات والجمعيات الإسلامية قد أسهمت في رفع مستوى التعليم للقرآن الكريم ومبادئ الدين ، وأهمها فعالية ونشاطاً الجمعية الإسلامية التعليمية التي يرأسها الأمير بدر بن نوح ، ومن أعضاء المجلس التنفيذي للجمعية الاستاذ أبو بكر ميانجا وزير المعارف حالياً . ويتبع الجمعية عدة مدارس

ابتدائية ، وكلية المعلمين الابتدائية ، ويبلغ عدد المعلمين الذين يعلمون في مدارس الجمعية ثمانين معلماً.. وقد حاول الأمير بدر الاتصال بالدول الإسلامية والمنظمات الإسلامية العالمية لأن تمده بالمعلمين والمعونة المادية فطال انتظاره دون جدوى ، فاستعانت الجمعية منذ مدة ببعض المدرسين التابعين للرساليات ، لأن المدارس والكلية تتبع المناهج التعليمية الرسمية بالإضافة إلى مادة القرآن والدين التي أدخلتها الجمعية كأداة أصلية إضافة على المناهج الرسمية المعترف بها .

وهناك بضعة مدارس أهلية تقوم بتدريس الدين الاسلامي . وتفتقر هذه المدارس إلى مناهج تعليمية سليمة ، وأساتذة قادرين على تطبيق المناهج ، فأين هي الدول الإسلامية .. وقد علم الجميع أن التعليم الراقى بيد الرساليات التبشيرية وبيد الكنيسة ، وتتبع الكنيسة مع الرساليات التبشيرية سياسة حرمان المسلمين من التعليم ..

.. فهي لا تشجع المسلمين على الانتساب إلى مدارسها وجامعاتها - حتى لجأ بعض الشباب المسلم هناك إلى اتخاذ بعض الحيل فأعلن نصرانيته شكلاً وفعلاً ، وتمكنوا من تحصيل العلم ونيل الشهادة الجامعية وبعد أن نال هؤلاء الشباب الشهادات الجامعية أعلنوا عودتهم للإسلام وتمسكهم به عقيدة وشرعية ..

مادة الحديث في الموضوع هذا بالذات مادة من أهم النقاط حساسية ومشكلته أنه من أهم المشاكل التي واجهتها كل الأقطار الافريقية عقب استقلالها واستلام إدارة نفسها .

المسلمون والادارة :

والاعتقاد السائد أن المخلفين للادارة المحلية في المستعمرات البريطانية بافريقيا ، أحسن حالاً من المستعمرات الفرنسية الغربية والبلجيكية والبرتغالية .

ومما هو مسلم به أن توزيع المناصب في الحكومات الافريقية لا يعتمد على

الدين، ولكن الكنيسة بمخططات حمايتها تستعمل سلطانها ونفوذها لمنع المسلمين من الوصول إلى المناصب العليا في الدولة، وتسعى للحيولة بين المسلمين وبين الثقافة والعلم ثقافة القيادة وعلم التدبير .

ومعلوم أن الثقافة والعلم ركيزتان أساسيتان للقيادة والريادة في كل عصر ومصر ، وبما أن المسلمين في يوغندا قوة نسبية بفضل اعتناق أفراد الأسرة الحاكمة في العصور المتقدمة وامتداد الإسلام في أخلافها إلى اليوم ، فقد حاول المسيحيون منذ عهد بعيد تفريق كلمة المسلمين وتشتيت شملهم فجعلوا منهم زعامات متعددة يناصب بعضها العداء للبعض الآخر - الأمر الذي تسبب في إضعافهم وكسر شوكتهم .

هذا في جانب وفي الجانب الآخر حصروا العلم والثقافة تحت سيطرة الكنيسة ، لعلمهم أن في هذا ما يكفي كخطورة أولى تفضي أولاً على الكيان الإسلامي المتكامل الممثل في أولئك الذين تركوهم ليلعب بهم الجهل لعبته التي آلت بهم إلى ما هم عليه من بُعدٍ عن القيادة .

ثانياً - وبما أن المسلمين على الأغلب قد حرموا من التعليم الحديث ، إما بواقع السياسة الاستعمارية التي تعمدت حرمانهم لتحكم فيهم غيرهم ، وإما لخشيتهم من ضياع الدين إذا سمحوا لأبنائهم بالانتساب إلى المدارس المعادية للإسلام .

وهذا الواقع جعل غير المسلمين يسيطرون على مراكز الدولة الرئيسية وأجهزتها الحيوية ، كما وأن الدول المستعمرة قد راعت في كثير من الحالات ، وهي تنهياً لمنح الاستقلال ، أن تلقي الزمام إلى أيدي زعامات غير إسلامية . وأن تستمر في حمايتها عن طريق المعاهدات الثنائية والمعونات الاقتصادية وغيرها كتنزانيا مثلاً ، إذ لا تقل نسبة المسلمين فيها عن ٦٠ ٪ ومع ذلك فإن الزعامات المسيطرة عليها زعامات غير إسلامية تعادي الإسلام .

ثالثاً - إن فكرة تكتل الجماعات الإسلامية على أساس الإسلام، لا تزال غير واضحة ، مما يجعل المسلمين ينقسمون بين الأحزاب السياسية ، وربما يحارب بعضهم بعضاً بحجة النشاط السياسي الذي لا علاقة له بالدين ، مع أن الهدف من هذا التخطيط هو تجميد الأغليات .

رابعاً - إن فهم الإسلام لدى بعض الجماعات الإسلامية فهم خاطيء مشوه تشيع فيه الخرافات والأباطيل مما يقوم سبباً رئيسياً لانفلات الأجيال الجديدة من الرباط الإسلامي ، والاتجاه إلى الأفكار الحديثة التي يرون فيها حلاً لمشاكل الحياة المعقدة ، وبذلك تتجمد طاقات الأغلبية الإسلامية أو الأقلية بين مدرسة قديمة جامدة ، لا تراعي روح العصر ومطالب الحياة . ومدرسة منفصلة تماماً لا ترى في القديم أي خير ، وتتطلع للأفكار الجديدة تقتبس منها ما تعتقد أنه صالح لتطوير المجتمعات وتحقيق الرفاهية ، ومع أن هاتين المدرستين موجودتان حق في البلاد العربية والإسلامية غير الأفريقية إلا أن هذه الفجوة هي أكثر خطراً في افريقيا حيث المعركة ضد الإسلام في ذروتها ، وحيث أن قيام جبهة إسلامية متماسكة تتوقف عليه صورة المستقبل ^(١) .

والمؤسف جداً أننا دائماً ننمى على الأفارقة المسلمين ذلك دون أن نقدم مؤهلات تكفل لهم القيادة ، إذ ما زال سيرنا معهم لا يتعدى في مستواه دروس المدارس الابتدائية التي لا تصنع رجالاً ، ولا تؤهل حكاماً . وما لم يتدارك المسؤولون في الحكومات الإسلامية والعربية هذه الحالة ، وإلا فأجدر بنا أن نكف عن الصراخ ليقضي الله بعباده من المسلمين في افريقيا ما يشاء ويختار .

(١) راجع كتاب « افريقيا مجال خصب للعمل الإسلامي » - تقديم الجماعة الإسلامية - باكستان .

تنافس الأديان والمذاهب الهدامة :

تحتل يوغندا مركز القلب من افريقيا أو السقف العالي للشرق منها ، لذلك وقع عليها الاختيار التبشيري المندفع لتركيز مواقع الأقدام فيها ، وقد أدركت بريطانيا هذه الحقيقة منذ أن عدلت عما خطته دهاقنتها من تثبيت كيان قومي يهودي في يوغندا ، وكلنا يعلم أن التبشير يمارس عمله بوسائله القديمة المغوية ، وهي الدخول إلى نفوس الناس عن طريق أعمال الخير من مدارس ومستشفيات وملاجئ وغيرها . وقد أدرك المبشرون أنهم يواجهون مرحلة جديدة حرجية بعد الاستقلال ، سببها أن التبشير قد اقترن مع الاستعمار ، وأن المسيحية قد عرفت في افريقيا بأنها دين الرجل الأبيض ، فأخذوا يعقدون المؤتمرات ، ويضعون الخطط لفصم الصلة الظاهرة مع الدول الاستعمارية ، وتبني المطالب الإنسانية للشعوب الافريقية وجعل المسيحية ديناً للرجل الأسود بكل الوسائل ، والنشاط التبشيري في يوغندا جزء لا يتجزأ من نشاط التبشير في كل أرجاء القارة ، فالخطط واحدة والأهداف واحدة والعداء للإسلام موحد .

وقد عقد المبشرون قبل مدة من الزمن مؤتمرات على الصعيد الافريقي ، أحدهما في الكلية الملكية بنيروبي - كينيا - والثاني في كلية ما كيري - بمدينة كمبالا يوغندا ، درسوا فيها الوسائل والامكانيات لمجابهة نفوذ الإسلام وإشراك المسيحيين الأفارقة في السلطات الكنسية ، وإزالة الكراهية التي نشأت مؤخراً في قلوب الشعب الافريقي نحو الإرساليات التبشيرية والدعوة المسيحية في الفترات الماضية .

القصد من زيارة بابا روما لافريقيا :

ولا غرابة أن تأتي ثمرة هذه المؤتمرات في الزيارة التي قام بها - البابا - في أواخر ما قبل العام المنصرم إلى يوغندا . وقد عدت الزيارة حدثاً تاريخياً كبيراً

بالإضافة إلى وجود أكبر أقلية كاثوليكية افريقية فيها ، وقد سبقت الرحلة إعدادات كبيرة ونفقات ضخمة حتى شملت الحملة إخراج طوابع بريدية ، وأزار دعائية صور عليها البابا ، ولقد رسمت الخطة باتقان لتحويل الزيارة إلى مظاهر ضخمة تتحول معه يوغندا إلى الدين الكاثوليكي .

أما الهدف العميق لزيارة البابا ليوغندا فسنترك للقارىء اكتشافه من خلال ما كتبه رئيس تحرير جريدة « كريستيان سينس موتتيور » تحت عنوان : « البابا وافريقيا » .. في عام ١٩٦٩م ، لقد كتب رئيس التحرير بالحرف الواحد ما نصه :

إن افريقيا هي تحد للجميع ليس للكنيسة الكاثوليكية فحسب ، وإنما للمسيحية جمعاء ، إن المسيحية جاءت إلى افريقيا السوداء مع المبشرين ، مع المستعمرين الأوروبيين ، وأياً كان هذا صحيحاً أم خطأ فإن المسيحية مرتبطة في عقول الافريقين بالاستعمار .. ثم يتابع قوله : وهذه الزيارة إلى يوغندا فلم يرد البابا أن يشير إلى أهمية افريقيا فحسب ، وإنما ليؤكد أن الكنيسة الكاثوليكية عالمة أكثر من أي وقت مضى بالحاجة إلى الوقوف مع الكنائس الأخرى في افريقيا وذلك من أجل حماية نفسها .

ثم يختم رئيس التحرير مقاله قائلاً : إن على المسيحيين من جميع المذاهب أن لا يغضوا الطرف عن حقيقة - أنه في سنوات ما بعد الاستقلال ، فإن الاسلام ينتشر في افريقيا أسرع من المسيحية ، وهذا بالتأكيد يدل على الكثير .

حقيقة المسيحية في افريقيا :

ولنترك جريدة « كريستيان » ليكتشف القارىء أكثر من هذا ، وذلك من خلال ما كتبه مجلة « التايمز » الأمريكية في عدد آب ١٩٦٩م تحت عنوان : « الرومانية الكاثوليكية في افريقيا » فقد كتبت : إن المسيحية في الشمال

الافريقي قد مُسحت بالغزو الاسلامي في القرنين السابع والثامن الميلاديين ...
ولا أدري لماذا لا ينجل أحدهم حيناً ينكشف للآخرين حقه، وهم الذين ينادون
بوحدة التفاهم بين الشعوب ، فيصرون على أن انتشار الإسلام كان غزواً ،
ويتناسون ببلادة مضحكة تاريخ تقديمهم الديانة المسيحية للشعوب وفي أية قوالب
كانت وماذا كانت تستهدف من وراء ذلك ؟ وهل تقديمها للبشرة السوداء كما
يقولون حباً لذاتها أم لأشياء أخرى ؟ !

انتشار الاسلام :

ويستمر كاتب المقال - إلى قوله - إن الإسلام باق كأكبر دين في افريقيا
حيث يضم ثلث سكان القارة . وهذا أيضاً خطأ ثان يتعمى الكاتب بطرحه إذ
الحقيقة أكثر من هذا بكثير والأيام كفيلة بتفصيل ذلك . ثم تكتب المجلة وكأنها
تعطي الدليل القاطع الذي لا يقبل الشك أو اللف والدوران على أن الكنيسة
هي الأولى والأخيرة في خلق الحكم في افريقيا على الطريقة التي تبتغيها وتبعا
لمخططاتها فتقول : في كثير من الدول الناشئة تقوم الكنيسة في السنغال والتي لا
تضم سوى قادة ما بعد الاستقلال ، فمثلا السنغال والتي لا تضم سوى ٥ ٪ من
الكاثوليك ، فإن رئيس الدولة وثلاثة أعضاء من وزارته ينتمون للدين الكاثوليكي ،
أما الرئيس نيريري رئيس جمهورية تنزانيا فقد كان مدرسا في مدرسة كاثوليكية
وسحق في الكونغو الممزقة ، التي مزقتها التبشير والاستعمار فإن الكنيسة
الكاثوليكية أصبحت تدير معظم الجهاز التعليمي فيها . ثم تكتب المجلة تحت
عنوان : « القسيسة » قائلة : إن قبول أول راهب افريقي كاثوليكي كان في عام
١٨٤٣م وذلك بعد أكثر من ٣٥٠ عاماً على وصول البرتغاليين إفريقيا وإيصالهم
الكاثوليكية إليها . بينما المثال الإسلامي الرائع يظهر أنه بمجرد تحول بلال
الحبشي إلى دار الاسلام تحول معها إلى عضو إسلامي صحابي بارز . ولم ينتظر
الأفارقة في جزيرة العرب أو افريقيا مئات السنين ليصبحوا أئمة للصلاة ..

ومن الغريب الآن أن الكنيسة الكاثوليكية تقبل الأفريقي بتعدد زوجاته
وبعاداته الوثنية وشعارها في ذلك : دعنا نتجمل - من إنجيل - الـ ١٠٠ مليون
أفريقي الذين يتبعون الأديان القبلية الآن .

وكما تذكر مجلة التايم ، فإن الرقصات والصرخات تستعمل الآن لإقامة
الشعائر الدينية حتى أن الطبول المحلية أخذت تستعمل بدلاً من الناقوس ، ولقد
انتقد أحد اليوغنديين ذلك قائلاً :

— إن الأمر أصبح صاخباً كحفلة جمعة .

وقد أنهى البابا زيارته ليوغندا بتعميد ٢٢ صبياً أفريقياً ، وودع كما استقبل
بحفاوة بالغة لم تشهد لها يوغندا نظيراً من قبل كل من الرؤساء الآتين :

ملتون أوبوتي رئيس يوغندا - المخلوع -

جوليوس انيريري رئيس تنزانيا .

كينيث كاوندرا رئيس زامبيا .

ميشيل موكومبيرو رئيس بوروندي .

غريغور كاي باندا رئيس رواندا .

ونظراً لما تقدم فإن الحركة الجبرارة التي يقوم بها دهاقنة الكنيسة وعلى
المستويات العالية جداً سيكون من شأنها أولاً: تثبيت أولئك الذين قد اكتسبوا
في الماضي ، وثانياً : فإن الوثنيين سيكونون أكثر رغبة في الدين المسيحي من دين
المسلمين الذين يعانون الانحطاط الاقتصادي والتعليمي لأسباب جمة أهمها وأشدها
خطراً وفتكاً بهم كلما تقدمت الأيام تركتهم حيارى في الميدان يقاسون كل
مشاكلهم الصعبة ومآسيتهم المتلاحقة ، فلا حكوماتهم المسيحية تحاول التخفيف من
آلامهم ومشاكلهم ، ويكاد أن يكون هذا من رابع المستحيالات ، ولا الحكومات
الإسلامية والعربية تحاول أن تفهم بعمق حق الإسلام عليها تجاه هؤلاء ..

٣ - تنجنيقا

جغرافيتها : تقع تنجنيقا بين البحيرات الكبرى في أواسط افريقيا والمحيط الهندي ، وتمتد إلى جنوب خط الاستواء تماماً ، ولها شواطئ على طول ٥٠٠ ميل تقريباً .

حدودها : يحد تنجنيقا إلى الشمال كينيا وبحيرة فيكتوريا ويوغندا ، وإلى الغرب : مستعمرات بلجيكا السابقة وبحيرة تنجنيقا . وإلى الجنوب الغربي : روديسيا الشمالية ونياسالند وبحيرة نياسا . وإلى الجنوب : افريقيا الشرقية وإلى الشرق : المحيط الهندي .

ويقع الاحقيان من التكوين الطوبوغرافي لكل القارة الافريقية بين حدود تنجنيقا قمة جبل - كيليمينجارو - المكلفة دائماً بالثلج والتي ترتفع إلى علو ١٩٣٤٠ قدماً فوق سطح البحر .

مساحتها : تبلغ مساحة تنجنيقا ٣٦١٨٠٠ ميلاً مربعاً ، منها ٢٠٠٠٠ ميل مربع من مياه البحيرات الكبرى .

مناخها : هناك ثلاث مناطق مناخية رئيسية في تنجنيقا: المنطقة الساحلية ،

القطعة المباشرة من البلاد حيث يسود المناخ الاستوائي، ثم السهل المرتفع الأوسط الذي يتمتع بحرارة مرققة وجفاف كبير، وأخيراً المناطق المتمتعة بمناخ معتدل في القسم الداخلي من البلاد، حيث يسود مناخ صحي ومنعش لمعظم أجزاء البلاد.. وبما أن البلاد بكاملها تقع بين خطي الاستواء فإن الشروط المناخية على الشواطئ حارة رطبة.

السكان : بلغ عدد السكان حسب آخر إحصاء أجري في عام ١٩٦٢م : (٩،٥٣٨،٠٠٠) نسمة . ومن المعتقد الآن أن العدد قد ارتفع متجاوزاً العشرة ملايين نسمة .

وهناك ثلاث ديانات رئيسية في تنجنيقا : (١) الإسلام . (٢) المسيحية (٣) الهندوسية . وما زال عدد كبير من السكان الأفريقيين لادينيين وآخرون وثنيين .

مدنها الرئيسية : دار السلام وهي العاصمة للاتحاد ، وتانقا ، وموانزا ، وتابورا ، وموشي .

مواردها الاقتصادية : الزراعة هي أهم واردات البلاد الاقتصادية . والقسم الأكبر من أراضي البلاد مزروع على الطريقة المحلية من قبل فلاحين أفريقيين ينتجون المحاصيل الزراعية للاستهلاك المحلي .

ومن أهم المحاصيل الزراعية المنتجة في البلاد هي السيسال، القطن، الشاي . وهناك محاصيل أخرى كالتبغ والبيروثروم، والزيت، والسكر، وشمع العسل، والكا بوك، والكاسفا .

ثم هناك تقريباً ٤٢ في المئة من مجموع مساحة أراضي تنجنيقا مكسوة بالأحراج أو بالغابات في حين أن ١٣٩،٧٣٤ ميلاً مربعاً من هذه المساحة منتجة للأخشاب وغيرها .

المنتجات المعدنية المستثمرة؛ تستثمر المعادن على نطاق لا بأس به، وهي الماس والذهب والرصاص، كما تستثمر أيضاً الميكا والقصدير. ويأتي الماس من منطقة تمتد على حدود البحيرة في المقاطعات الوسطى والغربية، وعلى بعد ثمانين ميلاً تقريباً من بحيرة فيكتوريا. وتصدر الانتاج الرئيسي من منجم (موادوي). ويوجد الذهب في أماكن عديدة من البلاد وخاصة في مناطق (جيا. وموسوما) من مقاطعة البحيرة، هذا عدا المعادن الأخرى المستثمرة في البلاد.. فهي: الرصاص، والميكا، والقصدير، والفحم، والملح، والكاولين الفخار الصيني، والمنزيت، والرافيت.

نبذة تاريخية عن الأدوار التي مرت بتنجنيقا^(١)

تاريخ تنجنيقا القديم هو في الغالب قصة تطور التجارة بين ساحل إفريقيا الشرقية من جهة ، وشبه الجزيرة العربية والهند من جهة أخرى .

في القرن الأول بعد الميلاد كان الساحل الذي هو الآن قسم من تنجنيقا لمدة طويلة تحت سلطة حاكم شبه الجزيرة العربية الجنوبية الغربية .

واستمرت الهجرة العربية تتدفق على الساحل من الخليج العربي واليمن فساهموا في انعاش التجارة ، وشغلوا الأيدي العاملة ، وكانوا كلما تكاثروا هناك كلما مكنتهم الحياة من بسط النفوذ ، وقد نشط الاستقرار العربي ما بين القرنين الثامن والحادي عشر .. وأدى لقيام دويلات صغيرة على طول ساحل إفريقيا الشرقية .

وهذه السلطنات التي برزت واشتهرت منذ القرن الحادي عشر كانت تدعى إمبراطورية زنج . و «كلوا» كانت عاصمة لإمبراطوريتهم .

(١) نقل هذا الموضوع من عدة مراجع ومن أهمها : تقرير أحد النوادي الاجتماعية « بدار السلام » تنجنيقا .. وقد وافقت معلوماته ما استسقاها مؤتمر العالم الإسلامي في « كراتشي » .. من المصادر التاريخية والتقارير الوطنية ، ومع اختلاف بسيط يعود إلى الترجمة .

إن ابن بطوطة - الرحالة العظيم - الذي زار الساحل الإفريقي الشرقي سنة ١٣٢٨ ميلادية يلمح إلى الشعب الزنجباري كزنوج مسلمين . وفي القرنين الرابع عشر والخامس عشر امتد نفوذ هذه الممالك إلى المناطق الساحلية لإفريقيا الشرقية بأكملها . وقد كانت « كلوا » المدينة مستودعاً تقع على الطرق التجارية للشمال والشرق . . ومركزاً لتجارة العاج إلى الصين الوسطى ، ولتجارة الذهب إلى للبحر الأبيض المتوسط .

إن خرائب « كلوا » و « سانقومنارا » المهيبة ، والعثور على عدة قطع نقدية كان قد صكها السلاطين لتشهد بنجاحهم وريختهم وقوتهم . وثمة كميات هائلة من الخزف والفخار الصيني من (صنع الطابع العربي) لتقدم دليلاً ثابتاً على تجارتهم . لقد أخذت الإمبراطورية الزنجبارية بالتدهور حالاً بعد ظهور البرتغاليين في البحار الإفريقية في نهاية القرن الخامس عشر .

لقد استولى البرتغاليون على مدينة (كلوا) سنة ١٥٠٥ م . وعاثوا فيها فساداً - قتلًا ، ونهباً ، وتدميراً - فدمروا معظم الثلثائة جامع التي كانت في تملك المدينة . وقد استشهد الألوف من المسلمين حين تعرض الغازي لهدم المساجد وحرق المصاحف وكانت المساجد يومئذ عبارة عن مكان للعبادة ومدرسة للتعليم وناد للاجتماعات الإسلامية . ولم يتوقف البرتغاليون عند حدهم هذا . . بل استمر زحفهم إلى كل أقطار إفريقيا الشرقية المأهولة بالمسلمين . واستولوا على (ممباسا) و (مقديشو) ومضت فترة من الزمن والبرتغال تتحكم في حكم الساحل الإفريقي الشرقي والشعب كل الشعب يئن تحت وطأة القوة الغاشمة حتى نهاية القرن السادس عشر ، إذ شرع العرب والأتراك يسببون للبرتغاليين متاعب أقلقتهم لا في الساحل الشرقي - فحسب - بل في كل بلد احتله البرتغاليون في إفريقيا في الجزيرة العربية في الهند .

ولقد كانت لأمة عمان في غضون ١٥٩٢ م . تأثير دولي عظيم في الأساطيل البحرية ، وقد أسفرت هذه القوة عن نتائج بلغت ذروة المجد والعز بفتوحات « سيف بن سلطان » وبالقضاء على البرتغاليين نسبياً في شمال (موزمبيق) ، وفي القرن الثامن عشر استعادت (كلوا) بعضاً من ازدهارها التليد الغابر ، وكانت مع كل المدن الساحلية تعيش عيشة رغيدة ملؤها الاستقرار تحت الحكم العماني ، فقد وزع على كل مدينة وقرية حاكماً يحفظ نظامها ويرعى شؤون مصالحها ، وقد وزع الحكام على المدن التالية (ممباسا ، زنجبار ، كلوا ، باقي) بالقرب من لامو المدينة العلمية المشهورة .

وما لبثت موالاة هذه المدن للحكم العماني حتى أخذت تضمحل شيئاً فشيئاً ، فنقل سعيد الخامس من العائلة الحاكمة عاصمته من « مسقط » الى « زنجبار » عام ١٨٣٢ م . وعندما اختاره الله لجواره عام ١٨٥٦ م قسمت مملكته بين ولديه ، وكان القطاع الإفريقي من نصيب « مجيد » الذي خلفه أخوه الأصغر « برغش بن سعيد » سنة ١٨٧٠ م . وعرف لدى العموم في الساحل الإفريقي والدول الأخرى - بسلطان زنجبار - وقد بسط نفوذه بالإضافة إلى جزيرة زنجبار وبيمبا « الجزيرة الخضراء » ومافيا على طول الساحل الشرقي الإفريقي من رأس « ديلجادو » شمالاً إلى بعض الموانئ الصومالية مع توسع غير محدد تماماً في أرض البلاد الداخلية . ولقد عاش السلطان « برغش » على أي حال ليشهد الغدر والخيانة الغربية ، فجزئت دولته بواسطة بريطانيا ، وألمانيا ، وإيطاليا .

وفي - آذار - عام ١٨٨٨ م . ترك لخليفته « سيد خليفة » مجرد جزء من بلاده التي كان قد حكمها ذات مرة . وقسمت الأقاليم من الدولة التي استولت إيطاليا على القسم الشمالي ، وبريطانيا على القسم الأوسط ... وأصبح يعرف فيما بعد بمحمية « كينيا » ، وألمانيا حازت على القسم الجنوبي (وعرف فيما بعد بتنجنيقا)

كما جعلت أيضاً جزر « مافيا » و « زنجبار » و « بيمبا » محميات بريطانية إبان الحرب الكونية الأولى التي انتزعت الجيوش البريطانية بلاد «تنجنيقا» من الألمان سنة ١٩١٦ م. وفي سنة ١٩١٧ م. انتدبت بريطانيا من قبل الجيوش المتحالفة لتحكم البلاد ، وقد صدقت عصبة الأمم على هذا القرار سنة ١٩٢٢ م.

استمرت ادارة شئون « تنجنيقا » تحت شروط عصبة الأمم إلى أن حولت إلى نظام وصاية بموجب اعلان الأمم المتحدة بواسطة اتفاقية الوساطة في ٣ كانون الأول سنة ١٩٤٦ م. ثم اتخذت الأمم المتحدة حلاً يقضي بانتهاء اتفاقية الوصاية في ٢١ نيسان ١٩٦١ م . وأصبحت « تنجنيقا » مستقلة استقلالاً تاماً ضمن الكومنولث البريطاني في ٩ كانون الأول ١٩٦١ م. وفي الرابع عشر من كانون الأول أصبحت عضواً في الامم المتحدة ، وفي الثاني والعشرين على شهر كانون الثاني سنة ١٩٦٢ م استقال (جوليوس أنيريري) الذي سبق أن انتخب رئيساً للوزراء في أيار سنة ١٩٦٢ م من منصب رئاسة الوزراء كي يكرّس نفسه ليكون مؤزارة شعبية لحكم (اتحاد تنجنيقا الوطني الافريقي) وحل محله الشيخ رشيد كواوا ، الذي كان وزيراً في وزارة « أنيريري السابقة » .

وفي شهر أيار ذاته ١٩٦٢ صرح الشيخ رشيد كواوا بأن حكومته قد قررت بأن تنجنيقا يجب أن تصبح جمهورية ضمن « الكومنولث البريطاني في شهر كانون الاول ١٩٦٢ م وفي ذلك الشهر انتخب « جوليوس أنيريري » رئيساً لحكومة تنجنيقا » وأصبح الشيخ رشيد كواوا « نائباً للرئيس ..

زنجبار

جغرافيتها : تقع جزيرة زنجبار في المحيط الهندي على بعد عشرين ميلاً من الساحل الأفريقي ، وتبلغ مساحتها نحو ٦٤٠ ميلاً مربعاً . ولقد كانت لزنجبار البلد الإسلامي العريق تاريخ مجيد وأي تاريخ ؟؟

فقد كانت بحق نجمة بيضاء في سماء افريقيا الشرقية ، كما كانت مبعث الأمل ومنطلق الإسلام وحصنه الحصين . وتتألف زنجبار من جزئين :

الأولى : « زنجبار » (Zanzibar) .

الثانية : « بيمبا » (pemba) .

وهناك جزر صغيرة واقعة ضمن مياهها الإقليمية . وجزيرة « لاثام » وهي غير مأهولة .. وتقع على مسافة أربعين ميلاً إلى الجنوب الشرقي من جزيرة زنجبار .

وزنجبار مفصولة تماماً عن الأراضي الأفريقية الرئيسية (تنجانيقا) بقناة عرضها الأدنى اثنان وعشرون ميلاً ونصف .

مساحتها : تغطي مساحة جزيرة زنجبار ٦٤٠ ميلاً مربعاً وهي أكبر جزيرة على الشاطئ الأفريقي الشرقي .

وتغطي مساحة « بيمبا » ويطلق عليها الجزيرة الخضراء ٣٨٠ ميلاً مربعاً ،

ويتكون الثلثان الواقعان في أواسط البلاد وشرقها من أراضٍ واطئة ضعيفة الري . أما الثلث الباقي من الناحية الغربية للجزيرة فخصبة جيدة الري مع عدة حواجز صخرية ترتفع إلى ٢٠٠ قدم وأهمها يرتفع إلى ٣٩٠ قدماً فوق سطح البحر . . وتتألف جزيرة بيمبا من حاجز أرضي مسطح يمتد بعرض ستة أميال تقطعه بعض السواقي وترتفع قمته القصوى إلى ٣١١ قدماً فوق سطح البحر ، وباستثناء حزام ضيق من الأراضي الأرجوانية القاحلة ، الواقعة في القسم الشرقي من الجزيرة .

دخول الاسلام الى جزيرة زنجبار :

أشرنا فيما سبق من ثنايا الكتاب ، أن العرب المسلمين استوطنوا افريقيا الشرقية عام ٥٦٥ (٦٨٤ م) .

وقد دخل الإسلام إلى زنجبار في ذلك التاريخ حيث لم تعرف افريقيا الشرقية بهذه التقسيمات الحالية ، بل كانت منطقة واحدة ، وكان العرب والشيرازيون يقطنون السواحل منها - فنظموا موانئها وأقاموا منها مرافئ عالمية في يومها ، تبحر منها سفنهم الشراعية إلى الجزيرة والخليج والهند .

وبهذا فقد عرفت زنجبار الدين الإسلامي قبل وصول الحكام العثمانيين بعدة قرون .

حقائق وأرقام :

إن النتائج الخالصة التي أسفر عنها الاختلاط العربي الافريقي في افريقيا الشرقية إبان الأربعة عشر قرناً الماضية هي :

١ - ثبات الكيان الصومالي الشجاع ، وكلهم مسلمون متعصبون أشد

التعصب للثقافة العربية الإسلامية ، وقد تم إنشاء هذا الكيان في استخلاص دولته المستقلة المنتمة إلى عضوية الأمم المتحدة .

٢ - إن ما يقرب من ٧٥ بالمائة من شعب تنزانيا هم مسلمون ، ولو أنهم متخلفون ثقافياً .

٣ - إن المسلمين يؤلفون أكثرية تبلغ ٧٠ بالمائة في مقاطعة الحدود الشمالية التي تمثل نصف مساحة القطاع الساحلي المطل على المحيط الهندي وتبلغ مساحتها ١١٦,٧٨٢ ميلاً مربعاً - وتقع بين يوغندا - والصومال - والحبشة - والمقاطعة الوسطى والجنوبية في كينيا .

وبالتحديد قسمت مقاطعة الحدود الشمالية إلى ستة أقاليم هي :

« أ » منديرا ، أوجير ، قاريسا ، وتقع في الجزء الشرقي .

« ب » مايل ، مارسبيت ، اسيلو ، وتقع في الجزء الغربي .

يضاف إلى ذلك إقليم توركانا ، إلى الغرب من بحيرة « رودولف »

٤ - إن المسلمين يشكلون أكثرية في :

« أ » زنجبار وملحقاتها .

« ب » القطاع الساحلي في كينيا :

مشكلة توحيد المسلمين :

والشيء الذي يثير الاهتمام هو أن هناك مشكلة معقدة حاكها الاستعمار حين كان يطبق سياسة (فرق تسد) هذه المشكلة هي أم المشاكل التي يعانيها المسلمون في إفريقيا الشرقية ، والأكثر إلحاحاً من بين جميع المشاكل مشكلة توحيد الأجناس والقبائل والطوائف والطبقات في أمة إسلامية واحدة فوق

إننا نجد المسلمين هناك وللأسف الشديد تتناهم التقسيمات القبلية، والطائفية، والطبقية، وكلهم لا يشعرون إلا شعوراً ضئيلاً وضئيلاً جداً بالوحدة والأخوة فيما بينهم.

وانعدام مشاعر الأخوة هذه، هي أكبر عقبة في سبيل عزمهم، وما لم يتدارك أولي الأمر منهم وأصحاب اليسار من رجال المال القيام بما يجب عليهم نحو المتخلفين منهم والمساكين من إخوانهم في الدين كفريضة عليهم لا منة واستعلاء. وهذا لعمري ضروري وأسامي لبقاء المسلمين كياناً متحداً مع الدولة التي تحكمه أياً كانت. فما لم يصبح المسلمون أمة إسلامية وسطاً بين الطوائف الأخرى، تجمع بينهم الأخوة، فليس لهم أن يطمحوا مستقبلاً في شيء يمكن أن نسميه حياة إسلامية بالمفهوم الإسلامي الصحيح..

إن مشكلة توحيد المسلمين العرب والسواحليين والأفارقة والآسيويين وصهرهم في أمة إسلامية واحدة هي مشكلة وجودهم بالذات، وشرط حریتهم في كل إفريقيا الشرقية..

إن المسلمين الأفارقة يرتابون كثيراً بالمسلمين عرباً وآسيويين، ويشكون من أن العرب قد تقاعسوا عن العمل من أجل النهوض بإخوانهم المسلمين الأفارقة. فما لم يزل هذا الشعور بعدم الثقة والاطمئنان وينصهر المسلمون الأفارقة والعرب والآسيويون في كيان واحد بهدف إسلامي واحد، فليس هناك أي أمل أو

(١) ففي الساحل الكيني مثلاً نجد هناك المجتمع الإسلامي يمزق أشلاء بين عدة طوائف : فهناك العرب، والأفريقيون السواحليون والاثنا عشر طائفة، والشيعية الانتعشيرية، والآغاخانية الاسماعيلية، والبهرة، والميمن، و، و، والجميع يقرون بالإسلام ديناً ولكن مع الأسف « تحسبهم جميعاً وقلوبهم شتى » فلم كل هذا ١٢

مستقبل للمسلمين في هذه الرقعة من العالم .

إن على الطبقات الإسلامية الغنية أن تؤدي واجبها نحو « الأمة » وأن تكفّر عن إهمالها في الماضي للطبقات المتخلفة المحرومة ..

أما المسلمون الآسيويون بصورة عامة من باكستانيين ، وبنجاب ، وهنود ، وبلوخستان ، وإسماعيلية ، واثن عشرية ، وبهرة ، فيجب أن يتحرروا من تلك العزلة التي تزري بالوضع الإسلامي في الشرق الإفريقي ، فإن منهم وكثير منهم من لا يهتمون أي اهتمام بشؤون المجتمع الإسلامي ورفاهية أتباعه ، من دونهم ، وهذا الشعور البرهمي القائم على العزلة الطائفية ، أو العنصرية ، أو المذهبية ، هو شعور قتال مميت لمستقبلهم فضلاً عن أنه مخالف ومغاير لتعاليم الإسلام وتعاليم القرآن ، فما لم يهبّوا بدافع من إيمانهم بالله وأخوتهم الإسلامية فإن يومهم لآت - في إفريقيا الشرقية الحرة .

وأخيراً تعترضنا هنا « مشكلة الثقافة الإسلامية » بإفريقيا الشرقية !!

إن مشكلة التآخي الثقافي هي وصمة عار على جبين المجتمع الإسلامي في كل أقطاره شرقاً وغرباً جنوباً وشمالاً . إنها المشكلة الثانية بعد مشكلة التكافل الطبقي ، ومشكلة الثقافة الإسلامية هي مشكلة الوجود للكيان الإسلامي ، إنها المشكلة التي تتوقف عليها « صيرورة الأمة الإسلامية » أمة متميزة . ولهذا الغاية يمكن اتباع الطرق الآتية :

١ - إنشاء جامعة إسلامية ، تُشاد على أرض شاسعة بوصفها الجامعة المركزية الإسلامية التي تلبي حاجات الشباب المسلم المثقف في إفريقيا الشرقية والوسطى وتوفّر لهم الدراسات الإسلامية والثقافة الدينية والفنية .

٢ - السعي وراء تحقيق إنشاء مؤتمر ثقافي إسلامي لإفريقيا الشرقية على طراز المؤتمر الثقافي الإسلامي لعموم الهند الذي نظمته سير « سيد

أحمد خان « في عليكره » الهند » ويجب أن ينظم على أسس سليمة وأن يكون من أعضائه الموظفون والإداريون في الأجهزة الحكومية من المسلمين الخ .

٣ - يجب إنشاء بعض المدارس الفنية ، والكليات العلمية ، والمعاهد الإسلامية على أن تتعاون في ذلك الدول العربية والإسلامية .

٤ - إنشاء المجلس الإسلامي الأعلى - المنتخب من المسلمين - لرعاية مصالح المسلمين الاجتماعية والثقافية والدينية في كل من يوغندا وتنزانيا وكينيا .

٥ - إنشاء بيت المال دستورياً لإدارة أموال الصدقات ، والزكاة ، والأوقاف ، والمساجد ، والمدارس ، والكليات ، والميتم ، وغير ذلك من المؤسسات الإسلامية .

وعلى الدول العربية والإسلامية تقديم المنح الدراسية على شق المستويات للمسلمين الأفارقة ، كما عليها أيضاً إرسال بعثات تعليمية مؤهلة للتعليم - وأن يكون هذا التأهيل على مستوى من الاختبار - لا أخذاً بدعوى من يدعي ذلك حتى إذا ما بعثنا بهم وأنفقنا النفقات الطائلة ألفيناهم لا يعملون للدعوة أو الإرشاد أي شيء ، وهذا هو الحاصل . وأخيراً :

٦ - يجب على المسلمين جميعاً ، أن يتخذوا مؤازرة حركات التحرر الإفريقي مبدأ لهم دون أن يقرنوا أنفسهم بالعنصرية مهما كان شكلها .

عود إلى بدء :

.. أما معرفة الغربيين بسواحل إفريقيا الشرقية وبالذات زنجبار فكما تحدثنا

في تضاعيف هذا الكتاب أنها لم تعرف إلا عندما مرَّ عليها «فاسكو دي جاما»
الرحالة البرتغالي المعروف ، وذلك عند عودته من الهند سنة ١٤٤٩ م . وعلى
ضوء الظروف التي تمخضت بها أحداث ذلك الكشف الغربي الذي أريد به
استعمار الشعوب وإذلالها باستنزاف خيراتها وتسخير طاقاتها البشرية لخدمة
السيد الأوروبي ، فقد وقعت زنجبار تحت الحكم البرتغالي سنة ١٥٠٣ م واستمر
هذا الحكم بطاغوته وجبروته قرابة قرنين .. ولم تخلص منه إلا بعد مشاورات
بين الفئات الوطنية أسفرت عن طلب النجدة من سلطان عُمان ومسقط ، فلبى
السلطان طلبهم وجهز جيشاً عربياً قوياً أبحرت به السفن الشراعية عن تلك
الموانئ النائية وهاجمت البرتغاليين في طول الساحل الأفريقي الشرقي وعرضه
حتى أجلتهم جلاء كاملاً . وسأني تفصيل هذه الحوادث في موضعه من حديثنا .
وعلى اثر ما تم من التطهير الكلي للبرتغاليين أصبحت زنجبار وبيمبا قسماً من
سلطنة عُمان ومسقط .

ولا يغرب عن بال امرئ أن هذا الحدث لم يكن يومئذ كما فسره الغربيون
المستعمرون ويفسره في الوقت الحاضر المفرضون من هنا وهناك .. بمثابة
استعمار جديد . ولكن أنى لنا بكتاب للتاريخ الحق ؟ وبالذات في هذا الوقت
الذي التبست فيه الحقائق وانعكست فيه الوقائع وأصبح الحق باطلاً ،
والباطل حقاً .

لقد كان ذلك الحدث أولاً وأخيراً أمراً شرعياً افترضته ظروف تلك
الأزمان التي حفت بها المخاطر فعاشت تلك البقاع قتلاً ونهباً وسلباً ، بل وإبادة
أثخن فيها المستعمر البرتغالي .

ولقد كانت تلك الأرجاء تغص بالمسلمين عرباً وأفريقيين . وكانت الحرب ..
وكانت الغارات سجالاً بينها وبين الدخيل البرتغالي الذي وافي تلك الديار الآمنة
المأهولة والمعمورة بأهلها والمترابطة مع العرب منذ أقدم العصور حتى كان

التزاوج بينهم و كثر النسل ، فانعقدت بينهم أواصر القربى بالدم بعد تثبيت وشائجها بالإسلام الذي جعل منهم أمة واحدة .. لا سيد ولا مسود إلا في حكم الأعراف الاجتماعية التي قضت بها السنن الكونية من تنصيب سلطان أو حاكم أو ما يندرج تحت مضمون هذه المفاهيم في كل مكان وعصر وزمان .

ولو لم يكن كل هذا لما رأينا الطلب المقدم الذي انعقدت عليه ساسة تلك البقاع يستحق شيئاً من الالتفات أو العناية ! وإلا ما الذي جاء بذلك الجيش المسلم الظافر ، الجيش الذي تكبد المشاق في سفنه البحرية وتعرض لهجمات الأسطول البرتغالي وهو يبحر من أرض 'عمان العربية' ، ليحق الحق ويبطل الباطل ، فيقدم نفسه ونفيسه دفاعاً عن إخوة له في الدين والإنسانية ، ملبياً داعيهم ، مجيراً لهم مبدداً ما حل بهم من حيف .

أين المنصفون للتاريخ ؟؟

أين الذين يفرقون بين محتل غربي حطّ قواه وتركها سائبة تفتك وتدمر وتستعبد ، وهذا هو ما فعله البرتغاليون وما شهد لهم تاريخ تلك الجهات بأكثر من هذه الدلائل وهي ماثلة الأثر في أكثر من بقعة في تلك الجهات . فبالرغم من استعمار دام مائتي عام لم تحك لنا أسفارها التاريخية أنهم أشادوا معلماً أو أسسوا مدرسة . اللهم إلا ما كان من تضافر القوى الوطنية . ولا نجد له فضلاً في ذلك أو غيره بأكثر مما قام به من تشييد الحصون والقلاع لتحميه من غضب الأمة إذا ما ثار ثأرها .. وإلا أكثر مما أشاده من سجون ومحاكم ، سجون ادّخر فيها عشرات الألوف من الرقيق ، ومحاكم سادتها أعراف الظلم والجبروت .

إن « موزنبتيق » التي شهدت أول قدم برتغالي وطأتها في عام ١٤٩٧ م ، لا تزال إلى اليوم والغد تنئن تحت وطأة جبروته ، والعالم أجمع بحكوماته وهيئاته يدرك هذا ! فماذا فعل؟؟ ستة ملايين أو يزيدون تحكمهم طغمة من الغزاة بالحديد والنار والقمع والإبادة . ولا يتحرك لهذا أو يهتز العالم الذي يسمونه بالعالم الحر في القرن العشرين !!

هذا حديث الحاضر وحقائقه ، وأكثر منها هناك في جنوب افريقيا ،
وروديسيا . وفي الماضي في عام ١٥٠٥م يبحر أعنف أسطول من البرتغال يتألف
من عشرين سفينة عليها ١٥٠٠ محارب بقيادة الاميرال « فرنسيسكو دو أليدا »
إلى أين يا ترى ؟...

إلى افريقيا الشرقية .. الآمنة المطمئنة بأهلها إفريقيون وعرباً يعيشون في
التحام ووثام - فيصلها ليحتل بالقوة مدينة « سفالة » مدينة الذهب ثم مدينة
« كلوا » وبعدها ممباسا - فقاتله أهلها المسلمون قتالاً شديداً ، ولكنه استطاع
احتلالها أخيراً فنهبها وأحرقها . ولما خرج جنده منها رجع إليها الأهالي الفارون
وكتب شيخها العربي المسلم إلى شيخ مدينة ماليندي ^(١) يصف الحالة في مدينته
ويحذر زميله فقال : « ليس فيها حي ولا رجل ولا امرأة ولا صغير ولا كبير
ولا طفل ولا رضيع وكل من عجز عن الهرب قتل أو مات حرقاً » .

في عام ١٥٠٦م توجهت حملة برتغالية مؤلفة من أربع عشرة سفينة شمالاً إلى
« لامر » فخضعت هذه ودفعت الجزية . وجاء دور مدينة « اوجا » فرفضت
الخضوع للبرتغاليين كما رفضت دفع الجزية وقال أهلها : إنهم لا يعترفون بسلطان
أحد عليهم إلا بمصر والخليفة فيها ، فهاجمها البرتغاليون وأحرقوها وتقدموا إلى
« براوة » ^(٢) ، وقاومتهم المدينة مقاومة باسلة منقطعة النظير ، ولكن البرتغاليين
انتصروا عليها فأحرقوها .. وأخيراً أقام البرتغاليون في سفالة وموزمبيق و« كلوا » ^(٣)

(١) Malindi تبعد عن مدينة ممباسا ٧٥ ميلاً وهي مدينة سياحية خلابة ، وقد أقام
فيها اليهود حالياً عدة فنادق ومباني أخرى تمهيداً لغزو يبدأ فكراً وحضارة وينتهي بالسيطرة
على ثروات البلاد .

(٢) براوة : إقليم كبير في الجزء الشمالي من الجمهورية الصومالية . وجميع سكانه حالياً من
المسلمين الصوماليين والعرب المهاجرين من حضرموت الداخل والشَّحَر ..

(٣) سفالة في القديم مدينة من مدن تنجنيقا وقد تغيرت معالمها حالياً وكأن لم تكن وأصبح
شأنها شأن « كلوا » التي لم يبق منها إلا آثارها . أما موزمبيق فلا تزال مدينة حية يحكمها
البرتغاليون إلى الآن .

حكماً مباشراً تسنده الحاميات والأساطيل البحرية القوية ، فضعف حكم العرب
والأفريقيين ، وارتحل عدد كبير منهم إلى الشمال . أما « كلوا » فقد كادت
تنطمس آثارها . وأما موزنبيق وسفالة فلم يبق فيها أي أثر للعرب فاستعمرتا
حتى هذا اليوم كما أسلفنا . . وبالنسبة للشمال من الساحل لم يتعد سلطان البرتغال
وجود جماعات من التجار بدون حصون وحاميات وأساطيل وإن كانت أساطيل
البرتغاليين تزورها أحياناً لجمع الجزية قهراً وقسراً . ونتيجة لضغط البرتغاليين
انقطعت الصلة تقريباً بين هذه المدن وبين الوطن الأم البلاد العربية الجنوبية
التي كانت تمدّها دائماً بأفواج قوية من أبنائها . ولم يستطع البرتغاليون التوغل في
داخل إفريقيا الشرقية ، وقد حاول المبشرون منهم التبشير بالدين المسيحي
ولكنهم فشلوا فشلاً ذريعاً . . لأنه ليس من المعقول تقديم دين المسيح على فوهة
مدفع ؟؟ في حين كانت هذه المناطق بأكثريتها إسلامية ومن لدن العقد السابع
للقرن الأول الهجري .

دخول الحكم العماني العربي في زنجبار

متى وكيف بدأ .. وما هي حوافره ???

وكيف انتهى .. وما أسباب ذلك ??

سؤالان يحيران المؤرخ الحاذق بم محيب ؟ وعمّ يكتب ؟

متناقضات تتناثر أمام مخيلته ، حقائق في واجهة وأكاذيب في أخرى ، عدل في جانب ومكر وخداع في جانب آخر . إنسانية تبني لتحيمي وتشيد وتسمى جاهدة للعيش في أمن وسلام . وأخرى تحسف وتبيد وتشتت لترضي الضمائر الحاقدة ولتشبع الغرائز النهمه . وعلام كل هذا ؟ ومن المستفيد غير الاستعمار؟ الاستعمار الغربي الذي ما برح منذ عرف إفريقيا حتى اليوم وهو يسمى جاهداً في إشعال الفتن وإثارة الأحقاد والضغائن ، وتلك طريقته ، وعليها نشأ وبها ساد وكانت غايته دائماً وأبداً « فرّق تسد » .

إن الإجابة عن كل ذلك شبكة من الفكر متعددة الخيوط بحيث يشعر كل من يكتب الحقائق التاريخ بتجرد ونزاهة الصعوبة في تمييزها وتشخيصها وإعطائها حقها من الواقع ، ولعلها قاعدة تاريخية عامة أنه حينما تتصارع عقليتان الواحدة بالأخرى ، ويحدث تبادل في الأفكار فإن العناصر الآخذة تجتذب بما هو أكثر اتفاقاً في العقلية الأخرى .

لم يكن الحكم العثماني لزنجبار احتلالاً أو استعماراً . وإنما كان كما أعربنا أكثر من مرة في هذه الحقائق .. قلبية حية واستجابة شريفة لإخوة له في العقيدة والجنس وهذه أحداث التاريخ وسطوره تحكي لنا جليلة الأمر .

وليس بإمكان شخص ما ان يزور الحقائق ويجعل من الباطل حقاً ومن الحق باطلاً .. مهما أوتي من علم ، طالما أن الحقائق التاريخية وعلى مرّ العصور هي حقائق دائماً وأبداً .

ولذا فليس بإمكان الذين زوّروا التاريخ وافتروا به على الواقع العربي والمسلم في أقطار إفريقيا الشرقية أن يخطوا من شأن العدالة السماوية التي تمهل ولا تهمل كما أنه ليس أيضاً بإمكاننا ونحن كما يعلم (الله) نكتب للتاريخ المحض أن نضيف وجهاً جديداً للتاريخ العربي الإسلامي في زنجبار الإسلامية . أو أن نزيد من حقائقه الناصعة التي عمل المستمر الغربي والحاقدون في ركابه على طمسها وعلى إسدال ستار صفيق في وجهه . ثم ألبسوه مرة أخرى وجهاً مصطنعاً تقرأه على مريض وقدرسه فلا تجد فيه كلمة واحدة تشفع للكاتبين الموتورين فيه انهم حقاً كانوا كتّاب تاريخ !!

أولم يسجل التاريخ شهامة العرب وبطولاتهم على طول السواحل الإفريقية دفاعاً عن اخوانهم في العقيدة والدم وذلك حين انهزموا لمقاومة الاحتلال البرتغالي فاستطاعوا تحريرها ؟؟

ولم يسجل التاريخ اشتراك الاوربيين في قتال البرتغال في تلك الأرجاء بل من يدري ؟ فلعل أوروبا في ذلك الوقت كانت من وراء الستار البرتغالي تمسده وتؤازره كافعلت في حروبها الصليبية ضد المسلمين في كل مكان . ولو أدرك المواطن الغربي يومئذ أن العرب هناك والمسلمين ثمة من ورائهم لا يدافعون عن وطن ، ولا يدافعون عن أخوة ، ولا يدافعون عن حق ، لما ترك لهم مجالاً ولا أثر اخوته

في العقيدة المسيحية فكان معها يداً واحدة على هؤلاء المسلمون .

بل قد فعل العكس من هذا.. حينما ضربت بريطانيا مختلف القوى لمصلحتها فتحالفت مع هؤلاء لنداء ، يقول أحد دهاة الاستعماريين البريطانيين : « ليس هناك أصدقاء أو أعداء لبريطانيا ولكن هناك مصلحة بريطانية وهي التي تملي علينا سياستنا ، وإذا فرضنا جدلاً أن الغرب يومئذ يقصد خذلان البرتغال وهي دولة مسيحية ، فلم لم يقف مكتوف اليد من ذي قبل حين احتلت العرب إيطاليا ، وفرنسا ، وإسبانيا .

وهكذا فإن دخول الحكم العماني العربي في زنجبار لم يكن فلتة من فلتات الزمن ولم يكن غزواً أو اعتداء . وإنما وقع كما تحكيه لنا الروايات التاريخية الموثوق بها « أنه في نهاية عام ١٦٥٠ - ١٦٥٢ م. على اختلاف بسيط في الأعوام قام الامام « سلطان بن سيف اليعربي بطرد البرتغاليين من مسقط والجزيرة العربية ، فسارت أنباء انتصاراته إلى إفريقيا الشرقية وكانت يومها تزرح تحت نير الغزو البرتغالي وتقاسي منه شتى صنوف الأذى والاستعباد والجبروت بعد أن سلمت له كل المدن والقرى الإسلامية وعلى طول خط الشريط الساحلي .

وبحكم العلاقات الودية المستحكمة بين تلك الجهات والجزيرة العربية منذ آماذ سحيقة والتي كانت في البداية تجارية ثم تطورت بعد انتشار الإسلام وأصبحت مزيجاً من العلاقات الدينية والدنيوية عقد أولى الحل والعقد والرأي عدة اجتماعات واتصالات أسفرت بالإجماع عن طلب النجدة من الإمام ، وكخطوة أولى جهز الامام جيشاً عربياً مقاتلاً أبحرت به السفن الشراعية من عمان - فهاجم باقي - « وزنجبار » وحطم البرتغاليين ومعا حاميائهم في الجهتين المذكورة .

وفي عام ١٦٦٠ م أعاد الإمام الكرة بأسطول قوي . فاحتل من البرتغاليين

(فازا) و (ممباسا) ومضى الاسطول جنوباً حتى وصل إلى موزمبيق عام ١٦٦٩ م وكان على وشك احتلالها من البرتغال .. ثم أقفلت جيوشه راجعة بعد أن قاومها الدخيل مقاومة عنيفة (١) .

ونجد بعد هذا أن الأهالي المسلمون والعرب الذين طلبوا النجدة سابقاً لم يأمنوا مغبة الغازي المتربص بهم ، فجرت اتصالات ومفاوضات رغبت في أن يقيم الإمام حاميات عربية للاحتياط تحميهم من عودة الغزاة إذا ما حدثتهم أطباعهم بالعودة . إلا أن هذا العرض لم ينل من الإمام استحساناً وأجاب عنه المسؤولون إن المهمة التي جاء من أهلها الجيش العربي وقدم فيها نفوساً من الضحايا كريمة أدت واجباً نحو نصره الضعيف أخاً كان في العقيدة أو الدم أو الإنسانية قد انتهت .

وفعلاً حصل ما كان يتوقعه المسلمون هناك . فها أن رحلت السفن الشراعية يحميها عن الساحل حتى أوقع البرتغاليون عقاباً شديداً بكل من ساعد العمانيين — وطبعاً كان الشعب بقضه وقضيضه قد ساعد هؤلاء العرب ولو لم يكن ذلك لما تمكنت القلة العربية الضئيلة الآتية من خارج الحدود زعزعة الغازي المتمكن بأساطيله وحامياته وجنده المرابطة على طول الشريط الساحلي — وهذا أمر يعرف بالبداهة ، ففتك البرتغاليون بالرعايا فتكاً شديداً بحجة مساعدتهم للعرب وأحرقوا القرى وسلبوا المدن ودمروا المساجد على أهلها .

وبعد وفاة الإمام « سلطان بن سيف » وخلفه ولده « سيف بن سلطان »

(١) والمؤسف جداً - أن الأفريقيين حالياً والكثير منهم من أبناء تنزانيا - لا يعلمون شيئاً عن هذا التاريخ ، ومن يدري ، إذ لو لم يحدث هذا لكافة (تنزانيا) اليوم في القرن العشرين ترويح تحت وطأة الاستعمار البرتغالي - كما هو الواقع في (موزمبيق) فمتى يدرك حكام زنجبار الحاقدون أن العرب الاوائل قد دافعوا عن هذه الأراضي شبراً شبراً حتى أجبروا عنها القوات الغربية البرتغالية - ولم يشأ جيش العرب أن يحتلها بل عاد أدراجه إلى جزيرته .

وكان رجل بأس وشجاعة، فقد تعقب البرتغاليون في البحار والمستعمرات وما حل عام ١٦٩٨ م. إلا وقد استقرت الأوضاع هناك ونصب على كل مدينة وقرية حاكماً يرعى شؤونها ويحفظ مصالحها، وقد خلفه بعد وفاته في عام ١٧١١ م ولده.

وتقول المصادر التاريخية أن الإمام الجديد كان ضعيف الشكيلة قاصر النظر حتى أحدثت تصرفاته الفتن والقلاقل وانشقت عصا القوم فاستغل الإيرانيون هذا الضعف والشقاق، فهاجموا عمان وفتحوها عنوة، كما استغل البرتغاليون هذا الإنقسام والبلاء الذي حل بدار المملكة - فعادوا كرة الغزو إلى الشريط الساحلي عام ١٧٢٧ م إلا أنهم لم يتمكنوا من النجاح كما سبق لهم من ذي قبل فقد صدتهم الحاميات التي سبق تمر كزها على طول الساحل الشرقي لإفريقيا بالتضامن مع القوى الوطنية من المسلمين وقد دارت معارك طاحنة استشهد فيها كثير من المسلمين، واستبسل غيرهم استبسالاً كانت نتائجه نصراً كاملاً على الغازي المتربص - حتى تم جلاء البرتغال تماماً وللمرة الأخيرة من إفريقيا الشرقية بفضل العرب والمسلمين من الإفريقيين .

وفي عام ١٧٣٠ م اقيمت انتخابات عامة في عمان حول الامامة ، ففاز بها استحقاقاً « أحمد بن سعيد » فكان بحق رجلها الوفي ، إضافة إلى ما كان يتمتع به من القوة والباس والشجاعة .. وحين باشر مهام منصبه ثار أول ما ثار في وجه الإحتلال الإيراني فقامت حرباً ضروساً بينه وبين الإيرانيين إلى أن هدّ من قواهم وأجبرهم على الجلاء كاملاً من « عمان » . وأنشأ بعد ذلك قيادة قوية كما قام في حكمة بتوطيد الاستقرار الذي ساد البلاد فانتعشت ونعمت باقتصاد عظيم .

وفي عام ١٧٤٦ م هب يعزز قواته في إفريقيا الشرقية فبعث بأسطول بحري واستمرت الأمور في كل من « عمان وإفريقيا الشرقية » هادئة آمنة فساد الرخاء وانتعشت التجارة وكثرت المواصلات البحرية وامتدت شبكاتها إلى كل أرجاء الخليج وإفريقيا والهند .

وهو أول من أطلق على السلطان المقيم في زنجبار كلمة « السيد » ومات بعد أن مكث على مقعد الحكم ٣٤ سنة كانت مثلاً رائعاً للحكم الجدير بالبقاء وكانت وفاته سنة ١٧٧٥ م ثم أخلفه ولده ، ولم يكن مؤهلاً للحكم ، ثم جاء بعده السيد « سعيد بن سلطان » وقضى نحبه عام ١٨٥٦ م بعد حكم دام ٥٢ عاماً .

وهكذا ، فبعد وفاة سعيد بن سلطان قسمت البلاد بين ولديه « ثويني وماجد » .

فالأول تولى الحكم في مسقط ، والثاني في زنجبار وما يتبعها من أملاك عمان في شرقي إفريقيا ، وحصل نزاع بين الأخوين انتهى بإصدار حكم عام ١٨٦٢ م من الحاكم البريطاني يقضي بأن يدفع ماجد حاكم زنجبار إلى أخيه ثويني حاكم مسقط إتاوة سنوية مقدارها ٤٠ ألف ريال مقابل تنازل ثويني عن جميع مطالبه في جزيرة زنجبار وملحقاتها . ثم وضعها الانكليز تحت الحماية البريطانية عام ١٨٩٠ .

سلاطين الاسرة العمانية في زنجبار

١	— السيد سعيد بن سلطان	من ١٨٠٤ إلى ١٨٥٦
٢	— ماجد بن سعيد	» ١٨٥٦ » ١٨٧٠
٣	— برغش بن سعيد	» ١٨٧٠ » ١٨٨٨
٤	— خليفة بن سعيد	» ١٨٨٨ » ١٨٩٠
٥	— علي بن سعيد	» ١٨٩٠ » ١٨٩٣
٦	— حامد بن ثويني	» ١٨٩٣ » ١٨٩٦
٧	— خالد بن برغش (حاول السيطرة على الحكم ففشل)	
٨	— حمود بن محمد	من ١٨٩٦ إلى ١٩٠٢
٩	— علي بن حمود	» ١٩٠٢ » ١٩١١
١٠	— خليفة بن حارب	» ١٩١١ » ١٩٦٠
١١	— عبد الله بن خليفة	» ١٩٦٠ » ١٩٦٣
١٢	— جمشيد بن عبد الله	» ١٩٦٣ » ١٩٦٤

وهكذا مضى الحكم الطويل برخائه وبؤسه ، بعدله وحيفه ، وقد كان

الكل مسلمين ولا زال الإسلام حتى يومنا هذا هو الدين السائد في الجزيرة كلها .
وتتميز زنجبار عن سائر مقاطعات شرقي افريقيا بظاهرتين :
الأولى - بروز المظاهر الاسلامية في شتى أنحاء الجزيرة .

الثانية - الطابع العربي في مظاهر المدنية الخارجية . كالمباني والطرق ،
ويعود ذلك إلى أصالة الإسلام في سكانها بصورة تكاد تشمل جميع السكان على
اختلاف أجناسهم وإلى تولى المسلمين الحكم فيها خلال عهود طويلة متقادمة . ومما
يغني عن الاسهاب فيما تعرضنا له حول الاسلام أن زنجبار وشقيقتها « بيمبا »
تضمان على صغرهما ٣٧٥ مسجداً ، وبهذا نعلم إذا استعرضنا عدد السكان أن
لكل مائة شخص مسجداً واحداً باستثناء النساء .

واللغة الشائعة في البلاد هي اللغة السواحلية وهي تكتب بحروف لاتينية
وبحروف عربية .

وعلى الرغم من وجود مدارس لتعليم اللغة والدين فإن مستواها منخفض جداً .
وقد كانت زنجبار وفي زمن ليس ببعيد ، منتدى افريقيا الشرقية ، فقد أنجبت
الدروس التي تلقى في أروقة المساجد نخبة من الرجال الأفذاذ الذين بلغوا أعلى
المستويات العلمية الدينية .

ومعظم الأهالي هناك يشتغلون بالزراعة وأهم محصولاتهم هو القرنفل الذي
يبلغ ٧٠ ٪ من الانتاج العالمي . . وقد حرص سلاطين عمان الأوائل أثناء حكمهم
لزنجبار على تعليم اللغة العربية والدين ، وكان لذلك أثره في حفظ اللغة العربية
والدين في الجزيرة وبقية أجزاء الشريط الساحلي .

كما سعت الأحزاب الوطنية (العربية والافريقية) خلال فترة الاحتلال
الانكليزي إلى إنشاء مدارس لتعليم اللغة العربية والدين على المستوى الرسمي ،
ولكنها فشلت بحكم العوامل التي كانت تسير البلاد والعباد وفق مخطط مدروس
من قبل السلطات الاستعمارية الغربية .

والدراسة في المدارس الابتدائية مدتها ست سنوات وهي باللغة السواحلية والانكليزية ، وتتخللها دروس عن اللغة العربية والدين الاسلامي . أما التعليم في المدارس الثانوية فهو بالانكليزية ، وليس هناك تعليم عال ، غير أن البعثات الوطنية الفردية والجماعية إلى الخارج قد استوفت أو سدت ما تحتاجه البلاد من الخبرات العالية في كل المجالات حتى امتدت بعملها المجدي إلى الأقطار المجاورة في افريقيا الشرقية . ولقد بلغت زنجبار في يوم مضى مستوى عالياً في نحو الأمية بالنسبة لما عليه جاراتها من الأمية .

وقد عمدت السلطات البريطانية طيلة مدة احتلالها للجزيرة واستعمارها للأقطار الأخرى المجاورة على مقامة اللغة العربية والدين الإسلامي ، حتى تركت تعليم المادتين لا تتبع طريقة منهجية .

وهذه طريقة استعمارية لعب بها وسار في ركبها ساسة الاستعمار في كل الأقطار الإسلامية التي خضعت لحمايته واستعماره فأثرت له ، وقطفنا من حصاها أمماً تنكرت لدينها ، وشعوباً قامت تقلل من شأن لغتها . كل ذلك لأن الاستعمار وقد غزا بلادنا عنوة أخذ وبكل ما أوتي من دهاء ومهارة وحذق أن يعلي من قيمة ثقافته فيفرضها على الصغير والكبير في قوالب تستهوي العقول وتستجذب الأفكار ، ثم هب جاهداً مستحثاً يقلل من قيمة الثقافات الوطنية للبلاد المحتلة حتى نال ما ابتغاه من سيطرة على البلاد والعباد منذ وطئت أقدامه حتى يومنا هذا !

وانقضى الحكم العربي الإسلامي في زنجبار بعد صراع طويل وحياة مليئة بالمفاجآت ، خططتها يد الاستعمار منذ قرون عديدة .

ومن أبرز عوامل تلك المفاجآت ضعف الحكام وإخلاصهم إلى التوافه من أمور الحياة واعتلائهم على الناس واعتقادهم أنهم المختارون الذين لا يُسألون عن شيء وهم يسألون بالإضافة إلى القبضة القوية التي تمكن منها المستعمر ، فسيّرهم بالكيف

الذي أراده حينما أوجد فجوة واسعة بين الحاكم والمحكوم .. بين المواطن العربي المسلم والمواطن الافريقي المسلم .

وفي ظل هذه الظروف التي عاشتها زنجبار وملحقاتها أزماناً كانت صلف الحاكمين يزداد في غباء وعدم إدراك لمستقبل الأحداث غباء ، سعى الاستعمار في دعمه وتحسينه ليبراً منه ومن أهله يوم يحق الحق وتلقى الموازين بالقسط . تواجه كل هذه الحقائق في الخط المضاد قومية غذتها العنصرية البغيضة وقدحمت زنادها دعايات الاستعمار وأجهزة أعلامه . وقد قامت الكنيسة برجالها وكتائبها بالشيء الكثير من ذلك

وجاء أوان الاستقلال فحصلت زنجبار على استقلالها من بريطانيا عام ١٩٦٣م بعد أن تربع على عرش سلطنتها السيد عبد الله بن خليفة في شهر تشرين الأول عام ١٩٦٠م أي بعد وفاة والده السيد خليفة بن حارب ، وإثر وفاة عبد الله سنة ١٩٦٣م تربع على عرش السلطنة السيد جمشيد بن عبد الله ، وخلع الأخير عن العرش في انقلاب الثاني عشر من كانون الثاني سنة ١٩٦٤م وأعلنها الانقلاب جمهورية وكان أول رئيس لها هو « الشيخ عبيد كرومي » .

وقد سلكت الثورة في انقلابها سبيلاً اتسم بالشدة وعنف العنصرية ، وكان بإمكانها اتخاذ الطريق النظيف طريق العدل والنزاهة ، طريق القيادة الحكيمة التي تترفع عن صفائر الأمور وعن إراقة دماء الأبرياء على حساب جرائم غيرهم ، فمشت على المذابح للأنفس البريئة ، وأسفرت أحداثها عن القيام بالأعمال الوحشية بين الإخوة في العقيدة والوطن . واستمر الإرهاب لإجبار المواطن المسلم العربي والهندي على الجلاء ومغادرة البلاد ، أو البقاء فيها تحفت المخاطر وتسومته العنصرية ألواناً من التبكيت والتنديد فيعيش بذل في إنسانيته وبإهانته في كرامته ، وإذا كان المسؤولون لا يرضون بهذا فإن الحقائق قد تجلت بوضوح عن

ضعف في الجهاز الإداري وممالاته للعابثين الذين لا يعرفون معنى للعدالة ويحسبون أنهم بعد ذلك يحسنون صنعا .

وفي الثالث والعشرين من نيسان عام ١٩٦٤ م انضمت الجمهورية الزنجبارية إلى تنجانيقا لتكوّن معاً الجمهورية المتحدة « لتنزانيا » وعيّن « جوليس نيريري » رئيساً للجمهورية المتحدة .. بينما عيّن الشيخ عبيد كرومي نائباً أول لرئيس الجمهورية !!

نشاط حركة التأليف الغربي حول تاريخ افريقيا ١١

ظهرت باللغة الانكليزية في السنوات الأخيرة أكثر من مائة كتاب عن القارة الافريقية ومعظم عناوينها يتم عن مبلغ الأمل والحذر من هذه الجهة التي أحاط بها الظلام إلى القرن العشرين .

من عناوين هذه الكتب : « الأمل في افريقيا » ، و « الصحو الافريقي » و « افريقيا وصحوة الأسد » ، و « الافريقي اليوم وغداً » ، و « قضية الحرية الافريقية » ، و « افريقيا تنهض » ، و « قارة الغد » ، و « الإسلام في افريقيا » ، وفي أكثر من عشرات هذه الكتب لا تكاد تجد جهة افريقية أو مدينة عربية قديمة ذات أهمية إلا وجدت عنها فصلاً أو فصولاً .. وهذه الكتب تتناول كل شيء من وجهة نظر زاوية المؤلف .

غير أن كل كتاب من هذه الكتب يضم فوائد لا يستغنى عنها ، لأن البعض مؤلف على دراسات وزيارات .. وأحياناً تجربة شخصية ، ولولا ما يشوبها من التحامل الكثير وبالذات عند ذكر الاسلام والعرب والنظرة إلى الأمور من زوايا المصالح الأوروبية وحدها كانت كتباً نافعة بالنسبة للقارة وبالذات الاستوائيين منها والشرقي . والغربي الانكليزي حين يكتب عن افريقيا نجده غالباً يجعل مرجعه أحد الذين أقاموا فيها من بني جنسه - وهذا فيما يؤلف

حديثاً - ولهذا تجد في بطون مؤلفاتهم السخرية كل السخرية والتهكم كل التهكم بالعرب والمسلمين .

أما الكتاب المتقدمين بتأليف التاريخ فراجعهم من سبقهم من سلفهم ، وفي الناحية الإسلامية والسخرية بالإسلام وأوضاع أهله تجدهم يستسقون من أرباب الكنيسة ويستقرئون من المبشرين ، وأولئك قديماً وحديثاً يتبرعون بالمعلومات والبيانات وفي كل شيء لمن يطلبها من الغربيين إخلاصاً لغربيتهم وإسناداً منهم لتحقيق أغراض قادة الفكر منهم وحاملي الأقلام !

والمؤرخ الانكليزي الذي يسمع منهم معلوماتهم وبياناتهم خطياً وشفهياً يحسب أنه قد وقع على ضالته المنشودة ، وما أسرع ما يكتب كتاباً وأنت لا تحتاج إلى كبير عناء حتى تتبين قيمته .

ولا يعسر عليك كذلك أن تميز النافع من غير النافع فيما يصدر من الكتب الانكليزية عن افريقيا وبالذات الشرقية ، واحتكاكها بالعرب والإسلام لأن هوة عميقة تفصل الانكليزي من العربي أو المسلم من لدن زمن بعيد !

وهي هوة ترجع إلى الحروب الصليبية ، ثم تزايدت مع الأيام حتى أصبحت عقدة نفسية بعد أن تخلصت الدول العربية والإسلامية من الاستعمار الغربي ، وانتهت سيطرة الأبيض الأوربي على الأسود أو الملون - كما يقول - منطق الهوس الغربي على سكان القارة الافريقية بأسرها .

غير أنه كما قلنا آنفاً ان بعضاً من هذه المؤلفات مفيد ، وقد تعود فائدتها إلى تحريرها للحق والواقع وإلى عدم الأخذ أحياناً بما يؤخذ به من سقط القول ومشكوك الرواية . ولدينا مثلاً كتاب « تاريخ افريقيا » للمؤلفين (روندا أوليفر) و (جون فيج) .

فهؤلاء حين كتبوا فقد كتبوا بصدق وأمانة للواقع التاريخي : - نجدهما

يتحدثان في فصليه الثامن والتاسع - عن عصر الأسلحة النارية وتجارة الرقيق .
ففي الاول منها يتحدثان عن شمال افريقيا وغربها . ثم يشير إلى ظهور قوى
جديدة محرك ومؤثرة في افريقيا في القرنين الخامس عشر والسادس عشر ،
فقد خلت أجزاء من القارة في دائرة النشاط الاوربي ، بزيادة طلب الرقيق ،
وأول هذه القوى هي اسبانيا والبرتغال التي تعقبت المسلمين بعد خروجهم من
الاندلس ، ولكنها لم تستطع هزيمتهم في مراكش . وتقدمت البرتغال لغزو
افريقيا عند الرأس الاخضر بين نهري السنغال وجمبيا عام ١٤٤٥ م .

ثم نزلوا ساحل الذهب واتخذوها قاعدة للتجارة مع مالي ، كما يتحدث الفصل
الثاني عن استمرار هذه التجارة في الكونغو ، وإقامة دولة كنگولية لوقت
قصير خلال القرن السادس عشر . ثم عادت البرتغال لمزاولة تجارة الرقيق ،
وكانت أنغولا قاعدة لإمدادها به . ويسمي المؤلفان الفصل العاشر « العيون
الطامعة » ويتحدثان فيه عن بدء اتصال أمريكا بتجارة الرقيق ، وبدء الغزو
البريطاني .

وهنا انتحلا لدولتيها الأعالي والأباطيل في محاربة هذه التجارة ، وحين
أرادا القول فضحهما التعبير المنطقي فقالا :

ولم يكن ذلك بدافع من حب البشر والعدالة الذاتية وإنما لأسباب تجارية
معقولة . فطالما أن تجارة الرقيق سهلة ومربحة أكثر من أية تجارة افريقية
أخرى ، فيجب القضاء عليها دولياً قبل ظهور أية تجارة مشروعة بين افريقيا
وأوروبا .

وهنا يحق لنا أن نتساءل - فيما حدث بعد التجارة المشروعة ؟ أو ما فعلته
بريطانيا بعد التجارة المشروعة !!

ونستطيع وبصورة واضحة جلية تفنيد تورية ما كتبه المؤلفان إذا ما

استعرضنا بدقة كيف كانت وكيف تمت بداية الاستعمار الغربي في افريقيا وما هي أغراضها ؟

وهل هي مجرد صدف ربحها الرحالة والمكتشفين والمبشرين منهم ؟ أم أنها كانت في غزوها بدافع من حب البشر وتحريرهم والرفق بهم ، أو أن استعمارها ليس إلا لخلق عدالة ذاتية يسوسون بها البشر للقارة وغير القارة ؟

وباختصار نترك واقع الأمر يعرب عن نفسه مما قاله أولئك في قولهم : ولم يكن ذلك بدافع من حب البشر أو العدالة .. وإنما لأسباب تجارية معقولة ..

ومرة أخرى نتساءل : ما هي الأسباب التجارية المعقولة ؟

وأحسب أن العقلية الغربية توهم نفسها بأنه ما من أحد يدرك التجارة المعقولة إلا إياهم ..

فالغربيون دائماً - وفي كل سيطرتهم على الشعوب - وهم جميعاً لا يختلفون سواء كان أمريكياً أو انكليزياً ، فرنسياً أو إسبانياً ، أو برتغالياً ، دائماً وأبداً يقولون ان الدافع لذلك إنما هو الإنسانية التي يحملها الغربيون . وما أقرب الشبه بين هذه الحجة الواهية وبين الحجة التي تذرع بها الفرنسيون عندما استعمروا الجزائر عام ١٨٣٠ م .

فقد ساقوا أمامهم دعواهم الكاذبة بأنهم في الطريق للقضاء على أوكار القرصنة ومحطاتها على ساحل البحر الأبيض ، ثم ابتلعوا الكذبة وبدأوا احتلالهم للجزائر !!

بشاعة التاريخ الغربي لأفريقيا الشرقية ١١

وهكذا بدأ المستعمرون الغربيون غزوهم لأفريقيا الشرقية والتي كانت آمنة مطمئنة منذ عرفها العرب حتى جاءها هؤلاء الغزاة فطمسوا معالم التاريخ العربي الإسلامي وألفوا الكتب الكثيرة ضد العرب والإسلام وأثاروا الأحقاد الأفريقية العربية جيلاً بعد جيل ليطمسوا بكل هذا بشاعة تاريخهم وفضائع استعمارهم، فقد تبسع البعثات منهم مزيج من المرتزقة بالرقائق والذين ما لبثوا أن غرسوا أقدامهم في البلاد مستغلين طيبة الرجل الأفريقي والعربي وفطرتهم السليمة .

وكما حكينا سابقاً عن بداية السيطرة البريطانية المباشرة لشرقي أفريقيا وذلك سنة ١٨٩٥ م. عندما انسحب الألمان من المنطقة بعد صراع عنيف وقع بينهما وتمكن اللورد « ديلاير » بسلطة كبيرة جعلته في بعض الأحيان يخالف الحكومة البريطانية نفسها .

والشبه هنا جد كبير بين اللورد « ديلاير » في كينيا ورئيس مستعمرة الكاب « سيشل روديس » في قوته وغلوائه في فرض السياسة الاستعمارية الجائرة ، وكان هو أول من فكّر في إنشاء دولة مستقلة للبيض داخل أفريقيا ووضع بذلك بذرة التفرقة العنصرية — ولم تلبث البذرة أن استحالت إلى ثمار

كثيية تذهب مرارتها للرجل الأسود وحده إلى ما نحن فيه مما يسمونه عصر
الحريات !!

فأي الفريقين أهدي بعد كل هذا ؟؟

العرب المسلمون ؟ أم الغربيون المستعمرون ؟؟

وإذا كان الكتاب الغربيون سابقاً ولاحقاً وأتباعهم من صهاينة اليوم الذين
تمكنوا من جديد على سيطرة التاريخ والتحدث فيه في كل من تنجنيقا — ودول
افريقية أخرى — فأثاروها حرباً عواناً على التاريخ الإسلامي والعربي في هذه
الأقطار .. واستمروا وما زالوا سائرين في تغذيتها وقدح زنادها كرهاً وبغضاً
منهم للإسلام الذي وحد بين العربي والافريقي مئات السنين !!

وتناسوا من أن تاريخهم أبشع مما صوروه ودونوه من تاريخ العرب المسلمين .
فإذا حدث ما فعله بعض العرب من المساومة ببيع الرقيق وكان ذلك جد قديم ،
وقديم جداً فقد فعل الغربيون ولا فرق بينهم جميعاً أكثر بكثير مما فعله بعض
العرب .

فهذا أحد كتّاب الغرب يقول فيما أسماه (موجز من تاريخ ساحل شرقي
افريقيا) إن تاريخ بيع الرقيق هو في قدمه كقدم تاريخ الساحل نفسه .
واستطرد قائلاً : وعندما بدأ الغربيون بمختلف أجناسهم يأتون إلى افريقيا
كانوا هم أيضاً بدورهم قد لعبوا دوراً فعالاً في هذه التجارة المربحة واتسّجروا
الاوربيون في الرقيق وعلى نطاق واسع على الساحل الغربي من افريقيا وكذلك
في الأخير على امتداد الساحل الشرقي لإفريقيا .

إلى قوله : وإن من أحد الأسباب التي دفعت البرتغاليين إلى التغلغل
للاستكشاف في الساحل الغربي من افريقيا في القرن الخامس عشر إنما هو رغبتهم
في استخدام العبيد — على حد تعبيره — للأعمال الشاقة مقابل أجور زهيدة ..

وفي منتصف القرن السادس عشر بدأ الانكليز أيضاً يأخذون نصيبهم ببيع الرقيق في غرب افريقيا لمدة مائتي سنة ، ولقد كانوا يعتبرونها تجارة مربحة جداً تنتجها القارة الافريقية . وان الزنوج الذين يأخذونهم من غرب افريقيا يحملونهم عبر المحيط الاطلنطي ليستخدمونهم في مناجم الذهب والفضة في أمريكا الوسطى أو أمريكا الجنوبية أو في حقول السكر في جزر الهند الغربية .

وهذا كاتب آخر من كتبهم وهو المستر جاك ووديس يقول في كتابه (Africa The Roots of Revolt) من الفصل الثاني « بالقمع فقط » ما نصه : إن المسلك العام من جانب أغلبية أصحاب الأعمال الأوروبيين في القارة الافريقية في بداية القرن العشرين إنما يتمثل في كلمات «ايوارت جروجان» الذي أصبح فيما بعد مدافعاً عن سياسة الشنق الجماعي خلال فترة الطوارئ في كينيا عام ١٩٥٥ م. فقد كتب جروجان يقول في كتابه « من الكاب إلى القاهرة » إن الشيء المطلوب إنما هو إقامة نظام سليم من العمل الاجباري ، وانه يجب أن يرغب الافريقيون على العمل شهوراً كثيرة في السنة . ثم أضاف في تهكم : إن هذه السخرة يجب أن تسمى التعليم الإجباري . ومضى جروجان يقول : وقد نحى شتى الاعتبارات الانسانية عندما سخر وتهكم من الاقتراح الخاص بأن أي أوروبي يشرف على إقليم ما في افريقيا يجب ألا يعطي الافريقي الوطني أكثر من خمسة وعشرين جلدة .

وعلى الرغم من كل هذا فقد استطاعت جمعيات التبشير والإرساليات وما تقدمه الدول الراحية ذاتها من مساعدات للافريقيين أن تجعل من هذا التاريخ لا شيء يدع للاستذكار وكأن لم يكن بالأمس شيء . . وبرزوا من جديد وبكل شيء وكأن لم يكونوا أولئك الذين عرفتهم القارة منذ القرن الخامس عشر ، وما فعلوه فيها من بر وإحسان وتقدم ليس بأكثر مما استنزفوه من خيراتها وما استعبدوه وسخروه من أبنائها ، نعم عادوا ، فأنشأوا المدارس والمعاهد والمزيد من الكنائس وأحيوا المآثر والمتاحف وأقاموا الجمعيات التعاونية . . كل هذا

وقد ظهرت بهم حديثاً بمظهر الإحسان وحب التعاون. وما أشبه الليلة بالبارحة
تحدث كل ما طاب لها المقام في حق العرب والإسلام حتى أنها لتؤلف الكتب
الصارخة بالكذب والافتراء على العرب وعلى العرب فقط ، ففي مجموعة
(Arab Slave Trade) سجلوا ما جرد العربي المسلم من إنسانيته تجاه
نظر الأفريقي ، وفي كتاب الجمعية التبشيرية المسيحية بكينيا الساحل بين
١٨٤٤-١٩٤٤ م. وصموا العرب والإسلام بما يجعلنا نرفع أنفسنا ونحتفظ لها
بحق الكرامة التي سفت بها من الأقلام والنزعات ما خبثت كما قامت غيرها من
الجمعيات والهيئات المسيحية بإعداد فيلم سينمائي أسموه « غرب زنجبار »
(West of Zazibar) ويقصدون بالذات ممباسا التي أسموها بالمدينة
المحمدية وقد اختلق هذا الفلم من المفتريات ما جعل من العرب وقسوتهم في معاملة
الرقائق أمة وحشية يقرها في ذلك دينها الإسلامي .

وفي متحف كليوا - المدينة الإسلامية العتيقة بتنجنيقا - قسم خاص لتجارة
العرب بالرقائق . وهناك في الغرفة الخاصة تشاهد السلاسل والسيوف والحبال
بأيدي عربية وهو يقود الإفريقيين كالسوائم والسيوف على هاماتهم زرافات
ووحدا ، كما نجد نشرات الجمعيات التعاونية التنجنيقية والتي أنشأتها الشركات
اليهودية والمسماة باختصار الأحرف الانكليزية (Cosata) الشيء الكثير
والكثير بتشنيع التاريخ العربي الإسلامي !!

وقد أسموا كل هذه الأمور حيناً بالحقائق وآخر بالتاريخ ، غير أننا نقول : إذا
كان هؤلاء قد فرغوا مما أسموه حقائق وتاريخ أو مما أسموه التاريخ فهلا تعرضوا
بالإثارة أو الإشارة حفظاً للتاريخ ، وأخذاً واستذكراً بعبء ما لم يهمله التاريخ
من تاريخهم الأسود بأفريقيا ؟؟ فتاريخ الغرب وعبوديته أجدر بأن يبقى عالماً
في الأذهان منه بالتاريخ العربي الإسلامي !!

ومذابح الغرب الرهيبة وتقتيله بالجملة وشرائه للنفوس أخرى لأن يعرفها
الأفريقي منه بالتاريخ العربي الإسلامي الذي سجلته أصقاع هذه الاقطار فأنشأ

فيها بعد أن أحلَّ بها القصور وشاد فيها المدارس والمساجد ونظم فيها الترع والمزارع وأنعش فيها التجارة والاقتصاد وثبت الأمن والاطمئنان. وبقدر ما سمحت له الظروف ذلك الزمن البعيد والذي كانت فيه معظم القارة الأوروبية همجية وحشية تأكل بعضها بعضاً .

أما حول التاريخ المبرقع أو المنسي كما يعتقد الدهماء من إخواننا الأفريقيين فما نحن نستعرض في السطور التالية موقف التاريخ الغربي من الأفريقيين في قديمه وحديثه من تطيب لهم نفوسهم قراءة كتبهم وهو مؤلف غربي يدعى جاك ووديس ، في كتابه السالف الذكر ، فقد تحدث في فصله الأول من الكتاب بقوله : ومن الشائع هذه الأيام بين الدول الاستعمارية زعمها أن فوز الشعوب الأفريقية بالاستقلال السياسي إنما يرجع إلى الدول الأوروبية وتشجيعها وتقديمتها مثلاً يحتذى .

ويستطرد قائلاً :

إن الشعوب الأفريقية التي ظلت قروناً طويلة تتجرع كأس المرارة حتى الثمالة لن تقبل هذا التزييف لحقائق التاريخ ^(١) . بل إننا لو نحينا جانباً تلك الأيام الرهيبة من الرق والعبودية التي سلبت القارة الأفريقية ستين مليوناً من الأرواح ، وستين مليوناً من الأجسام ، وستين مليوناً من المواهب ومن ثم أعاققت وشوهت النمو الطبيعي للقارة .. فإن الخمس والسبعين سنة الأخيرة وهي الفترة الأخيرة التي خضعت فيها إفريقيا لدول أوروبا الصناعية ^(٢) الحديثة كانت مملوءة بعمليات

(١) ولكن الحق الصراح أنها قبلت هذا التزييف تحت ضغط السياسة والاغداق المالي والأعمال المنتظمة التي تقدم بها مذاهب الكنيسة والدعاة والمحترفون من رجال الأطماع .

(٢) يسمي المؤلف دول أوروبا الصناعية الحديثة .. وكأني به بهذا يفصل أورب الحديثة عن الغزاة القدامى من أبنائها والتي ما زالت أخلاقها وفي أكثر من رقعة من إفريقيا محتلين مغتصبين ، وهذا منصف يثير العجب من المؤلف بل تمويه يقصد به طمس الفضائح ووضع ستار كثيف بين الغربي حديثاً ، والواقع أنه لا فرق بين ماضيهم وحاضرهم .. فداغماً وأبداً يأخذون أكثر مما يعطون . ا.هـ (المؤلف)

القتل والمذابح الجماعية التي ما زلنا نشهد أمثلة منها في الجرائم التي ترتكبها البرتغال في أنغولا ، وفي كل من موزمبيق وجنوب افريقيا والكونغو !!

ويكفي أن نشير إلى انخفاض عدد الكونغو البلجيكي من عشرين مليون نسمة في عام ١٩٠٠ م إلى ١٢٠٥ مليون في عام ١٩٦٠ م وإبادة ٨٠٠٠٠٠ بطل رجالاً ونساء وأطفالاً في افريقيا الجنوبية الغربية على أيدي القوات الاستعمارية الألمانية عام ١٩٠٦ م وقتل ما لا يقل عن ١٢٠٠٠٠٠ إفريقي خلال ثورة (Maji Maji) ضد الحكم الألماني في تنجانيقا في العام نفسه .

وذبح ما يزيد على ٣٠٠٠٠ افريقي في ثورة الماشونا والماتابيلي في روديسيا عام ١٨٩٦ م بأيدي القوات البريطانية ، وقتل ما لا يقل عن ٤٠٠٠٠٠ افريقي في ناقل عام ١٩٠٦ م أثناء ثورة الباباتا وذبح ما لا يقل عن ٤٠٠٠٠٠ مالاكاسي في ثورة مدغشقر الكبرى عام ١٩٤٧ م وسفك دماء ١١٠٠٠٠ نسمة خلال فترة الطوارئ في كينيا بعد عام ١٩٥٢ م .

كل هذا عدا المذابح اللاانسانية في كل من غينيا البرتغالية ، وساوتوم ، وأنغولا ، وفي سيراليون ، ونياسالند ، وشارفيل ، وفي يوند ولند بجنوب افريقيا .. وفي اينوجو بنيجيريا ، وعند الحزام النحاسي في روديسيا الشمالية ، وفي بولا وابو ، وسالزيبوري ، وهاراري بروديسيا الجنوبية وغيرها من المناطق مما لا نهاية له .

وماذا نرى بعد كل هذا؟؟

وأين وقفت افريقيا من الغرب ؟

أو أين وقف الغرب من افريقيا ؟

تسليم الدور للكنائس والبعثات التبشيرية

ولقد سلم الغرب دور التوجيه لطمس الحقائق والاستعباد الجديد أو الحديث « للدين » وليس يخفى على ذي بصيرة أن الناحية الدينية لها الأثر في توجيه السياسة الدولية .. وإن التكتلات القائمة على شتى العقائد هي التي تمسك بزمام الأمور وتديرها وفق هواها مستعينة بالأوضاع الإقتصادية والعسكرية وما إليها، وهكذا سلمت القيادة أو تكتيك القيادة لحاملي مشاغل الإنسانية والرحمة (كما يسمون أنفسهم) !! فازداد نشاط الكنيسة ووسعت إرسالياتها وأنشئت المراكز الثقافية وأعطيت الاتاوات والحبوس ومن غير قيد أو شرط .

ونسجت حول أغراضها الحبائل والشبكات وتسمرت وراء سدود من هذه الركائز مزورة بفرضها المدخول وراء كل غرض ظاهر من التعليم أو التطبيب أو الإحسان ، ولها في ذلك أساليب ملتوية وطرق كثيرة التعرّيج - وبالتالي أصبح الإسلام وأهله في مقدمة الأهداف التي تصوّبت إليه حملات الغرب الثلاث (التبشير ... والكنائس ... والكتاب الحاقدون على العرب والإسلام) علاوة على ما أوجدته الكنيسة البروتستانتية من شعب المذاهب الهدامة المتعددة إلى أكثر من عشرة مذاهب داعية معها في قطار السير لإسرائيل بدينها الجديد ومدخلها الإصطناعي بالمساعدات المادية والفنية التي تخفي وراءها كسب الإفريقيين وصوتهم في يوم المعركة المرتقبة .

... ويتقدم التبشير كل هذه الحملات في ترتيب الزمن وتصفية الجو - بل ليس بدءاً إذا قلنا ان التبشير البعيد الأهداف ، البصير بالدعوة قد كسب من الخبرات وعلى طول مداه الطاقات الضخمة من الحنكة واقتناص الفريسة وإدخالها في شركه منذ خطط له أول مخطط حين بدأ مع الحروب الصليبية في القرن الثاني عشر وكان في كثير من الأقطار رائداً لحملة الاستعمار ، وهنا يتضح لنا الأمر جلياً - وعلى حد ما كتبه الأستاذ البهي الحولي : في كتابة (الدين والحضارة الإنسانية) من أن دول أوروبا الحديثة ومجتمعاتها قد أخذت في الاعتبار ومنذ قيامها وتكوينها حماية الدين .

فانجلترا حامية البروتستانتية ، وفرنسا حامية الكاثوليكية .. بل راعية التبشير بها خارج أوروبا كلها - في آسيا وإفريقيا - وعلى الأخص في المستعمرات والشعوب الخاضعة لنفوذ هاتين الدولتين - وليست حماية هاتين الدولتين للمسيحية على هذا النحو فحسب ، وإنما حمايتها للمسيحية كما يتمثل في صورة العقيدة الكاثوليكية والبروتستانتية في انجلترا وفرنسا وفي التبشير بها في إفريقيا وآسيا : يتمثل أيضاً في مطاردة القوى الروحية التي تقف في طريق التبشير بها في آسيا وإفريقيا - يتمثل على وجه آخر في مطاردة الإسلام في هاتين القارتين - بعد ما قامت محاكم التفتيش في إبعاده من اسبانيا وإمبراطورية النمسا في دفعه عن حدود فيينا إلى بلاد البلقان وروسيا القيصرية في دفعه بعد الحربين العالميتين - الأولى والثانية - من بلاد البلقان ومن بلاد القوقاز إلى الحدود المتاخمة جنوباً للبلقان والقوقاز . ويقول الأستاذ البهي تحت عنوان : مطاردة المجتمع الأوروبي الحديث للإسلام - عني حماة المسيحية في أوروبا بمطاردة الإسلام على وجه أخص في أراضيه وبلاده في آسيا وإفريقيا ، وتتجلى هذه المطاردة في قوة ووضوح فيما يكتبه المستشرقون وغيرهم من كتاب الكنيسة والجمعيات التبشيرية مما أسموه بـبحوثاً ومعرفة ادعوا أنها أقيمت على منهج علمي - ثم صدروها مرة

إلى الشرق الإسلامي في صورة كتب وفي صورة علماء وأساتذة ومرة إلى مسلمي آسيا وإفريقيا .

وهذه هي الحقيقة الصارخة للأمر الواقع وعليه يجب أن نبني معرفتنا حول إسلامنا وما يلقاه خارج دياره وأراضيه .

فلقد نشرت عدة كتب في الشرق والغرب والوسط من إفريقيا - وكلها تنضح بالحقد الصليبي للإسلام وتعرب من أنها كتبت من زوايا نظريات قساوسة ورهبان ومبشرين املتت صدورهم بالحقد الصليبي ، وملئت عقولهم بالترويج للاستعمار في بلاد المسلمين حيناً وفي الشعوب والأقليات حيناً آخر .

ففي الشرق نشرت عدة كتيبات في : مجموعة كتيبات لإفريقيا الشرقية أذكر منها كتاب ما هو الإسلام ؟ (What Is Islam) وكتاب الإسلام في الشرق الإفريقي (Islam In East Africa) وغير هذه الكتب التي كتبت بالتورية حيناً والتعريض آخر . ولئن دلت عناوينها على شيء فإنما هي تدل على استدراج الإفريقي الوثني والمسيحي إلى التعصب للمسيحية والاشتمزاز والتفسير من الإسلام وأهله .

وقد تحدث الكتاب الأول عن الرسول الكريم وعقد فصلاً كاملاً لموطنه ومهبط رأسه وقال للآثارة : لقد ولد محمد في مكة وهل تعرفون ما هي مكة ؟ .

وأجاب قائلًا : إنها البلد الأول لبيع العبيد ، وهي التي كانت تقام فيها أكبر الأسواق للمساومة بالرقيق . ثم تطرق إلى بناء الكعبة ووصف تربيعها وادعى أن العرب ولم يقل المسلمون يعبدون بها حجراً .. ادعوا أن إبراهيم كان يقوم عليه في بناء الكعبة ، ثم وصف الحجر الأسود وقال إنه يشبه إلى حد كبير الأحجار السود التي توجد في جبل نياسا بالقرب من بحيرة نياسا بتنزانيا ، وعرج

مرة ثانية على وصف الكعبة المشرفة وقال : إن هنا ، أي في جبل نياسا ثغرة
مخوفة هي بيت الله (Rock of Kyala) .

ثم استطرد قائلاً : إن الواجب يحتم علينا إجابة مقنعة لهذه الاستفهامات
من هو هذا الرجل أو الرسول العربي ؟؟

وما هي الرسالة التي يدعو إليها ؟؟

وهل نرغب من أن نرى محمداً زعيماً للإفريقيين بانتسابهم إلى دعوته ؟؟

وهل كانت دعوته طيبة أم لا ؟؟

ثم عقد فصلاً للأخوة الإسلامية . وقال إن الأخوة المسيحية هي أوسع
مدلولاً وأعمق أثراً وتوضيحاً منها بالأخوة الإسلامية ، وحين تكلم عن عيسى عليه
السلام وذكره في القرآن الكريم قال إن الآيات التي وردت في شأنه جد غامضة
وأردف قائلاً إن علماء المسلمين لم يتوصلوا بعد إلى حقيقة شأنه لما عرف من غموض
تلك الآيات ، ومن مثل هذه الكتب أيضاً .

كتاب : العرب والرقيق (War abu na watumwa)

وكتاب الساحل بين عام ١٨٤٤م و١٩٤٤م (The Coast - 1844 - 1944)

وكتاب : موجز من تاريخ الساحل الشرقي لإفريقيا

(Short History of the Coast of Africa)

ومنذ أمس البعيد .. والبعيد جداً لم يكف كتاب الغرب والغربيون ومن
أخذ عنهم حينما حلوا وأينما كانوا لم يكفوا ولن يكفوا من البحث حول الإسلام
والتعقيب بالتنقيب ورائه . ولم تسلم منهم يد كاتب أو مؤرخ أو عالم إلا وقد
كتب في الإسلام شيئاً كثيراً كان أو قليلاً .

والمنصفون منهم - وقليل منهم - إذا جادوا فيما كتبوه عن الإسلام مرة أو مرتين عادوا عليه والتوا به مرة أخرى ليلصقوه بنقص ما، لا كنتيجة لبحث يقصد به العلم أو المعرفة - وإنما لأموار أسرتوها في نفوسهم - فنجدهم يفسرون منه ما لا يتفق وعقلية الغربي الذي لم يعرف معنى لدين الله الصحيح منذ أمد بعيد أو من لدن ما بدأ أوائلهم يحرفون الكلم عن مواضعه .

وإذا آمن بعضهم بسمو كمال الإسلام ومحاسنه وأنه من عند الله - ارتكس مرة أخرى - ليخط : لكن - ويسجل : لو كان !!

هذا بالنسبة للمنصفين منهم - أما ما عداهم فكثير ما هم ولكنهم حيال الإسلام - غشاء كغشاء السيل - أو كناموسة تنفخ على جبل تريد إزالته وتذهب الرياح بأمم من الناموس وتبقى الجبال شامخة .

وحيث كانوا دائماً وأبداً إنما يقصدون بهذا النقص الأخذ على الإسلام في حد ذاته ولأنهم لا ولن يرضون عنه كما حكى الله لنا ذلك في محكم تنزيله - تجدهم دائماً يلوكون بالسنتهم ما أعيا التعبير تكراره في كتبهم القديمة والحديثة في الشرق والغرب في آسيا وإفريقيا - وما عسى أن يقولوا في الإسلام بأكثر مما قالوا فيه ؟

أنه دين يعمد إلى القسوة .

وأنه دين حربي .. تعوزه وداعة المسيحية ورقتها .

وأنه يحيز الرق .

وأنه دين شهواني - لأنه يحيز تعدد الزوجات . إلى آخر ما يحبو لهم المقال ظناً منهم أنهم قد نالوه - والحقيقة المرأة أنهم قد نالوا من أهله بما لا يدع مجالاً للرد، وألبسوه في أصالته بما ألبسوه في الشرق والغرب من آسيا وإفريقيا - وكتبهم في

هذا الامر منتشرة بلغات الامم .. وكأني بعلماء الاسلام ودعائه لا يعرفون شيئاً عن ذلك ، وإذا عرفت دعائه بعض الشيء فجدواها لا تغني من الحق شيئاً.

والواقع أنه لا مثار للعجب من أن تدور وتوجه مثل هذه الشبهات والانتهاكات من كل مغرض ، لان جهل المرء بالشيء يفقده مقومات معنوياته .

وليس المجال هنا بمقام الرد على كل فرية .. فإن لذلك من الكتب المطولة ما قتلها العلماء بحثاً - جملة وتفصيلاً - ولكنها في بلاد الإسلام ذاته لا ينتفع بمعناها الملايين من الافريقيين وكلهم وجد وشوق للإسلام وحقيقته المنزلة من رب العالمين !!

والمعهود كما يقول العلامة عباس محمود العقاد تحت عنوان : سوء فهم وسوء نية « في جماعة الغربيين : إن الكثيرين منهم يقرنون سوء الفهم بسوء النية .. لأنهم يخدمون سياسة المستعمرين وسياسة المبشرين المحترفين - أو ينظرون في بحوثهم نظرة الغربي الذي ينظر إلى الشرق نظرة المتعالي عليه في حاضره وماضيه .

غير أنهم كما قلنا آنفاً - ما عدا القليلون منهم - محدودون سطحيون يحومون حول المسائل الحسية ولا يتوسعون في النظر أو يتعمقون وراء الظواهر التي يلمسها الشاهد الحسن لمساً فلا تخرج عنده من حدود ما يثبته أو ينفيه من وقائع العيان والسمع ، وغاية ما يقصدون اليه من إيراد الشبهات والمفتريات على الإسلام أنهم يعتقدون تحطيم الإسلام أو دعائمه الروحية القائمة رغم الأنوف .. ثم يستجيزوا بعد ذلك كل ادعاء لهم يدعونه وكل انكار ينكرونه من أصول اليقين والاطمئنان ، ولكن أنى لهم ذلك - فقد أبى الله إلا أن يستمر نوره ولو كره الكافرون .

ما أحدثته المؤلفات الغربية من تأثير سيء

والآراء تتضارب حول موقف الغربيين عند بعض المثقفين الأفريقيين، وستظل تتضارب ما دام للغربيين عملاء ، وطالما كان لاستعمارهم بواقٍ من المخلقات الفكرية التي يمثلها المسيحيون الغربيون أو تتمثل في المبشرين والقسس - وما يلقونه من وعظ ومحاضرات - وما يتلونه في الكنائس والمؤتمرات والمراكز ، وقد لاقى كل هذا رواجاً وترحيباً ، وانتشرت تشويهااتهم للإسلام والمسلمين حتى عاد من العسير في بعض المناطق الأفريقية الشرقية إقناع إفريقي مثقف أو غير مثقف بالحقيقة .

وما ذلك إلا لكثرة الأباطيل التي حشرت فيما قلناه - بل اسودت بها كراريس الكتيبات - وصفحات المجلات - يومياً ، وأسبوعياً ، وشهرياً ، ولم يقتصر عداء هؤلاء للإسلام والعرب على إخراج مثل هذه الكتب وتوزيعها بكميات ضخمة وفي فترات متعددة فحسب ، بل ما نحن نجد دولة الفاتيكان تخصص يوماً من الأسبوع لإفريقيا بالخصوص وهو يوم الثلاثاء - ترسم فيه خطة التبشير كما توضح العقبات في طريقه ومنها الإسلام . وتضع الوسائل الكفيلة بتدليلها . ويحانب خطة التبشير تعلن تعليقاتها السياسية على الأحداث العالمية . وهذا صوت الإنجيل الذي يذاع من عاصمة الحبشة بعدة لغات إفريقية وقد

أعدت له محطة إرسال كبيرة في مدينة (موشي) بـتنزانيا المتحدة . ولهاتين الإذاعتين مستمعون هم من الكثرة بـمكان ، وكلهم يتأثر بما تبثه موجاتها من نشرات ومواضيع دينية ومفتريات ملفقة إلى غير ذلك مما بلبل الأفكار وصدت عن سماع ما يذاع من غيرها . وإنه لما تجدر الإشارة إليه ، أن سر انسياق الجموع الإفريقية إلى تصديق ما يبث ليس عن كراهية للإسلام ؟ وذلك لأن الفكرة أو الأفكار التي تساورهم عن الإسلام وأهلها لا تبلغ الكراهية ولكن عن حب اندفاع الإنسان للاستطلاع أو حبه لكل جديد يفد إليه . ولأنها أيضاً قد سدت فراغاً كبيراً في مجال حياتهم طالما ظل هذا المجال شاغراً يتطلب غذاء عقلياً منذ وقت طويل ما سبق .

ولن تجد فيهم أناساً يستطيعون أن يقولوا انهم انضموا إلى المسيحية أو اعتنقوها بعد دراسة عميقة وافية لتعاليمها وبحث شامل لنظرياتها ومعنوياتها ، أو أنهم أقرروا نتيجة الدرس ووافقت أفكارهم وأحاسيسهم ثمرة التقصي والتحقيق ، وإنما هم انساقوا بالجملة وراء ما يبث وينشر ، وأحبوا الانخراط في سلوكها لأنهم طلاب أمثلة إنسانية وذلك ما يذاع عليهم .. ولم تلبث أن تعيها أذهانهم رتؤ من بها استحساناً عقولهم وقلوبهم - وتلك لهفات لا تلبث أن تجد ذاتها مسرجة مشدودة إلى عجلة الحروب الصليبية على الإسلام والتي يشنها معاشر المبشرين في كل أنحاء المعمورة .

وكان ممكناً لو كان للإسلام حماة ودعاة بالمعنى الصحيح أو كما كان من ذي قبل أن لا يدخل هؤلاء حظيرة الدين يجعلون من الله ثالث ثلاثة ، وأولئك دعاة الاستعمار ورواد أحقادهم وأطماعه - لو أن غيرهم فكروا في تنظيم حملات قوية للقضاء على دعاياتهم ومنعها من استغلال صدق نياتهم والانتفاع بنزعاتهم الإنسانية الخالصة - فقد كان كل ذلك أحق وأولى بالتبرير . وهنا يجدر بنا أن نتساءل :

أين الدول الإسلامية ؟؟

بل أين نتاجها لدينها ؟؟

وقد علمت أنه لا يقوم في المدافعة أمام أي تيار إلا تيار مثله .

بل ما هو موقفها جلياً بعد أن وضع الزبد عن الرغبة واتضح الصبح لذي عينين حيال هذه التيارات القوية التي تتمشى سموم دعايتها كما تتمشى النار في الهشيم .. وأين علماء الاسلام الذين خطبوا ببث الدين ونشره لا في عقر ديارهم فحسب ، بل في غير دياره وحيث توجد الآلاف المؤلفة الطالبة الراغبة في الدين !!

ولأن وفقت (المملكة العربية السعودية) في الآونة الأخيرة ببث (صوت الإسلام) من مكة المكرمة إلا أن هذا الركن ما زال ببثه كالطل تجاه الواابل الذي يذاع من (صوت الإنجيل) و (صوت الفاتيكان) .

وذلك لعدة أسباب .

ولكنه مهما كان الأمر فبعض الشيء خير من لا شيء !

والمملكة العربية السعودية في عهد مليكها المفدى (خادم الحرمين : فيصل آل سعود) مشكورة ومثابة على هذا العمل والمجهود الذي لم يقصد به محضاً إلا خدمة الإسلام وتوجيه صوته بالدعوة إلى أصقاع بعيدة بآسيا وأفريقيا . أما علماء الأمة الاسلامية وفي شتى أقطارها فأحسب أن مجهوداتهم ما زالت ضحلة - جداً ضحلة - وبالذات في الدول الافريقية الشرقية .. ومن المؤسف جداً أن كتباً كثيرة صدرت عن الاسلام في افريقيا بأقلام إسلامية كبيرة وقد أخطأها الصواب في بحثها وتحقيقها عن الاسلام ، لأنها حين كتبت لم تكتب بقصد التقصي والتعقيب .. بل كتبت وكفى !!

ولقد هالني ما اطلعت عليه في كتاب صدر عن المجلس الأعلى للشئون الإسلامية - بالقاهرة - بعنوان « الاسلام في افريقيا » ويضم الكتاب بين صفحاته عدة معلومات عن افريقيا بصورة عامة ، كما أنه لم يخل عن معلومات

أخذت من مصادر غربية مسيحية قصدت فيما كتبتة ذر الرماد على العيون ،
وبالذات في البلاد العربية الاسلامية !

فمثلاً نجد فيه تحت عنوان « كلمة أخيرة » ما يلي :

... في بحث شامل لمجلة « الكريستيان مونيتور » نشرته منذ أقل من عامين
تعرّض الكاتب وهو قسيس مسيحي قام بزيارة طويلة لأفريقيا للظروف التي تمر
بالمسيحية في أفريقيا فقال :

... على الرغم من الجهود الضخمة التي يقوم بها المبشرون المسيحيون في
أفريقيا ، وعلى الرغم من الأموال الطائلة التي تنفق على تحويل الأفريقيين إلى
الديانة المسيحية - فإن الأفريقيين أقل حماساً للدخول في المسيحية منهم في
الاسلام .

فالإحصائيات الدقيقة التي أجريت في أفريقيا أكدت أن دخول الأفريقي
في المسيحية يقابله دخول ٨٧ من زملائه في الاسلام !!

إلى آخر ما في الكلمة من هراء ثرثر به القسيس للتدليس والتضليل بعد
اعترافه بالجهود الضخمة والأموال الطائلة التي تنفق على تحويل الأفريقيين إلى
المسيحية كما يبتغون .

والأمر كما يعلم الباحثون العارفون بالاسلام في أفريقيا خلاف ذلك ، أو
بالأحرى أن الواقع للأمر هو بعكس ذلك وبالذات في السنوات العشر الأخيرة
من هذا القرن .

وقد أصاب هذا القسيس غرضه واستوفى أمنيته حيث تلقف كتابنا
وعلماءنا هذه الفرية وكثيراً من أمثالها ، وكأني به قد أدرك أن كتابنا
يستسيغون كل مستورد ، حتى أصبحت بحوثهم عن الاسلام في أفريقيا لا تدري
عن الحقيقة شيئاً إلا ما ندر أو ما تسوقه إليهم أنبياء القسس وكتاب المبشرين

قصداً للتغريب بهم - وقافلة المسيحيين تمشي بدعوتها سراعا ونحن بمجهوداتنا
لا نتمسك بالتخطيط في سطور التقارير وبطون الكتب - وعن كل ما يجري
ساهون غافلون !

إن الأمر غريب - وغريب جداً من تمويه هذا الكاتب وأمثاله وكثير
ما هم غفلة بل وغفلات متتالية حيناً نأخذ بمثل هذه المصادر !

فأين علماء الاسلام وأين دعاة وأين كتابه المحققون ؟؟

حقائق لا بد أن تعرف ١١٠٠

ليجربوا ولو مرة واحدة بالسير وراء البحث في افريقيا وأحراجها ...
وليجربوا ولو مرة واحدة بالسير في افريقيا وادغالها للبحث والاستطلاع عن
الاسلام والمسلمين وهناك سيجدون مدناً كانت عامرة بالعرب أهلة بالسكان
لمسلمين حتى بلغ أن «كلوا» المدينة العربية الاسلامية القديمة بتنجنيقا كانت
تضم ٣٠٠ مسجد .. فاحت منها معالم الاسلام بصورة تثير الأسى والألم كل
الألم .. وأصبحت الغالبية فيها وفي احباطها أمة مسيحية !

مدن كانت عامرة بالمدارس والمساجد والوعاظ - ففدت (الآن) مليئة
بالكنائس ومعاهد التبشير وعلماء المسيحية !

مدن كانت مليئة بكتّاب القرآن وروضات الدروس الدينية هي اليوم مليئة
بالمدارس المسيحية وملاعب القمار واللهو وحانات الخمر - حتى لقد أصبح من
العسير في بعض القرى بل معظمها أن يجد أبناء المسلمين متسعاً لدرس قرآنهم ،
أو مدارس لتعليم دينهم !!

فأين نحن من هذه الاحصاءات الدقيقة التي يتحدث عنها القسيس المسيحي ؟؟

ومتى يعلم علماء الاسلام أو كتّاب تاريخه في افريقيا أن أكثر من ثلاثين
مدرسة تكتنف عشرات الآلاف من الطلبة في كل من زنجبار وبمبا ومباسا

وماليندي ولامو وأحباطها وبعض القرى الآهلة بالسكان المسلمين المحيطة بالمدن. هذه المدارس قد كانت إسلامية عربية بكل ما تعنيه من معنى، تدرس فيها لغة القرآن والدين الإسلامي رسمياً - أصبحت (الآن) تحمل مسميات أخرى وألغيت منها دراسة الدين واللغة وبدأت الأغلبية المسيحية تتزاحم على مقاعد صفوفها.

وهناك معاهد عليا كالمعهد الإسلامي في ممباسا

(Mombassa Institute of Muslim Education)

والمعهد الإسلامي في زنجبار - ألغيت منها المسميات التي كانت تحمل الطابع الإسلامي بل حسبنا أنها بُنيت بأموال إسلامية وألغيت منها أيضاً الدراسات الدينية إلا ما ندر لذر الرماد على العيون .

نعم .. متى يعلم كتاب تاريخنا مثل هذه الحقائق؟؟

أم سيقون حتى ينقل إليهم قسيس آخر هذه الحقائق في الاحصاءات الدقيقة التي يتحدثون عنها وينقل أحاديثهم كتابنا في كتبهم عن الإسلام في إفريقيا !! وهكذا استطاعت جمعيات التبشير وإرسالياته أن تقنع المسلمين وتوهمهم بأنها تعاني من العراقل لنشر المسيحية ما تعانيه، وإن ما تبذله من جهود ضخمة وأموال طائلة لم تكسبها النتيجة المطلوبة وهي والله قد أدركت ما تصبو إليه !!

ولست أدري متى يفهم المسلمون، ومتى يدرك دعاة الإسلام وعلماءه أن التبشير لم ينجح في إفريقيا فحسب بل لقد نجحت جمعياته وبعثاته بغير عائق - في عمان - الخليج .. الأرض العربية الإسلامية من لدن عدة قرون فكيف بالافريقيين في إفريقيا؟

وقد قال الكاتب المرحوم الأستاذ الكبير (عباس محمود العقاد) في كتابه :
« الإسلام في القرن العشرين » ما يلي :

ويرجى من تعزيز مركز مسقط مزيد من العمل - وهناك في داخل عمان قبائل لا حكم عليها للسلطان - نجحت بعثات مسقط في حمل رسالة الإنجيل إليها على نطاق أوسع مما تيسر قبل الآن في أي مكان !!

علاقة العالم العربي والاسلامي بافريقيا ..

للحقيقة والتاريخ يجب أن نتناول هذه العلاقة من النواحي الجغرافية والتاريخية ، وما نشأ وينشأ من أمور جمة لمفهوم هذه المضايف . فأين كانت افريقيا في أحقاب التاريخ ؟ ومن الذي كان يحتملها؟ وهل كانت تعني كلمة افريقيا هذه المجموعة من الدول – والبالغة ثمانى وثلاثين دولة – باستثناء المستعمرات المحتلة من البرتغال وجنوب افريقيا أم كانت غير ذلك ؟!

أسئلة تتطلب صفحات وصفحات وهي من تاريخنا المغمور أفصح تبيناً وأكثر بياناً وأقوى حجة وإقناعاً منه بالتاريخ المزور حيناً والمكذوب آخر !

وللاجابة على هذه الأسئلة يجب أن نعود إلى الوراء من أعماق التاريخ . فعلماء الجيولوجيا يرون أن الجزيرة عبارة عن كتلة طبيعية لصحارى افريقيا التي يفصلها عنها (الآن) منبسط وادي النيل ومنخفض البحر الأحمر العميق . والذي تجزم به الدراسات لعصور ما قبل التاريخ أو العصور (النيوليثية) حيث أثبتت هذه النظرية إثباتاً قائماً على الدقة والتمحيص .

والمطلع على التاريخ للدولة السبئية والدولة الحميرية والدولة المعينية والحضارات المتعاقبة بين هاته الدول واستعمالها البراري والبحار للأغراض التجارية يدرك ويحل عنده اليقين محل الظن والتشكيك .

ورواة التاريخ وثقافته من شرقيين وغربيين يرون أيضاً كدلائل على الصلات التي قامت بين الجزيرة العربية وافريقيا منذ آمامد سحيقة في القدم ، أن التزوح من بلد ما في الجزيرة العربية إلى بلد ما في افريقيا لم يكن يومئذ بالأمر العسير أو الشاق وقوعه كما هو الحال بعد أن فصل المستعمر الغربي كل افريقيا عن هذا الجزء من العالم العربي الاسلامي .

كما وأنه في القديم جداً كانت السواحل الشمالية من افريقيا القارة ، أول منطقة انتعشت فيها الحضارات في افريقيا .. فرواة التاريخ ومدونوه يثبتون بالشواهد الأثرية المكتشفة أن الفينيقيين قد استغلوا معظم المنطقة الساحلية وأصبحت قرطاجة التي أنشئت عام ٨٠٠ ق.م من أكبر المدن للبحر الأبيض المتوسط ، ويومئذ سيطروا بعد إخضاعهم لعشائر البربر على جميع المناطق المسكونة في شمال افريقيا .

وكانوا يعملون على التوسع جنوباً . وليس في استطاعة أحد منا أن يفكر على أي وضع كانت بقية مناطق افريقيا قبل هذه الأحقاب الموعلة في القدم لولا معرفة العلوم الحديثة التي أوضحت المبهم من الكتابات القديمة وميزت التقدير والتقنين للدمى الحجرية الأثرية .

وفي غضون عام ٥٢٠ ق.م استكشف (هانو) القرطاجي الساحل الغربي ووصل إلى المنطقة المعروفة اليوم بـ (سيراليون) ، وحوالي ذلك الوقت أسس الإغريق مدينة (برقة) الواقعة في ليبيا عام ٦٣٠ ق.م ، ولم تكن أوروبا في ذلك الوقت شيئاً مذكوراً .

وبعد مضي ثلاثمائة عام أسس الاسكندر الكبير مدينة الاسكندرية وبالتحديد في عام ٣٣١ ق.م ولما ينقضي وقت يسير حتى سقطت قرطاجة بعد أن بدأ الضعف والخور يدب في قوة الفينيقيين - ويومها احتل الرومان المدينتين . وامتد الزمن عبر قرونه الطوال والمدنيات بحضاراتها تتعاقب تمشياً مع سنة الكون .

واقضى مركز القوة الذي كانت تتمتع به بنو سبأ وبنو حمير أن يكونوا أسياد البحار الشرقية كما كان الفينيقيون الساميون أسياد البحر الأبيض المتوسط ، فاشتط بنو سبأ وبدأوا يقررون الطرق البحرية فاخترعوا البوصلة البحرية ونشروا فكرة كروية الأرض وحققوا الكثير من مجالات التقدم في فن رسم الخرائط الجغرافية ، ورادوا الأراضي والجزر القصية ، وتزعموا تجارة العالم وحضارته ووضعوا أسس القانون والنظام الدوليين والمجتمع المدني ، وكانت مخططاتهم في الجغرافيا وبعد لأي من القرون كمرشد طريق للمكتشفين الغربيين ، كما كانت أيضاً مشاعل يهتدي بها السائرون في البراري والبحار .

وهل اقتنع « كولمبوس » بنجاح رحلته إلى الهند عن طريق رأس الرجاء الصالح إلا بعد إطلاعه على مؤلفات عربية في ذلك الشأن ؟؟ وهنا يقرر التاريخ أن الفينيقيين الساميين هم الذين كانوا أول من سكن القارة ونشروا فيها الحضارة .

والفينيقيون أولئك لم يكونوا في الواقع كما يقول المؤرخ العربي « جورجى زيدان » سوى موجات عربية أتت من جنوب الجزيرة والبحر الأدنى (خليج البصرة) فالفينيقيون بسطوا نفوذهم على الشمال من القارة ، وبنو سبأ وحمير على الشرق والجنوب منها والوسط أيضاً . وقد ذكر المؤرخ الانكليزي « الدكتور حتي » وهو ناقل بدوره عن جماعة من المؤرخين الثقافات غربيين وعرباً - أن فئة عربية قد نزحت من اليمن وحضرموت إلى أرض (كوش) حتى استقر بهم المقام فوضعوا حجر الأساس لدولة حبشية ذات مدنية وعمران ما فتئت أن أدركت من الحضارة درجة لم يكن لزوج البلاد الأصليين أن يبلغوها لولا اندماج العرب بهم .

ومن المحتمل على حد قول الدكتور « حتي » ان تفرق قبائل الجنوب حوالي منتصف القرن الخامس للميلاد وتعزوه الأخبار والتقاليد إلى انفجار سد مأرب

العظيم الذي أسفر عن هجرة بعض القبائل إلى الشام والعراق قد أدى إلى نشاط الحركة الانتقال إلى الحبشة من الشرق الأفريقي أيضاً ، وازدياد الجالية العربية فيها . وكانت قد تقاطرت جموع العرب إلى ساحل إفريقيا الشرقية قبل الفتح الإسلامي بزمان بعيد حيث اختلط دمهم بدم السكان الأصليين . وبذلك يتضح أن القارة الإفريقية قد عرفت العرب منذ زمن بعيد كما أقيمت فيها حضارة إنسانية قديمة تعاقبت بين المنحدرين من الأصول العربية .

وقديماً أطلق العرب كلمة (إفريقيا) ودلّوا بها على بلاد البربر الشرقية ، أما الغربية فسميت بالمغرب . وقد اختلف جغرافيو العرب في وضع حدودها ولم تعرف إفريقيا في يوم ما بهذه التقسيمات والتجزئات ، والحواجر الفاصلة التي أصبحت فوق المستوى التقليدي أو هذه الأسماء المتعددة من الشمال الإفريقي العربي إلى الجنوب الزنجي إلى المغرب الفرنسي إلى الشرق الإفريقي الإنجليزي والألماني أو الوسط الاستوائي البلجيكي - إلى آخر ما طرأ على هذه القارة من أسماء ومسميات افتعلها قاموس المطامع الاستعمارية .

والحقيقة التي يتكشف عنها البحث في أمر الصلات والوشائج أياً كانت بين الإفريقيين وماضينا العربي قديماً ثم الإسلامي حديثاً حقائق ناصعة جداً بهم أمرها كل إفريقي مسلم وغير مسلم ، وهذه الحقيقة أو الحقائق يمكن استخلاصها من الروايات التي تؤيدها الوقائع والوثائق التي لم يدخلها الزيف والتحريف . والشواهد القائمة حتى اليوم نجدها ممثلة في ركائز الفكر كاللغة وتقاليد وعادات مشتركة وانطباعات في العديد من مرافق الحياة ومعالمها . وحين حمل العرب الأوائل من أبناء الجزيرة العربية دعوة الدين الإسلامي إلى إفريقيا شرقاً وغرباً لم تكن المسيحية بمعرفة يومئذ إلا في مصر والحبشة حيث يعيش الأقباط ، وقد ظلت الصحراء الكبرى حاجزاً منيعاً تحول دون التوغل بالدعوة المسيحية . واستمرت الدعوة الإسلامية تزحف في الأدغال والأحراش

في الأعالي والمنبسطات من افريقيا القارة ، حتى جاء دور الكشف الاستعماري الأول في مطلع القرن الخامس عشر الميلادي ، ويومها أدرك الغرب خطر الاسلام في القارة الافريقية ضد مطامعه ، فانسال على اثر ذلك زحف المكتشفين أولاً ثم المبشرين ثانياً .

فمهدوا للغزو الاستعماري الاحتلالي بصورة عامة ، وبدأ الجميع يخططون للقضاء على الاسلام وأهله . وبدأت المؤتمرات الدولية للارساليات والكنائس ورصدت الأموال كذلك ، كما بدأت تقارير المبشرين والارساليات تأخذ فعاليتها .. ولو أننا أردنا إحصاء ما جاء في تقاريرهم لجمعنا من ذلك مجلدات ومجلدات .

وفي العصر الإسلامي يذكر التاريخ أن العرب استوطنوا افريقيا الشرقية لأول مرة في عام ٥٦٥ هـ - ٦٨٤ م ودخلوا منها إلى افريقيا الوسطى للتجارة ، ونشروا الإسلام في مصر ، وفي افريقيا الشمالية والغربية ، وبلاد النوبة ، والسودان ، وارتيريا ، وغالبية مواطن شعوب الحبشة ، والصومال ، وغيرها . وظل العرب حتى الجزء الأخير من القرن التاسع عشر القادة لأفريقيا والحكام والمعلمين والإداريين لا ينأزعمهم في ذلك منازع وبصورة خاصة في افريقيا الشرقية .. وعندما قسمت البلاد بين الاستعماريين من الدول الثلاث : بريطانيا ، المانيا ، ايطاليا ، تمكن كل منهم على حدة لدحر العربي المسلم الافريقي تدريجياً وحلوا محلهم ، واقتسموا ممتلكاتهم الشاسعة وجعلوا منها مستعمرات . حدث كل هذا بعد أن تأقلم العرب تماماً ، وثبتوا من حضارتهم العربية الإسلامية ما جعل المستعمر الحاقد يعترف أكثر مرة أنها حضارة ذات جذور يستحيل القضاء عليها . والأمر الواضح أن الاستعمار الغربي أدرك كل هذا عياناً ، ولمس أن اللون الغربي لم يقف حاجزاً في طريق العرب . هذا من جهة ، ومن جهة أخرى بساطة الدين الاسلامي وسماحة تكاليفه - وما زالتا - السبب الفعال في انتشاره وانتصاره على العقائد الأخرى المنتشرة في افريقيا .

والسر في كل هذا - أو السر في متانة العالم العربي بأفريقيا - هو أن
الأوائل منا قد هضموا القبائل الوثنية ووحدها، وجعلوا منها شعوباً متحضرة.
وكذلك فإن العرب لم يعطوا الأفارقة الإسلام الذي هو دين الوحدة والأخوة
والمساواة فحسب ، بل أعطوهم شريعة جديدة ولغة جديدة وأمجدية جديدة ،
واختلطوا بخرية بالأفارقة كإخوة لهم متساوين وإياهم . ومن طريق التزاوج
أنتجوا سلالات جديدة من المصريين والسودانيين ، والارتيريين ، والصوماليين ،
والسواحليين ، ولغات جديدة كالهوسا، والسواحلية التي هي قوة موحدة عظيمة
في الأراضي الأفريقية الشاسعة .

التعليم الاسلامي في ماضيه وحاضره

لقد كان التعليم الإسلامى فى الماضى بالديار الافريقية الشرقية وبالذات فى فترة ما بين ١١٠٠ هـ حتى ١٢٧٦ هـ تعليمياً بلغ مستواه فى النفوس مستوى عالياً - حيث انتشر فى المدن والقرى ممتداً كالسيل الآتى فى الأحراش والأدغال حتى أصبحت كلمة الله فى تلك الربوع هى العليا، فنشطت مجالسه وازدهرت مدارسه وجلجلت جنبات مساجده بذكر الله فلوح غوها وتراحت حدود ترويجها فتركت للكاتبين من بعدها ظاهرة فذة فى التاريخ !!

وهل هذه المساجد المشيدة فى كل مدينة وقرية وعرضات العلم ومدارسه إلا امتداداً لمـد من أسس تلك المساجد والعرضات والمدارس !!

وحقاً أقول : فلقد كان وراء ذلك الازدهار للتعليم الإسلامى الصحيح الذى استأصل فى النفوس فطبعها بطابع الإسلام ، أفكار كانت بأهلها ولا ريب أو كانوا بها لا يسددون سهماً من سهام نفثاتهم العلمية إلا أصابوا به غرضاً شريفاً أو هدفاً إسلامياً محضاً !

فهم بتوجيهاتهم المستمرة آنذاك معتدين وبقوة نفوذهم وراعتهم فى أساليب الدعوة أصحاب عزائم قوية أعزها الإيمان فاكسبت منه القوة المعنوية - وهب حاملوه يبثون وينشرون دعوة دينهم - آخذين له من حزم الأساليب وسيكولوجية

التقريب والاستجلاب ما جعلهم يستهوون به النفوس رغبة لا رهبة !

نعم .. هكذا كان مستوى التعليم في الماضي ، فانتشرت العلوم المستقرأة من كتاب الله وتعددت مشارب الآخذين لها وتنوعت فنون الدراسات فمن تفسير لآي الذكر الحكيم إلى تدقيق في علم الأصول إلى علم الحديث فقهاً ورواية إلى شتى فروع علم اللغة العربية .

ولقد كانت مدينة «لامو» والتي تبعد عن ممباسا شمالاً حوالي ٢٠٠ ميل ونيف كانت بأهلها من آل جمل الليل وآل الشيخ بوبكر بن سالم وهما طائفتين من السادة العلويين فزحت منذ قديم من حضرموت - كانت كعبة الوافدين من طلاب العلم ومن شتى أقطار إفريقيا الشرقية ومن صوماليا ، وبراوا .

من هذه المدينة العربية القديمة انتشر التعليم الديني الإسلامي - حتى كانت (لامو Lamo) مصدر إشعاع أضاءت به قراها المجاورة والجزر الباجونية القريبة والنائية ، فأصبحت كل تلك القرى والجزر أمة مسلمة عن بكرة أبيها - تدين بإسلامها وهدايتها لله أولاً وأخيراً .. ولدعاته من طائفة السادة العلويين ، وما زالت هذه المدينة بالرباط العلمي الموجود فيها حتى يومنا هذا تؤدي رسالتها في الدعوة كاملة غير منقوصة ومن هذه المدينة نفرت رسل العلم ودعاة الإسلام إلى صوماليا وبراوا شمالاً - وممباسا شرقاً وجنوباً ويوغندا غرباً - وتنجنيقا والكيب بأقصى إفريقيا جنوباً حيث رأس الرجاء الصالح .

وقد شاطرت لامو في بث الدعوة ونشر العلم كلا من مدينة زنجبار ومدينة ممباسا، وهنا يحق لنا أن نترحم على تلك السلالات العربية من العلويين وغيرهم حيث طوقوا هامات كل هذه النفوس المعتمدة بإسلامها والقوية بإيمانها الذي أبى الله إلا أن يظهره ويبقيه ثابتاً في نفوس الأعقاب من الأبناء والأخلاف من الأحفاد جيلاً بعد جيل - بأكاليل من الفضل والمن والله المنة والفضل من قبل ومن بعد .

والطائفتان العربيتان - طائفة العمانيين حكام البلاد .. وطائفة المزارعة والتي كانت قديماً بمذهبها أباضية وقد تسنن منها الكثير في العصور المتأخرة - فلم تكن هذه لتعمل للإسلام والدعوة إليه بقدر ما كانت تعمل للحكم والسيطرة عليه - وهاتان الطائفتان كانت بحكم ملكها لزنجبار وممباسا وماليندي ولا مو - وبالجملة - لطول خط الحزام الساحلي من إفريقيا الشرقية - تدعي لنفسها مزايا طيبة وتجعل من ذوات أشخاصها عنصراً عربياً أصيلاً ناظرة إلى غيرها نظرة السيد إلى المسود، فخلقت بهذا الفكر السمج بغض العربي من الطوائف التي يعيش معها، وقد نبغ رجال كثيرون من هذه الطوائف كانوا بحق مثال العلم الغزير والخلق الرفيع، وقد كان لبعض مؤلفاتهم في شتى العلوم صدى كبيراً كما أنها كانت بحكم قبضتها على يد الحكم ترويض الناس على اكتساب سجايا وخصالاً قوية عجيبة، لم تعد راجحة في أيامنا هذه بل ولا كبيرة الأثر في النفوس .. فهي تقضي مثلاً من الفرد الذي يدخل في غمار الطاعة لها أياً كانت قبيلته أو جنسيته أن يتذرع بالولاء لها والإخلاص والتفاني في قضاياها والرغبة والتضحية بذاته في سبيلها وقد استمرت هذه الفرضيات تفرض على النفوس والعقول رغبة ورهبة حتى يوم الثورة الأليمة التي طرحت بالملك العربي الإسلامي العمانى في زنجبار وملحقاتها فخسروا أنفسهم مما فرطوا وندم الجميع حيث لا ينفع الندم ؟ وقد سبق السيف العذل .. وصدق قول الشاعر :

أوردها « سعد » و « سعد » مشتمل

ما هكذا « يا سعد » تورد الإبل

وهكذا ظلت تعاليم الإسلام تغمر بهدايتها الناس مدة من الزمن تراوحت بين قرنين كاملين وهي تجري سائرة من غير توقف والمسلم يزداد بإخوته إيماناً كلما جد سيرها ولم يجد أي عائق في سبيل مضيه وطريق معرفته - وذلك لكثرة الدعاة والمعلمين والمرشدين الذين وهبوا نفوسهم لله وللأمة -

فعاشوا قاطنين وظاعنين في مساكن متواضعة لم تتيسر لهم فيها أسباب الراحة، وقد قنعوا بالقليل من الزاد والصالح دون الفاخر أو المترف، ولم يمدوا عينهم إلى مطمح بعيد المدى، غير أنهم قد حكموا النفوس بالتواضع واستهواوا الافتدة باللين والرحمة - وأحيوا الهمم بنور الله حتى كانوا بحق ملوكاً لا خرتهم من دنياهم - يقابلهم اخوانهم من رجال الحكم من عمانيين ومزارعة حكموا فعاشوا على طرفي نقيض منهم إذ كانوا أصحاب ثراء ونعيم وكانت منازلهم تغص بالخدم والحشم .

وهكذا مضت فترة من فترات الماضي البعيد المدى ظل فيها الشرق الإفريقي يدين للمسلمين العرب في دينه ودنياه .

ركب دعوة الاسلام

وتوالى ركب الدعوة يجري في كل مكان يتخطى الصعاب المؤلمة بهم لا تعرف الكلال ، ويستعذب الرحلات الشاقة بعزائم لا يناها الملل متحملاً العناء في سبيل الدعوة واستقرارها - فكانت النتيجة وكانت الثمرة أن حفظ الله الإسلام في تلك الربوع من القارة السوداء بما بذرت تلك القلة الصالحة من بذور الخير في المسجد والمدرسة في متجر المدينة ودكان القرية في كل مكان من النجد والسهل والربى والوهاد .

وما يجب أن نعلمه ويعلمه دعاة اليوم أن أولئك الذين تشهد لهم الملايين المسلمة في تلك الربوع بالدعوة وكفاحها وبالعلم وجهاده لم يجدوا أمامهم دروباً معبدة ولا مساكن مضاءة ولا طائرات للنقل أو سيارات للركاب ولا طنافس مفروشة أو مآكل متنوعة وإنما كان أحدهم يمشي الليالي والأيام على قدميه بين مزارع القرى وأنهر الاقليم ، حتى إذا جاءه الليل أحياء عبادة أو تلاوة ثم هو يفترش الأرض إذا عز الحصر ويأكل من الزاد ما تيسر وهكذا كانوا - فكان الإسلام بهم سليماً معافى ، نشره بإخلاص وعلموه بالقدوة قبل أن يعلموه بالكتب المترجمة ضحوا بالكثير من الوقت مداومة ومواظبة ، فخرجت لنا من بعدهم كل هذه الاجيال التي عجزنا الآن أن نقيم لها مدرسة واحدة بالمستوى المطلوب للعصر الذي نعيشه والحياة التي نحياها - بل غفلنا أو تغافلنا عما كان

يجب علينا أن نعمله تجاه أولئك الذين حملوا راية الدعوة في أحلك الليالي وأشد
الأيام محناً وشدائد ..

وذهب آخرون منا إلى التقليل في حق أولئك الدعاة والخط من سمعتهم
وهو لا يدرك متى وكيف وبمن حل الإسلام في تلك الربوع .

وهو لا يدرك أيضاً أن ما يكتبه اليوم عن الإسلام في تلك الاقطار وعن
الدعاة في تلك الديار قد جاء متأخراً جداً ..

بل ماذا عساه أن يقول وقد وجد من المدارس الكتاب ما يعد بالمئات
ومن المساجد مثلها ، ومن المسلمين الملايين .

ورغبة منا في تقديم الصورة الصادقة والافادة اللازمة حفاظاً للتاريخ بذكر
تاريخ أولئك الدعاة، نلم المامة مقتضبة بذكر أسماء من عرفناهم أو درسنا أخبارهم
بحثاً وتنقيباً أولئك الذين حملوا الدعوة خلفاً عن سلف فتحملوا صنوف الأذى ..
وتمرّسوا بالأحداث فأصبحت المتاعب الناجمة منها في سبيل الدعوة مهنة ..
وأصبح الجهد في السفر والإقامة عناء، هوية لازمت الكثير منهم سنيماً طويلاً
تتراوح بين الخمسين عاماً والثلاثين عاماً - ومن لمعت أسماءهم في كل من كينيا
- وتنجنيقا سابقاً - وزنجبار - ويوغندا - والكونغو الأوسط وما جاور تلك
الجهات ، وفيهم مذكّراً يقول أحد الدعاة من قصيدة طويلة ..

وبمهجتي نفراً بأفريقيا مضوا	كانوا مثال العلم والتمكين
كرماء تهتز الرؤوس لذكرهم	عظماء في التاريخ والتدوين
وهم سنام المجد والسباق في	نشر المكارم من قديم قرون
تقتص رواد المعلى آثارهم	ولصوتهم في الربيع أي رنين
وبزنجبار بقية طالت بهم	إفريقيا شرقاً إلى نسرين
خدموا الشريعة مصلحين وقلدوا	جيد المعام قلائد النسرين

ونقدم هنا أسماء طبقات ثلاث - أي منذ ١٣٠٠ هـ حتى ١٣٩١ هـ فمن
تذكرهم ممن اشتهروا بالدعوة إلى الله في مطلع قرننا : السيد صالح بن علوي جمل
الليل وأولاده أحمد صالح، وعيدروس صالح، السيد أحمد بن أبي بكر بن سميط
وولده عمر بن أحمد سميط .

الشيخ عمير تاج الشيرازي، الشيخ الأمين بن علي المزروعى، الشيخ محمد بن عبد
الله با كثير، السيد عمر بن سالم العطاس، الشاعر الأديب محمد بن علي الأموي، الشيخ
الهنزوان، شيخ الإسلام السيد عبد الرحمن السقاف إمام الدعاة، السيد عبد الله
شاه، الشيخ علي بن محمد الخطيب، الشيخ سعيد بن أحمد .

ومن دعاة رجال الطبقة الثانية : السيد أحمد بن حسين آل الشيخ، الشيخ
محمد بشير، الشيخ محمد حسين العلومي، الشيخ عثمان بن علي العمودي، الشيخ
علي بن عمير، السيد محضار المهدي، السيد حسن الشاطري، الشيخ محمد
ابن أحمد البريك السيد محمد عدنان، السيد أبو الحسن بن أحمد جمل الليل، الشيخ
عبد الله الخطيب، السيد محمد بن عبد الرحمن السقاف، السيد عمر عبيد،
الشيخ لال حسين أخطر، الشيخ نعمان باشيخ، السيد عبد الله البيض، الشيخ
عبد الله بن محمد بارعیده، وهو من كبار الدعاة الذين افتقدتهم أقطار إفريقيا
الشرقية .

وقد رثاه الداعية الإسلامي أحمد مشهور الحداد بقوله :

جاري فهاجت عبرتي وشجوني	رمت الحوادث من وراء كمين
من ركن تبليغ هدًى ردين	ركن من التبليغ هدًى فياله
بالحق أمسى خافتاً في المطين	لهفي على صوت مدوّ في الحمى
عرفات دعوته نيا سيلين	صوت الفتى الحسيني من بلغت به
بسوى مغامرة وحسن يقين	من حيث لا تجد الدعاة مدخلا
بالبحث والتدريس والتلهين	طلب العلوم مشمراً عن أهلها

إلى قوله :

لم يحتكر علماً ولم يطلب به
بل بشه بين الطوائف لم يمز
رسماً ولم يمنح به لجون
ما بين أحمر سحنة أو جون
إلى قوله :

كم صدت في الغايات من نفر غدت
هذي (وديقو) وهي أقرب حلة
وبتنجنیکا من جهودك جبهة
وبشطر يوغندا كشفت بخارقاً
حتى عنيت لك رغبة رهبانها
دين العدالة والنزاهة والحجى
ومن دعاة رجال الطبقة الثالثة :

السيد عمر بن عبد الرحمن بن عقيل ، الشيخ محمد سليم العمانى ، الشريف
طاهر بن اسماعيل الحسينى ، الشيخ عامر بن نهيد النهدي ، السيد أحمد مشهور
الحداد ، السيد عمر بن عبد الله بن الشيخ بو بكر بن سالم ، الشيخ عبد الله بن محمد
بافضل ، الشيخ عمر تاج الشيرازي ، السيد أبو بكر الشبلي عمر قلنين ، السيد
صالح بن عبد الله الحميد ، السيد سعيد بن عبد الله البيض ، الشيخ علي بن أحمد
- تانقا - ، السيد علي بن أحمد بدوي جمل الليل ، الشيخ سليمان العلوي ، الشيخ
عبد الله الفارسي ، السيد عبد القادر بن أحمد الجفري ، السيد محمد بن علوي
بافقيه ، الحاج سعيد بن يسلم المشجري ، السيد منصب بن عبد الرحمن ، السيد
أحمد بن عبد الرحمن بن شيخ بو بكر بن سالم ، الحاج لقمان حكيم البهري ، الشيخ
بانامكو هبو ، الشيخ محمد قاسم المعلم جمعة بن أحمد المعلم حسين وديقو ، الشيخ
الوالي زكريا - موشى - السيد سالم بن عمر العطاس ، السيد محمد بن عبد الله
الشاطري ، المعلم سعيد بن أحمد القمري ، الحاج رجب النوبي ، الشيخ عمر باصفار ،
الشيخ عبد اللطيف باشر اهيل ، شيخ الإسلام في يوغندا الحاج كعب ، الشيخ

شعيب ، السيد عبد الله علوي الجفري ، الشيخ صالح بن حمد العبادي ، الشيخ علي كلومبا ، السيد محمد بن حسن السقاف ، السيد حسن بن سالم السقاف ، الشيخ علي بن محمد زاكني باحنان ، الشيخ عبد الواحد سلوم ، الشيخ محمد لبوا ، الشيخ عيدي سنجابي كده ، المعلم رمضان عبد الله النوبي ، الحاج جمعة كينيا النوبي ، الحاج رمضان أبيض ، الحاج خميس سليمان البلوشي ، السيد علي بن أبو بكر بن علي بالفقيه ، الشيخ خلفان ، الشيخ سليمان ، الشيخ عبد الصمد ، السيد محمد بن عبد الرحمن الجفري ، الشيخ منصور الجعلي العباسي ، الشيخ أحمد خير الجعلي العباسي ، ياسين حسن الجعلي .

وغير هؤلاء كثير وكثير ممن لم نحضرنا مسمياتهم وسنتعرض لهم بالتفصيل في حين آخر كما أن هناك حالياً الكثير من الشباب الذين كانوا بحق خير امتداد لأولئك ، والأمل معقود على الشباب الذي يتلقى دراساته في بعض بلدان العالم العربي والإسلامي .

كما أن هناك مدارس تعنى حالياً بتخصيص كراسي للدعاة - كمدرسة مبروى - ومدرسة التهذيب بمباسا - وأخرى بتانقا - تنزانيا - ومعهد بلال - بيوغندا ، وما زال ركب الدعوة سائراً ماضياً في طريقه رغم التحديات ورغم العقبات التي تعترضه في كل منعطف .

فدعاة الصليبية - الحاقدة على الإسلام - والصهيونية والاستعمار السياسي وقبله الإحتلالي ما فتؤا يترقبون كل الخطوات ويرصدون كل الحركات وقد عملت الإرساليات شيئاً كثيراً .

لذا فنحن حينما نتناول دعاة المسلمين بالذكر ، إنما نقع على خطوط أساسية لمعرفة كيف سارت دعوه الإسلام قوية فعالة وسط أعاصير من الوثنية البغيضة والصليبية الحاقدة - ولولا أن لنا من الوشائج العريقة التي ربطت شعوبنا بتلك وشائج قوية يدعمها الواقع وتشهد بها الآثار ، لما كان للإسلام في يومنا بتلك الربوع هذه القوة وهذه المكانة .

والحقيقة التي ينكشف عنها البحث في أمر الصلات والوشائج أياً كانت بين الإفريقيين وماضينا العربي الإسلامي حقائق ناصعة جداً يهم أمرها كل إفريقي مسلم .

وهذه الحقيقة أو الحقائق ممكن استخلاصها في هذه الشواهد القائمة لسلف صالح احتضنتهم مقابر تلك الأتربة الإفريقية بعد أن أدّوا واجبهم كاملاً غير منقوص ، وشواهد أخرى ممثلة في ركائز الفكر كاللغة وتقاليده وعادات مشتركة وانطباعات في العديد من مرافق الحياة ومعالمها ، وبالتالي في مصيرنا المشترك كدول نامية تطمح فينا الدول الكبرى وتتجاذبنا سويّاً المحاور العالمية لتجعل منا جميعاً أمة متبوعة ومسخرة تسخيراً .

ومما يحذر بنا ذكره في ختام هذا الفصل التمريض ببعض الجمعيات والهيئات التي ساعدت كثيراً على دفع عجلة الدعوة والتعليم الديني . ولكنها أي الجمعيات والهيئات وهي من الكثرة بمكان قد تعثرت في بعض الخطوات ، واتخذ بعضها سبيل الارتباط بالحركات التنظيمية السياسية والجمعيات الاقليمية فنجمت عن كل ذلك عوامل ضاعفت من خطورة التحديات التبشيرية ، وما زالت بعض هذه الجمعيات الإسلامية تنشط يوماً فيوماً بعداً عن التجمع المطلوب .

ورغم كل هذا ، فنحن لا نبخس أحداً جهده وعمله ، فقد اندفع الكثير من هذه المنظمات والجمعيات بحماس لماطفة أكثر من الإندفاع بالعقل المتروي والتفكير الواعي مما حدى من نشاطات الكل في ظروف عصفت بها النزعات القومية ، فتلاقت فيها تيارات عدة لعب فيها المستعمرو الحاكم بأمره يومئذ داخل الأسوار وخارجها الأعيبه المعروفة ، فكان من جراء ذلك أن وقعت هذه الجماعات مجتمعة وموزعة في أخطاء محسوسة ، فمنها ما علق بنظامها التطبيقي الساري بها في الحياة فأضرت بقضاياها الإسلامية من حيث لا تشعر ، وبرزت الفرصة للجانب المعادي فنال بدعايته من الإسلام كدين ومن المسلمين كمعتنقين مما يجعلنا نسلم بما قيل عن

المسلمين كبشر لا بما يقال عن الاسلام ذاته كنظام وتشريع حياة ، ورب قائل يقول : إذن فالحركات الاسلامية المستمرة القائمة في الشرق الأوسط والجنوب من افريقيا تعاني تفرقاً ، لا يقتصر على القيادات وألوان العمل وإنما يمتد إلى مفاهيمها الفكرية وتصوراتها الاسلامية ، فبعضها يرى العمل واجباً في الميادين السياسية التي تقوم على مساهمة الأنظمة القائمة من حكوماتها ، وبعضها يقتصر على ألوان من العمل الخيري ، وأخرى تتخذ ألواناً من الروحية المعزولة التي لا تشارك في حياة ولا تتفاعل مع أحداث ، وما من شك في أن كل هذا يفقد رجالها الجدية الفعالة في السير بالدعوة التي تتطلب تلاحماً وتوافقاً في الاتجاه .

والإجابة على ذلك أن هذا واقع موجود ، لا في الشرق والجنوب والوسط بل في كل القارة ، أو بعبارة أشمل في كل أصقاع العالم الاسلامي ولكن الأمر في هذا الجانب غير مستعصي العلاج إذا عرفنا مصدر هذه الخلافات وحددنا أبعادها .

فإذا جئنا نبحث عن مصدر الخلاف لم نجد له أساساً يستند إليه سوى ضيق التصور الذي نشأت فيه الحركة وتنحيتها لظروف أو لأخرى القيادة الاسلامية الواعية التي تملي مخططاتها من واقعها الاجتماعي ومن ارتباطها فكرياً وعقائدياً بعوالم اسلامية خارج حدودها - وكل هذا في حقيقته لم يكن ليؤثر في سير رجال الدعوة لولا تدخل السلطات بمؤازرتها للقيادات غير الواعية - كما حدث في أكثر من جانب .

على أن القيادة الواعية كيف تكون؟؟ وكيف تنشأ؟! في أوساط أحاط المبشرون بها من كل جانب وتكاثفت عليها قوى الشر والفساد في المدرسة الحديثة والعمل والمكتب - الوظيفي - والارتباطات بالعوالم الاسلامية الخارجية قد فشلت في أداء واجبها واقتصرت على الاتصال في حدود السياسة

التي لا تخدم الاسلام في التبشير به وإنما تخدم المصلحة العائدة على الدولة التي تسببت ... في هذا الارتباط فانفطرت حلقة الاتصال الشعبي الذي يقود الحركة الاسلامية في حين لم يقف الاتصال الشعبي ولكنه يجد تجاوباً يذكر حتى يعزز من سيره فيكون القيادة الواعية ... إذن فالخطأ ليس في وجود التعدد من الحركات وإنما هو في السير الذي ضل طريقه .. وواجبنا هنا واجب الهيئات الاسلامية الكبرى أن تسعى ما استطاعت إلى تجميع هذه الحركات وتنظيم مسيراتها واستغلالها لصالح الاسلام استغلالاً مرحلياً طبقاً لظروف الزمان والمكان .. وإلا .. فإن الصراع الدولي الذي يبدو مصمماً على اقتسام افريقيا أرضاً وبشراً سيقضي أول ما يقضي على هذه البقايا من الحركات الاسلامية الموزعة والدعاة الذين تضاربت عليهم فجاج السبل ، هذه الحركات التي طال نداؤها وأولئك الدعاة الذين بحت أصواتهم وجفت أقلامهم وكلهم يستصرخون ويستجيرون - لا - أن نقدم لهم أرضاً جديدة ، فالأرض أرضهم لا تزال في جدتها بكرراً وإنما لنقدم لهم شيئاً من الدعم الروحي فمثلاً في بناء مدارس حية ومعاهد لتخريج الدعاة المندرين يجدون في رحابها ما يجعلهم يلحقون بركاب الحياة تماماً كما تفعل إسرائيل التي جاءت أخيراً ، ولكنها بخطواتها البارة وبفضل انتمائها إلى الاستعمار المقنع قد اقتطعت من الأنصبة أوفاهها .

ولقد واجه المسلمون الأوائل في تلك البقاع جبهة واحدة هي جبهة المستعمر الدخيل ، أما اليوم وقد اندحرت الصورة الظاهرية لذلك الوجه ، فقد تعددت الجبهات وبرزت بوضوح ، أهمها عدااء وأقواها عدداً وعدة : الكنيسة وإرسالياتها ، فقد قامت بإنشاء عدة جبهات تحت أقمعة مختلفة وأساليب متباينة ، وما كان لنا أن ندرك شيئاً مما تقوم به لولا كثرة ما يتبخرو وينجم من أفعالها ، ولولا كثرة ما يدمنها به صحفيون من يجدتها وقساوستها .

فإذا رأينا الاستعماريين من رجال الأعمال والتعدين والتسويق يحاولون بشدة

تمكين الأقدام في الأراضي بتقديم المساعدات والمعونات الفنية وإقامة المنشآت من طرق وموانئ، واستخدام العشرات من العمال موظفين سخرة فإننا سنخرج بالنتيجة بداهة أن وراء كل ذلك أكثر من هدف وأكثر من مطمح .

أما أقنعة التبشير فهي تقوم بدور إنشاء جدار صليبي بين المسلمين والوثنيين من جهة ومن جهة أخرى بين المسيحيين والمسلمين ، وذلك لمنع انتشار الاسلام بعد أن تبين لها أن للاسلام جاذبية طبيعية في قلوب الجميع ، وأن المعتنقين للاسلام من غير أي تبشير يفوقون بكثير تعداد من يعمدون في المسيحية . ولكي نتبين هذا نقرأ ما كتبه « ت . ه . ب . سايلر » عميد الدراسة التبشيرية في الولايات المتحدة في كتابه « المسلم يواجه المستقبل » وتحت فقرة : لماذا يجذب الاسلام الزنوج كتب يقول :

« والوضع الثالث الذي أثار الاهتمام الكبير هو انتشار الاسلام في افريقيا ، لقد كُتب الكثير عما يسمى بالجاذبية الطبيعية من قبل الافريقيين نحو الاسلام ولقد اعتبر البعض هذا الاتجاه مرغوباً وحتمياً لأن الإسلام يلائم الزنوج جداً وهو يحسن من أوضاعهم . ولا أمل للمسيحية في منافسة الاسلام » .

أما الآخرون فقد اعتبروا التحول إلى الإسلام سوء حظ كبير للرجل الأسود لأن الإسلام يجعله أكثر مقاومة للمسيحية ولذلك فهم ينادون الكنيسة لتشديد الجهود وعلى نطاق كبير لوقف المد الاسلامي .

ثم يقول : ومن المهم جداً أن نعتبر بعض الحقائق .

لماذا انتشر الاسلام في افريقيا بشكل كبير وأكثر بكثير من المسيحية ؟!

ثم أوضح الأمور التالية :

١ - لأن الاتصال الاسلامي كان أكثر .

٢ - التجار المسلمون والمعلمون المسلمون - المحليون - كانوا يبدون إلى الزنوج أنهم متفوقون ، وأنهم ليسوا بعيدين من الأفريقيين جميعاً .

٣ - العامل الأكثر في الموضوع هو أن رسالة الاسلام إيجابية Positife وسهلة الفهم Definite وليست مغالية جداً في تطلباتها Easily anderstood .

.. الاسلام يعطي رؤيا محددة تجلب الشعور بالراحة لشيء قد أنجز إتمامه كما يمنحه المساعدة على الانجاز .

.. إن المتحول إلى الإسلام يصلي بجانب أستاذه ، كما أنه بمجرد تكوين مجتمع إسلامي فإن صلاة المسجد والواجبات الدينية الأخرى تعطيه الشعور بالوحدة الاجتماعية .

.. إن الاخوة في الاسلام ليست دينية فقط وإنما اجتماعية أيضاً .

.. المسلم لا يرسم خطأ لونياً بين الأبيض والأسود ، المسلم يأكل ويتزوج من ذوي البشرة السوداء ..

وفي النهاية يصل « سايلر » إلى وجوب عمل الكنيسة بسرعة أكبر وعلى مجال أوسع !!

ولماذا لا تلي الكنيسة هذا الصوت الكبير وقد وصل بواسطتها إلى وظيفة عميد الدراسات التبشيرية في أكبر دولة في العالم . نعم لقد لبثت الكنيسة هذا الصوت بعد اقتناعها باتخاذ حملة تبشيرية لا تعرف حداً تقف عنده .

فاندفعت مجتمعة كاثوليكية .. وبروتستانتية تنصب شباك حبالها في كل طريق وملتوى ، في كل مدينة وقرية ، وبكل الوسائل مستهدفة فيها القضاء على المسلمين .

وقد اختارت في حملتها التركيز على عدة مناطق (استراتيجية) فاشتغلت وعملت في « بيافرا » ودعمت وآزرت في (الحبشة) وفرقت وشتتت في « ارتيريا وجنوب السودان » وأبادت في « تشاد وبروندي وأروندا والكونغو الأوسط » وأيقظت العنصرية في « تنزانيا » والفتنة في « غينيا » وعملت قبل كل هذا تلك المخططات التي شدت في عضد الاستعمار ذاته فساعدته على ضرب الاسلام من الداخل وذلك بخلق قيادات معادية للاسلام في معظم دول القارة . فتجنبا مثلا - نالت استقلالها على أعتاب حزب « قانو » وكانت الأغلبية الساحقة فيه ممثلة في المسلمين ، ولكن الصليبية المنبثقة من الكنيسة أثبت إلا أن تعزل الإسلام الممثل في أخوة الدم والوطن والكفاح . وهكذا كانت الوقائع المحبوبة ضد عزل الاسلام وأهله في كل من « ساحل العاج » وجمهورية « افريقيا الوسطى » و « توجو » و « الغابون » و « تشاد » و « زامبيا » و « الكاميرون » و « السنغال » و « سيراليون » . والمعلوم أن المسلمين في كل هذه الأقطار يشكلون الأغليات ، ولكن الاستعمار المقتنع ومن خلفه وأمامه الكنيسة .. أبيا إلا أن يبقى المسلمون معزولين عن كل قيادة منبوذة من كل ريادة .

ورغم كل هذا فنحن نؤمن أن الاسلام سيأخذ مكانه الحق مهما طالبت المحنة وكثرت المشكلات . فالأحداث بخواتيمها .. والعبر في افريقيا كثيرة . فمن منا لا يذكر ما كان يتبجح به ذلك المهزوم « اوجوكو » في أمس دابر مضى وانقضى بهزيمته التي هي هزيمة الذين حرّكوه وآزروه ، فلقد عبّر عن أهدافه أحد أقطاب التبشير في العصر الحديث البروفسور « حيريام - ام - ريك » بقوله : إن الثورة البيافريية سوف تنشئ حكومة مسيحية في نظرتها وذلك تبعاً لما صرح به اللواء « أود وميجو » وأن الخط السياسي لبيافرا سيكون في وضع حد للتوسع الاسلامي العربي !! في كل أرجاء القارة !!

ولكن هذا الخط قد تحطم بفضل الصلابة التي قاوم بها أولئك الأحرار من أجل وحدة وطنهم المسلم ليس إلا ؟

وماذا يكون الأمر يا ترى لو قدر للحاقد المدفوع أن ينتصر؟؟ لقد كانوا جميعاً يتمنون له ذلك ، وفي مقدمتهم أولئك الذين اعترفوا به .

وما منهم إلا معمداً وقسيساً فأنكشفوا عن هوياتهم وسقطت الصلة في حومة المياه العكورة التي تسبح فيها وسط الجموع الافريقية . فقال عنهم الدكتور المسيحي « توماس ميلادي » في كتابه (ثورة اللون) : إن السلالات التي ترفض سيادة الرجل الأبيض الاوربي ترفض في الوقت نفسه الدين الذي ارتبط معه !!

وأخيراً - فإن ما علينا من واجب نحو افريقيا وإخوتنا في العقيدة بصورة خاصة هو أن نفهمها أولاً !! ونشطب من القساموس الاستعماري (القارة البدائية) ، ثم نضع بعد هذا ما يجب علينا من خطط عملية للمساعدة والمساهمة على أسس مركزية - تدرس خطوطها مع الجهات المثقفة العليمة هناك - حتى نجني من وراء ذلك حصيلة غرسها الإيمان الصحيح وجناها العمل الفعال للمسلمين في كل أقطارنا ، وما يجب أن نعلمه بالتالي فإن إنسان اليوم - الافريقي - من حيث إسلامه وإنسانيته ينساق بواسطة أدوات التوجيه وتكوين الرأي العام من صحافة وإذاعة وتلفاز إلى أن يستحسن السيئ ويستمرىء الضعف ، وتألف حواسه مفاهيم هذه الحضارة الآسنة . إنهم يسوقونه إلى القضاء على نفسه وفق مخططات رهيبة أملاها الحقد على الإسلام والكيد بأهله واستخدمت فيها كل الطاقات وكل معطيات الحضارة التي تسود العالم اليوم . إنهم يسوقونه إلى كل هذا على مرأى من سفارات العالم العربي والإسلامي وعلى مشهد من الهيئات الإسلامية الكبرى الأمر الذي لا يمكننا إخفاءه .

إننا جميعاً مسؤولون أمام الله - مسؤول كل مسلم صادق راغب في إعلاء شأن الإسلام مسؤولية العمل الجاد والدائب في وجه مثل هذه المحاولات .

اصالة المسجد في افريقيا الشرقية

ودوره في الأخذ بحياة المسلم

إن تاريخ المسجد في افريقيا الشرقية - أي في كل من كينيا ، وتنزانيا المتحدة ، ويوغندا ، هو في قدمه كقديم تاريخ الساحل نفسه - وإذا ما عرفنا أن الاسلام دخل في هذه الأصقاع من لدن ١٣ قرناً خلت أدركنا أن المسجد قد قام بدور هام في الأخذ بحياة المسلم في هذه الديار .

وقد أصبح المسجد في الشرق الافريقي دليلاً واضحاً ينبئ عن قدم تاريخ الاسلام ، ويعرب أيضاً عن تراث قيم أنشئ سابقاً ولما تمحى بعد معالمة وتدخل تحت طيات الثرى حتى أثار قيمته التي حصدها الأولون السابقون - اللاحقون بهم ، وهكذا دواليك .

والتراث التاريخي للمسجد بهذه الأصقاع هو كالكتاب القديم الذي تفقد بعض صفحاته ، والصفحات المفقودة هي التي تنسى إلى الأبد !!

غير أن المسجد في افريقيا وإن كانت بعض صفحاته التاريخية قد فقدت ، إلا أن ما فقد منه ليس بأكثر مما هو باق ، وسيدقى إن شاء الله حتى يرث الله الأرض ومن عليها وهو خير الوارثين !!

والباحث عن الاسلام في الشرق الافريقي قديماً وحديثاً لا يحتاج أو لا يتطلب إلى كثير عناء ، فإذا ما عرفنا أن وجود المسجد وبصورة تثير الدهشة والاستغراب دليلاً على وجود ترديد كلمة (الله أكبر) أدركنا أن الاسلام كان ولعدة قرون خلت قوياً جداً !!

ففي الماضي السحيق نجد كتاب التاريخ المعاصر يحدّثوننا بالبيانات المشرقة عن وجود ثلاثمائة مسجد في المدينة العربية الافريقية - كلوا - « Kilwa » بتنجنيقا . كما نجد أن الحفريات الجديدة التي اكتشفت في المدينة العربية القديمة (غيدة) Geda في غضون الأعوام التالية ١٩٥٤ و ١٩٥٦ و ١٩٥٧ م وما بعد ذلك .. وتقع (غيدة) شمالي ممباسا ، وتبعد عنها بـ ٦٣ ميلاً . قد أسفرت هذه الحفريات حتى هذا الحين عن كشف ستة مساجد بالإضافة إلى المسجد السابع (الجامع) وقد دل على موضع بنائه بالرغم من مواراته عدة قرون تحت أطباق الثرى - محل منبره - ومحرابه وممراته وبركة مائه وپهوته وضاحيته ومصالحه وبالتالي اسطواناته الست المربعة وهي من الحجر المرجاني ، إذ ما زالت كل هذه تعطي لون الجدة والقوة - وهي تدل دلالة واضحة على قوة الحضارة العربية الاسلامية في قوة تصميم مبانيها وعراقة حسن أصالتها ، وبالذات في عمارتها لبيوت الله !! وقد وجد رمز في معبر الباب الشمالي الشرقي وهو عبارة عن (سنان رمح أسود) يدل تعبيره على عنصر افريقي في الحضارة العربية الاسلامية بالساحل الشرقي من افريقيا !

كذلك نجد عراقة تاريخ المسجد في (زنجبار) في محراب مسجد (كزيما كازي) فقد ظهر التاريخ في بعض لبنات المحراب سنة ٥٠٢ هـ ١١٠٧ م . أي من لدن تسعة قرون خلت .

وقد استمر بناء المسجد يأخذ مجراه وفعاليته لإعلاء كلمة (الله أكبر) ولم تنه أي عقبات حتى في أخرج وأشد الأوقات إبان الغزو البرتغالي واحتلاله لتلك المناطق !

ومضى موكب المسجد يخطط له في كل مدينة وقرية مكانته اللائقة حتى يومنا هذا - وقد لعبت مكانة هذه المساجد في الماضي دوراً هاماً فعلاً بأهلها - إذ كانت كل شيء بالنسبة للمسلم الذي يتطلب تعليم دينه ، ولعل قيام المسجد في الوقت الحاضر ببعض ما كان عليه سابقاً إنما كان امتداداً إسلامياً أراد الله للمسجد الذي ينادي من شاهقات فناراته نداء الوحدة وحيعة الصلاة والفلاح ، وما زالت حتى هذا الوقت من كثرتها تثير الاستغراب وتملأ النفوس اكباراً وإعجاباً بالدرجة أنك تجد في عاصمة من العواصم الأفريقية - كنيروبي ، ودار السلام ، وكيبالا أو مدينة (كمباسا ، وزنجبار ، وماليندي ، ولامو) - أكثر من عشرين مسجداً ومعظمها تقام فيها صلاة الجمعة !!

ناهيك بالقرى . فقد يوجد بالكبيرة منها أربعة مساجد إلى ستة .

وكل هذه المساجد تحت إشراف أهلها إذ لم تكن هناك وزارات حكومية للأوقاف ترعى شؤونها ، ولذا فكل تكاليفها أنشئت من أموال الأهالي الخاصة . والانفاق عليها ومصالحها من تبرعاتهم المتلاحقة وإن ضوّلت ، ونادراً ما تساعد من قبل الأوقاف الإسلامية العربية الهندية (المحلية) . أما مرتبات الأئمة والمؤذنين فهم غالباً ما تجدهم متبرعين لله ، وفي مرضاته . ولهذا السبب قلت نتيجة قيامها في الحين بدور الإرشاد حيث تجد الآن معظم القائمين بذلك ممن قصر باعهم في التوجيه . وكفى منهم أن يقوموا بمجرد الأذان والإمامة المجردة !!

أما ما يمكن أن نسميهم أكفاء وأئمة منابر فقد ذهب كل منهم وراء لقمة عيشه وبنيه .

أما الحكومات وباعتبارها مسيحية في كل من الأقطار الثلاثة ، فهي بعيدة كل البعد عن كل شأن من شؤون المساجد .. بل الملاحظ هنا أن إدارة

البلديات تقدر المساجد ولا تتعرض لها بمكروه ، علاوة على إعفاء أراضيها من رسوم ضريبة البلدية ، وهذه منة تستحق البلدية الشكر عليها والتقدير !!

بناء المساجد :

ومعظم بناء المساجد في الأقطار الثلاثة من الحجر والاسمنت المسلح وبعضها من مواد البناء الأخرى ، غير أن معظمها وبالذات التي رمت وأعيد بناؤها من جديد ، فقد بنيت على أحدث طراز وأحسن تنسيق ، وهي بصورة عامة مفتوحة لكل مسلم . هذا بالنسبة لمساجد السنيين منهم ، أما المسلمون الآخرون من الهنود - كالإسماعيلية أتباع آقا خان والطائفة البهريه - والطائفة الاثنعشرية الشيعية والقاديانية والعُمانيين - فهي ليست من الكثرة بمكان بل انك قد لا تجد في العواصم أو المدن المتوسطة والقرى بما لا يتعدى على أكثر من مسجدين !!

ومن المؤسف جداً أن مساجد هذه الطوائف لا يمكن أبداً أن تسمى مساجد بالمعنى الاسلامي الصحيح وذلك لعدة أسباب ، منها أنها محظورة على غيرهم من المسلمين ، في حين نجد أن بعضها لا ينادي بالأذان في أوقاته . والاسماعيلية التابعة لآقا خان أدهى شراً وأكثر فساداً في مساجدها من الطوائف الثلاث الأخرى !! فهي بالذات تغشى مساجدها خليطاً من الرجال والنساء الكاسيات الأمر الذي ينافي كرامة المساجد وسلوك العبادة لله . ومما يلفت النظر أن هذه الطوائف قل أن تبني لها مسجداً ، إلا في الحارات التي تتجمع بها سكانها من طوائفهم الخاصة .

وقد حاولت أن أستشف من بعض جماعات هذه الطوائف ما وراء هذه الخاصية في أداء الشعائر ، فلم أستطع للحرص الشديد والسرية المغلفة عندهم ، وجماعات هاته الطوائف بعزلتهم هذه يشعرون بحيرة الناس حولها ، ويتجاهلون كل سؤال عنها !!

وظيفة المسجد في الشرق الافريقي :

والمسجد في الشرق الافريقي له وظيفة أخرى غير الصلاة ، فهو مكان لاجتماع المسلمين في عرض قضاياهم الهامة . وهناك يتداول الخطباء التذكير والإرشاد ، وقد يتطرق أحدهم إلى مجال السياسة والدين ، وهو أيضاً مكان للتعليم الديني - وتعليم القرآن في بعض منها - وذلك لعدم وجود قاعات للمحاضرات أو مدارس كافية لتعليم الدين والقرآن !!

وجملة القول ان المسجد في الشرق الافريقي بيت للعبادة ، ومدرسة للعلم ، ودار للسياسة ، ومجلس شورى لأهل القرى والأرياف .

والكلمة الأخيرة عن المسجد في افريقيا الشرقية أنها في حاجة إلى جهود موحدة كما تؤدي رسالتها على الوجه الأكمل ، ولتعيد معناها الصحيح للإشراف الاسلامي الأول وبكل معانيه .

وأقصد بذلك أن معظم المساجد يعوزها الكثير والكثير من على منابرها وما ذنها وقاعاتها من توجيه الوعي الديني والوطني . وما يجب أن يكون عليه الإمام من العلم والمعرفة والخلق ، فإن الكثير ويا للأسف ما زال مثلاً يخطب يوم الجمعة والأعياد بخطب ما قبل ٦٠٠ سنة ، الأمر الذي لا يتعلق بشيء من حياة مسلم اليوم .

وهو في الواقع يعيش بين مدينيات متناقضة ، وأديان مبتكرة مضلة ومضللة ، وفساد عم نشره ، وإباحية عمت الصغير والكبير . إذن فهو أحوج ما يكون إلى إرشاد وتوجيه أكثر منه إلى المساجد .. إرشاد ينفره من الفساد ويحثه على الخير .

وتوجيه يدعو به إلى وحدة دينه ، إلى قيمه السامية إلى مثله العليا ومعرفة
أسرارها . إلى كل ما يبعده عن مسالك الترهات التي نصب أصحابها والواقعون
فيها حبائل شركهم المنصوب ، في كل مسلك وملتوى ومضيق ، في كل تأليف
وفي مجرى كل حديث . وفي كل صحيفة ومجلة ونشرة — ولا بلاغ إلا بالله !!

الأقليات الاسلامية في افريقيا

إن الشرق والغرب - معاً - متفقان على محاربة الاسلام والمسلمين ، ولهذا لا يتأتى لكاتب ما أن يستعرض العداء للاسلام أو مشاكل المسلمين في افريقيا ما لم يستقرئ لماذا يلاقي الاسلام هذا العداء .

وكيف تحالف الشرق والغرب على أن لا يتفقا إلا على عداء الاسلام والمسلمين؟ نعم ، نعم كيف كافحت كثير من جمعيات التبشير وإرسالياتها مبادئ الاسلام ومثله ، ومقومات شخصية المسلم .

ناهيك عما رسمته مع حكوماتها من خطوط الاضطهاد ، غير أن هذا كله لم يفلح في القضاء على الاسلام وأهله ، بل أن كل ما تمخض عنه من نتائج هو اختفاء التنظيمات الاسلامية تحت الأرض لتبرز كلما منحت لها الفرصة - غالبية أو مغلوبة - أو لتبيض وتفرّخ بعيداً عن الأنظار حتى يستفحل أمرها ، ويأبى الله إلا أن يتم نوره .

ولقد عاشت البلاد الافريقية عشرات من السنين مضطهدة معذبة مغلوبة على أمرها ، إذ تكالبت عليها الحكومات والقسس معاً وعمل الجميع جاهدين على تنصيرها ، وقد خابت أمانيتهم قديماً ونجحوا حديثاً في كسب الوثنيين وبالذات في المنتصف الأخير من هذا القرن . والمسلمون الذين توارثوا الاسلام أباً عن

جد فقد عمل الغرب بالترغيب والترهيب لتنصيرهم فلم ينجح ، وإذا كانت رسالته لم تنجح في تنصير أولئك ، فقد نجحت ولا شك في إقصائهم عن دينهم وذلك بما فرضوه عليهم من نظام تجهيل وإبعاد عن البلاد الإسلامية . واليوم وقد غادر المستعمر البلاد الأفريقية إنما غادرها يحسمه بعد أن طبعها بفكره ومبادئه ولغته .

والأقليات الإسلامية في كل قطر وصقيع تعاني من التشكيل والتبديد وضيق الخناق بمثل ما تعاني الأكرثيات المسلمة . وسواء كان من الحجز والبعد بهم عن المشاركة في تسيير دفة الحكم وعلى اختلاف مضامينه وما يتطلبه من تنظيم وتشريع وقيادة أو غير ذلك !!

مفاهيم الأقليات الإسلامية :

ولقد أصبح من المسلم به أن هذه الأقليات الإسلامية لا تعرف من إسلامها إلا القليل كالصلاة والزكاة والصوم والحج ، معرفة لا تتعدى ظاهرة هذه الفروض .. أو بعبارة أخرى تبرز فيها العمليات الفعلية مجردة عن الروح والمعنى ، وعلى ضوء معلوماتها الضحلة ازدريت من بني جنسها وفصمت من كيانها - وهي جزء من كل لا يتجزأ - فلاقت من العنت والاضطهاد ما ترزح تحته وتئن من عبء ما يثقلها منذ أمد بعيد وإلى اليوم وما بعده ! وإن لم يتبدل الحال وينظر إليهم كمسلمين لهم ما يختارون ويشاءون في دروس دينهم وتعليم عقائدهم .

والقليل من هذه الأقليات الإسلامية ، عرفت الإسلام وما ينطوي عليه من مثل عليا ومنهاج عادل كامل اجتماعي واقتصادي وسياسي ، ولكنها منيت بقيادة يتعثر سيرها كلما أحست أن حولها صراعاً محتدماً بين مذاهب يتنازع البقاء بعضها بعضاً - فأصبحت حينئذ مذبذبة في رأيها - فهي إذن متأرجحة بين إفراط وتفريط . وما يسترعي الانتباه أن في الشرق الأفريقي رغبات للأقليات الإسلامية ترمي إلى تحرير نفسها من الواقع السيئ الذي تعيش فيه

لستبدله إلى ما تعيش فيه الجاليات الأخرى ذات المنزع الإسلامي . ويتضح لنا جلياً من رجال الطليعة السائرين الآخذين بزمام هذه الرغبات إلى حيث الرشد والتضامن والسداد .

وقد اتخذت رغبات هذه الطلائع للتخلص من الواقع السيئ أشكالاً مختلفة من المحاولات ظلت تجري هنا وهناك بين حين وآخر . . إلا أنها أخفقت كل الإخفاق . إذ ما فتىء العالم الإسلامي من حولها يتعثر في خطواته التي تطلب هذه الفئات السير والربط بما يجري فيه كجزء لا يتجزأ من حيث العقيدة التي هي أقوى رباطاً وأجدى نفعا من كل قرينة تحاك خيوط وشائجها اليوم لأغراض مادية ذائبة وتنفك في الغد حينما تتبدى الوشائج وتلين العرى !!

وعلى ضوء ما تقدم ، فالأقليات الإسلامية في إفريقيا الشرقية هي بصورة عامة تحارب في عقيدتها ، وهي بحاجة ماسة إلى الإسعاف وعلى اختلاف صورته وأشكاله ، وليس لها من الاقتصاد ما يعزز كيانها الحالي ، اللهم إلا ما ندر في تغطيتها لسد ثغرات هي ولا ريب من باب (لا بد مما ليس منه بد) وإني لأخال أنه إذا ما بقي العالم الإسلامي بعيداً عن حاجيات إخوانه ، فسيأتي يوم لا ريب فيه سيصبح المسلم هناك مفقود العقيدة مسلوب الرأي . فيخسر العالم الإسلامي تسعة ملايين ونيفاً من المسلمين ، لهم طاقاتهم الفعالة ومجاهم الواسع في مضمار القوى الإفريقية الآسيوية والعربية الإسلامية !

الأخطار المحدقة بالاسلام .. في الشرق الافريقي

إن هذا الظرف الحالي بمسلميه هو المعني الأول من المسيحية الدولية واليهودية الطامعة - فهاتان الديانتان تشكل الخطر الأول على الإسلام ، وثاني الخطرين إن لم نقل أدهى وأمرّ هو النفوذ الشيوعي الملحد - وبوضع النقاط على الحروف ، نرى الخطر المحدق جملة وتفصيلاً من الأمور التالية :

١ - التعليم الصليبي بصورة عامة والذي تستهدفه جمعيات التبشير ومراكزها ، وإرسالياتها .

٢ - النفوذ الصهيوني بعدّتيه مادياً ومعنوياً .

٣ - جهاز صوت الإنجيل الذي يذاع من عاصمة الحبشة والمعمدون في الحبشة الذين يستهدفون إزالة الدين الإسلامي من ديارهم والشرق الإفريقي أيضاً .

٤ - الزحف الشيوعي الخبيث المتستر وراء تحطيم كل القوى الروحية .

هذه هي خلاصة ما نعتقد من أخطار محدقة بالإسلام وأهله ، تعددت أسبابها واتفقت غاياتها وأهدافها بالقضاء على الإسلام والبقية الباقية من روحانية أهله .

وهذه الأخطار المحدقة هي بالنسبة للذين قد تم إسلامهم ولم يمتحنوا بعد .. أو كونهم كفوا دعائهم عناء المشقة - أما بالنسبة للوثنيين اللادينيين أو ممن شاكلهم ممن يجعلوا مع الله إلهاً آخر - أفليس لنا من الأمر شيئاً أو من العجب غرابة

إذا ما رأينا اتجاههم أو تسلمهم إلى من - يحاربوننا في ديننا - تسلاً مندفعاً
إندفاعاً لم تشهد له إفريقيا نظيراً من ذي قبل .

إنهم بالجملة يترامون على صفوفهم ترامي الفراشات على هالة النور، وهذه
دوافع لها مبرراتها، وكان أولى بها أن تجذبهم باندفاعهم إلى الدين الإسلامي لتروي
نفوساً قلقة عطشى وتملي عقولاً بالمثل الإنسانية ومبادئ الرحمة لأنها من خصائصه
وفي حدود سلطانه، وعليه فإن وجهة التفكير من زاوية النظر البعيد في العواقب
الوخيمة المحمولة على ملابسات الأسباب والمسببات وجهة يجب أن يسلم بها كنظر
لا يبعد عن النظر غير الخاطيء - إلى الأخطار التي تحيط بالإسلام وأهله - بل
يجب أن يكون مثل هذا التفكير من مقتضيات وجوب التفكير الإسلامي حتى
نكسب من مناعته ثباتاً وقوة، فنتخذ من أسباب الحيلة حلولنا على ضوء الواقع
وبشعورنا لهذا الواقع ندرك أن الأقطار الإفريقية الشرقية ستشكل خطراً على
الكثير والكثير من الإسلام في الدول الإفريقية - وبالذات في حين يتجاوب
النفوذ اليهودي في إفريقيا والذي تسانده قوى غربية متعددة - سبقت لها
الخبرات الناجحة في هذا المجال .

ما يجب أن يؤخذ به تجاه هذه الأخطار؟.

وعلى ضوء ما ألحنا به وإليه سابقاً من حلول الدور الذي اختتمت به المسيحية غاية آمالها - وذلك يجعل الحكام والسلطة التنفيذية تحت قبضة المسيحيين متجاهلة في بعض الدول الأغلبية المسلمة - كتزانيا - فرسمت لها الخطوط بالأحرف الكبيرة وجمعت لها من الطاقات ووسائل الإمكانيات ما مكنتهم من كل ما كان يصبو إليه أوائلهم منذ أول غارة شنت على الإسلام باسم الصليبية وأغراض أخذت تكشف أهدافها ومبادؤها عن ذلك العداء الأول للإسلام وأهله .. نعم على ضوء كل ذلك - فالحلول كثيرة والإسلام بصلب عقيدته لا يحارب الأديان ولا ينازع ذوات أشخاصها - وإنما هو عدل يقر العدالة والأمن ، ويدعو إلى التقارب والتضامن وهذه هي حدود دعوته للناس أجمعين .. ولكنه وقد هوجم فلا معدي عن حمايته بمثل ما اعتدي عليه ، وفي حدود كل طاقاته السلمية . وإنه لمن أكبر ما يعيب أهل الإسلام في شتى بقاع الأرض - أنهم لا يدركون مدى قوتهم ولا مبلغ سلطانهم بدينهم - فإذا هم أدركوا ذلك فسيجد مناهزهم من أي ملة أو دعوة يراد بها غرضاً - تحدياً قوياً لا يبالى بها ووجهها صادقاً يزدرىها - وبأساً شديداً يرد أصحابها مدحورين .

إننا نعيش بإسلامنا في أيام خطر ومحنة وقلق ، وهي أيام تقتضي توضيحات كبيرة من جانب الذين يرون الخطر دانياً ، ولكنها أيضاً أيام فرص كبيرة ، ونواhez سانحة .

لأن تلك الأفكار الضالة التي غابت عن العقل البشري قديماً—وبلبلت الأجيال العابرة — عادت اليوم في عهدنا هذا وزماننا تتمثل في دعوة الأحقاد وبث بذور الشقاق ، وإثارة الضغائن ، وخلق جو من القلق والاضطراب بين إخوان في الإنسانية نفسها والمؤمنين بها أصدق المكافحين .

وإننا اليوم نواجه البعث ، لأن الدين ينبغي أن يثار من جديد .

ولكن كم من أهله ينظرون إلى الأمر هذه النظرة ؟

بل كم منهم يرون وجوب إعادة التنظيم لدعوته ؟

وكم منهم أوتوا الحماس الذي أوتيته معاشر المسيحيين ؟

ولم منهم يرون وجوب الإسراع في الأخذ بأسباب الإصلاح واستخدام أفضل الطرق في الدعوة والتبشير؟؟ ومن المعلوم في هذا الظرف أن أية دعوة مهما كانت من السمو والنبل لا يمكن أن تجتذب إليها الأنظار أو تستلفت العقول والأفكار ما لم تكن لها من الدعاية والإعلام أوفى نصيب .

والأحزاب في شتى دول العالم أو الدول ذاتها ، لا تقوم بغير الدعاية ، وقد أخذت الدعاية في العصر الحديث مكاناً يجعلها في الدرجة الأولى من الأهمية ، والمسلمون جميعاً يعرفون هذا ، والقليل منهم من يعمل بذلك فيما يتعلق بنشر الإسلام ، ولنقارن في ذلك كله بالإرساليات التبشيرية ومن خلفها الملاجىء والمصححات والمدارس ، وبالتالي المراكز التي تنظم الإعداد وتهيئ السبل وتستخدم من أهل الخبرات والعقول من يوطد لها الاسس ويثبت لها الركائز ، فعلى ملوك المسلمين ورؤسائهم وقادتهم وهيئاتهم تقع المسؤولية !!

وعليهم جميعاً أن يتقبلوا راضين تبعات الدين يحيون في هذا العصر المادي الأثيم ليحاربوا الشر أينما وجدوه ، ويدفعون الأذى حيثما شاهدوه ، وما ذلك إلا :

أولاً : بث الوعي الديني والثقافة الإسلامية عن طريق النشر وتوزيع الكتب والنشرات بلغات القوم السائدة بين شعوب تلك الاقطار من إفريقيا حتى تتمكن من فهم دينها فهماً جيداً ، فتؤمن به إيماناً عميقاً .. وتحيط علماً بما يحيط بها من حوادث ومشكلات .

ثانياً : السعي وراء توظيف دعاة من أبناء إفريقيا ذاتها ، على أن يزود هؤلاء بكل وسائل النشر والتأليف .. وأن لا ننسى في الإعداد والتحضير ، تبسيط مفاهيم تلك المؤلفات وجعلها في كتيبات مسلسلة ، ومختصرة بغناوين مقتضبة ومشوقة مثل (اعرف دينك) أو (سلسلة التوعية الثقافية الإسلامية) وليكن صدورها في مراحل ..

(١) وتنحصر موضوعاتها في بيان أركان الإسلام .

(٢) وتنحصر موضوعاتها في معالجة الشبهات التي تثار حول الإسلام كعقيدة ودعوة .

(٣) وفيها توضيح وتحديد لمبادئ الإسلام وأهداف دعوته وغاياتها .

(٤) وفيها عرض لتاريخ الحركات الإسلامية ودراسة موجزة للحركات الفكرية والسياسية .

ثالثاً : من حيث الإعداد يجب أن تعد هذه الكتب تحت إشراف هيئة إسلامية كبيرة كرابطة العالم الإسلامي - بمكة المكرمة .

أما من حيث الطباعة فتكاليفها في إفريقيا وخصوصاً طباعة الأحرف اللاتينية رخيصة جداً . ولا نستطيع هنا تحديد مبالغ معينة حيث يرتبط هذا بمقدار الكميات قليلة وكثرة ، وطبعاً نحن في حاجة ماسة إلى كميات كبيرة لأن التوزيع يجب أن يستوعب مناطق واسعة من إفريقيا . ورب سائل يسأل .. هل يوجد هناك من يحمل واجب الأمانة والدعوة بالمستوى المطلوب ؟؟ والاجابة .. إنهم يوجدون بكثرة في كثير من المناطق المتناثرة ، وقد عرفنا الكثير منهم دعاة

صالحين و علماء متهرغين نشطين ، والحقائق المموسة والماثلة أمام الأنظار هو أن ما يسمع تبليغاً من اطراد في ازدياد عدد المسلمين ، إنما كان أولاً وأخيراً بفضـل قلائل من الدعاة يعدون بالأصابع نزحوا قديماً من الجزيرة العربية (حضر موت واليمن) فوضعوا نواة الدعوة وبذرتها في أرض خصبة أنتجت من الرجال دعاة ومن الشباب جنود لها وأي جنود !! انطلقوا في دعوتهم فركبوا الأخطار وتحملوا المشاق واكتفوا من الزاد بالشيء اليسير ومضوا بالدعوة قدماً خلفاً عن سلف ، لم تثنهم تهديدات الساسة ولم ترعبهم إرهاب السياسة .

ورب قائل يقول : إن من تعنيهم منها كثر عددهم لا يستطيعون بث الدعوة في كل مكان وقد تكالبت عليهم الدعوات ، ونشعبت بشعوبهم المذاهب والأفكار والنظريات ، وتفنن أصحابها وأهلوها في العرض والاداء والتبشير ؟؟

ونحن معه في كل ذلك ، ولكن ما يجب أن تعلمه أن كل هذه الأمور وسائل حديثة يمكن تغطيتها باتخاذ مثلها .

فعلى الدول الإسلامية والعربية منها خصوصاً وأصحاب رؤوس الأموال من أبناء هذه الجزيرة وخليجها العربي تقع المسؤولية والتبعية وذلك بالسعي والبذل لإقامة مدارس على المستويات الحديثة التي تكفل استيعاب أطفال المسلمين الذين اضطروا بحكم الحياة الحديثة في مظاهرها أن يتهافتوا على المدارس التبشيرية التي هيأت لهم وسائل الدراسات وعلى مختلف مستوياتها في حين لا توجد لدينا من المدارس الإسلامية الحية الكفيلة بأداء الواجب المطلوب مدرسة واحدة .. مما دفع بأبناء المسلمين كسباً للعلوم الحديثة الحية كما يقولون !! الدخول في المدارس المسيحية ، فكانت النتائج سيئة وفي كثير من الأوقات ، بل كانت ردود الفعل من هؤلاء تنكراً للإسلام .. لا عن بغض فهو دينهم الذي يؤمنون به - وإنما عن جهل وقد نما من مقاعد تلك المدارس التي احتضنتهم فعلمتهم كل شيء إلا الإسلام !!

وهنا يبتدئنا السؤال التالي :

كيف نثق بتسليم أمانة الدعوة إلى مثل هؤلاء ؟؟

والجواب : إن الطليعة من الشباب الأفريقي في شرق ووسط إفريقيا ينقسم إلى قسمين والأصح إلى جيلين :

قسم تعلم أمور الدين في الكتاتيب القرآنية وفي المساجد على أيدي الشيوخ والدعاة، وشيئاً يسيراً من العلوم الاجتماعية عندما سادت الأوضاع الجديدة في تلك البلدان ، وقد فات هذا الجيل شيء كثير مما اضطلعت به بعض الفئات لتحمل به مرافق تلك الحكومات بعد نيل استقلالها .

وهذا القسم يجب علينا أن نوطد علاقتنا بهم لنكوّن منهم ذخيرة للدعوة في القرى النائية والأرياف البعيدة ، لقدرتهم على التحمل ، لتمكّنتهم من معرفة اللغات الوطنية المتعددة . وأخيراً لقدرتهم على التكيف بالطبيعة الاجتماعية التي قل أن يتحملها داعية المدن . بل علينا أيضاً أن نحفظ بهذه الطاقات للخير والبناء ونرعاهما ونحميها ونيسر لها ما استطعنا تيسيره من أسباب العيش لأننا نستمد قوتنا من قوتهم لأنهم يشكلون الأغلبية .. ولكي نكفل نجاح هذا القسم واستمرار تمكن سيره في الطريق الأفضل فعلينا المبادرة باتخاذ ما يلي :

(١) أن يكون صف العاملين منهم منتظماً، والتعارف والتعاون بينهم كاملاً ومستمرّاً يشيع الثقة فيهم على أساس من التناصح والطاعة في المعروف .

(٢) أن نعد لهم تخطيطاً منهجياً يرسم لهم طبيعة عملهم وكفاحهم ويحدد لهم طرق نجاحهم وفشلهم .. فلا يتخبطون في المجتمع خبط عشواء وهم يظنون أنهم يحسنون صنعا .

(٣) أن يقوم التعاون بينهم وبين دعاة المدن والمنظمات الاسلامية والهيئات الاسلامية العالمية على أساس إسلامي عملي ، يحمل فيه الفرد أعباء الجماعة ، وتحمل الجماعة فيه أعباء الفرد ، ويحملون جميعاً أعباء الدعوة إلى الاسلام ، فلا تكون قضية الاسلام والإيمان دعوى لسان وتقارير مجتمعات وخطابة منابر ، وإنما يأخذ الإيمان حوزته العملية في حياة الفرد والأسرة والجماعة .

(٤) أن نعد لهم دورات تدريبية نشرح فيها أساليب الدعوة وما يجب عليهم ولهم فنجعلهم يشعرون ويدركون أن أمانة الدعوة قد تحولت إليهم وأن الدعوة إلى إحياء الوجود الاسلامي والسير به في القارة وخارجها ليس محصوراً ضمن نطاق جغرافي أو عنصري خاص .. أي ليس من شأن العرب وحدهم ، أو الهنود ، أو الشيرازيين ، أو الاندونيسيين أو الأتراك ، وإنما هو ممتد في أطر جغرافية كثيرة . ومن شأن الدعوة أياً كان حاملها أن تحدث تياراً فكرياً نوعياً يتغلغل في جميع المجتمعات .. والجاليات مما يجعلها ذات مظهر متجانس فذ ..

ونأتي للقسم الثاني ، فهو جيل درس العلوم العصرية في مدارس علمانية ، وأخرى مسيحية ويهودية ، ومعرفته بالأمور الدينية ضئيلة جداً . ولطالما سمعت وراءه الأيدي الخفية لتقصيه عن الاسلام وعقيدته ، بل طالما حاولت قوى أخرى معادية للاسلام - لا - أن يترك الاسلام جملة ، لأنها لا تستطيع حمله على ذلك ، وإنما تسعى جاهدة لأن يتحلل من قيمه البارزة ، وشعائره الواضحة - وقد نجح الفريقان بعض النجاح وأعتقد أن مثل هذا الجيل يوجد في كل دول الاسلام - إلا أنه في الدول المسيحية أكثر عدداً .

وبالرغم من كل هذا فإنه لا تزال بقية في ناحية وأخرى في نواحٍ للشخصية الاسلامية الممتلئة في كثير من هذا القسم الواعي - أقول ذلك لأن الأفكار والمعاول لم تقوَ على تلويثه أو تحطيمه بالقدر الذي كانت تريد - .

ومما يجب علينا تجاه هؤلاء وحيال تصرفاتهم :

أولاً - السعي وراء التعرف عليهم وهم موجودون بكثرة في كثير من المرافق الحكومية والوطنية الأخرى .. وأؤكد هنا أن دعائنا بصورة عامة لا يعلمون شيئاً عن هؤلاء بل لم يحاولوا الاتصال بهم في مرافقهم ، ومنتدياتهم وهذا جهل بالدعوة من دعائنا .

ثانياً - يجب علينا أن نتلمس خطواتهم ونتحسس أحاسيسهم ونفهمهم أننا ندرك بقدر ما يدركون - أن هذا الغليان ، وهذه القفزات الجبارة ، علماً ، وتقنية ، وفلسفة ، تولد هزات عنيفة في النفوس ، قد تؤثر في المقومات ، والمعتقدات ، والمعطيات ، ولذا يجب علينا تقديم كل وسيلة يمكننا الأخذ بها في سبيل الحفاظ على القيم الأساسية ولا سيما الخلقية منها والروحية .

ثالثاً - أن نتركه يحدّ في سير حياته الصاعدة التي توجهه إلى إدراك كل ما يستلزمه وجوده ، ووجود أُمته من البناء ودواعي الخلود .

رابعاً - أن نفتح معه حواراً نفهمه فيه أننا ندرك كل ما يجمع كيانه من أجل التعبير عن إرادته القومية المنبثقة من أبعد مطاوي نفسه وأعمق خبايا ضميره .

خامساً - نشعره تجاوباً أنه يحمل طاقة جبارة وأن عقيدته قد مكنته فأمدته بحسر من السير تشعبت دروبه لتتفق في النهاية .

فالسير إلى المسجد ، والمختبر ، والبحث والتنقيب في الأرض ، والتدريب في الشكنة كل هذه دعائم لا يقوم بناء أمة إلا عليها . والاسلام بكل توجيهاته المعطية قد أثبت أن ليس لأمة بدونه في الحياة نصيب ..

سادساً - أن نتبادل وإياه الآراء في تنظيم الندوات الثقافية ونقيم له مكثبات

ثقافية متنوعة باللغة التي يفهمها ، فتمليه فكراً إسلامياً تنسجم به انسجاماً ، لا يفصله عما تعلمه من علوم الحياة ، إذ أن كثيراً من هذا النوع يعتقد أن الإسلام يحارب التقدم وينازعه ، وهم والله معذورون - فقد علموهم ذلك ولم نعلمهم نحن شيئاً - .

هذه نقاط هامة يجب التفكير بها بحدية ، بل يجب المبادرة باتخاذ الأهم منها ، نظراً للظروف التي تمر بعالمنا الإسلامي على طول امتداده .

ولنعلم أن الدعوة أية دعوة ناهيك بالدعوة الإسلامية ما لم تنصب وتوجه بصورة خاصة إلى الشباب فلا جدوى لها في كثير من الأحيان .

فالشباب في كل أمة من الأمم عنوان صادق على ما تبلغه تلك الأمة من تقدم أو انحطاط ، وإذا أردنا أن نصدر حكماً على أمة منها كان ماضيها وحاضرها ، هل هي جديرة بالرقى والصعود والبقاء والخلود ؟ أم هي جديرة بالجمود والاضمحلال والزوال ؟ فإنما ننظر إلى ما فيها من شباب ، وما يقومون به من أعمال !

فإذا كان شبابها من الطامحين العاملين على ما يرسي بنيانها ويرفع شأنها فإنها باقية ما اتسمت بتلك السمات .. وإذا كان شبابها من المتواكلين القانعين ، أو المبعدين المسخرين فتلك أمة تودع في ساعاتها الحياة إلى حيث لا رجعة !!

فالأمة التي لا شباب لها لا مستقبل لها ، وقد أشاد القرآن الكريم بذكر الشباب وثباتهم على عقيدتهم فقال جل شأنه : ﴿ إِذْ أَوْى الْفَتِيَّةَ إِلَى الْكَهْفِ فَقَالُوا رَبَّنَا آتِنَا مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً وَهَيِّءْ لَنَا مِنْ أَمْرِنَا رَشَدًا ﴾ وقال جل شأنه : ﴿ قَالُوا سَمِعْنَا فَتًى يَذْكُرُهُمْ يُقَالُ لَهُ إِبْرَاهِيمُ ﴾ .

وأخيراً .. فليس من شك في أن المجال كما قدمنا أمام رسالة الدين فسيح

وجدت فسيح . وعلى هذا ينبغي بل يجب على حاملي راياته أن لا يسلموا في شيء
لمعاشر أرباب الدعوات الخاطئة بل يعلنوها كما أعلنها غيرهم ، لا مصانعة فيها ولا
رياء ، فذلك جوهر الدين ولباب الإيمان به . ولقد كانت هؤلاء ، وما زالوا ،
ولا يزالون يشنونها على ديننا الغارة تلو الغارة ..

فإلى متى السكوت ؟؟

وما هي الحصيلة الناتجة لنا من وراء ذلك ؟؟

والله من وراء القصد وهو حسي ونعم الوكيل .

مراجع الكتاب

لقد تحررت من المراجع الأكثر ثبوتا في التاريخ مع دراستها وتسلط الضوء عليها من الواقع الملموس والمشاهد التي عاصرتها طيلة ثماني سنوات عشتها في التدريس الرسمي والشعبي ، ونثبت هنا أهمها :

- الحكم والسياسة في إفريقيا للدكتور عبد الملك عوده
- مجموعة اللطائف لسنيتها الرابعة ص ٤٦٦ في ٢٠ يناير ١٨٩٠
- كتاب (تاريخ استعمار إفريقيا) سير هاري جنستون
- « (الادريسي في الجغرافيا ، والبكري في التاريخ ، وابن بطوطة في الرحلات .
- « آسيا والسيطرة الأوروبية للكاتب سردار بانيكار لندن ١٩٥٥
- حاضر العالم الاسلامي للأمير شكيب أرسلان
- دائرة المعارف البريطانية
- كتاب (نقطة تاريخية حديثة) صدر عن حكومة ليبيا بعد الاستقلال
- « (سرّ توسع أوربا الدولي) للدكتور رمزي مايور
- « (تاريخ إفريقيا) دوند أوليفر - جون فيج
- « (إفريقيا وصحوة الأسد) للمؤلف « جاك ووديس »

- كتاب (في داخل افريقيا) للمؤلف جون جنتر - لندن ١٩٥٥
- « (الاستعمار والسياسة الدولية) باركرمون
- « (عمان تاريخ يتكلم) تأليف : محمد عبد الله السالمي - حاجي عساف
- مجلة « مجد افريقيا » ١٩٥٥ وما بعدها
- كتاب (تاريخ شرق افريقيا) للكاتب : « كانتيلال - د. باتيل ١٩٦٤ م
- نيروبي » .

إضافة إلى مطالعات في الصحف الافريقية المحلية والخارجية وغير ذلك مما ورد ذكره في تضاعيف صفحات هذه الحقائق واتصالات شخصية ، مع بعض رجال علم الآثار وأهرون من رجال التاريخ - شاكرأ للجميع تعاونهم وتقديم المراجعات التي ساعدت على إخراج هذه الحقائق التي آمل أن تكون فاتحة جديدة لكتابة التاريخ الحق في تلك البقاع ..

الصفحة

٥	المقدمة
١٣	تهديد وتوطئة
١٩	فترة الكشف الجغرافية
٢١	العرب في الشرق الافريقي قبل الاسلام
٢٣	حفريات تكشف حضارة عربية إسلامية
٢٤	الإسلام في القارة
٢٥	لم ظل التمر كز العربي في الساحل ؟
٢٧	مصدر انتشار الاسلام
٣٢	المنطقة الاستوائية ومعرفة العرب بها
٣٨	العالم العربي في إفريقيا
٤٤	متى بدأ الغزو الأوربي للقارة ؟ وما هي أغراضه ؟ وكيف انتهى ؟
٥١	الغزو الأوربي لسلطين العرب
٥٢	الغزو البرتغالي الأول
٥٣	الغزو الألماني
٥٦	الغزو البريطاني وقيامه بفرض الإمبراطورية على الشعوب الافريقية
٦٤	قوة الكيان الافريقي
٦٥	بروز فجر الكيان الافريقي
٧٠	استقلال دول شرقي افريقيا : (كينيا) (يوغندا) (تنزانيا)
٧٣	معلومات عامة عن الشرق الافريقي
٧٧	مسيرة الاسلام في يوغندا
١٠٠	لجنينا
١٠٣	لهدا تاريخية عن الأدوار التي مرب بتنجيقا

١٠٧	زنجبار الإسلامية - دخول الاسلام اليها
١٠٨	استخلاص حقائق !!
١٠٩	مشكلة توحيد المسلمين هناك مشكلة وجودهم
١١٢	عودة إلى بدء
١١٧	دخول الحكم العثماني العربي إلى زنجبار - متى وكيف بدأ ؟ وما هي حوافزه ؟ وكيف انتهى ؟ وما أسباب ذلك ؟
١٢٣	جدول تاريخي لسلطين زنجبار وحقائقهم
١٢٨	نشاط حركة التأليف الغربي حول تاريخ إفريقيا
١٣٢	بشاعة تاريخ الاستعمار الغربي لإفريقيا
١٣٨	تسليم الدور للكنائس والبعثات التبشيرية !
١٤٠	كتب استعمارية في إفريقيا تنتقص الاسلام ونبيه
١٤٤	ما أحدثته المؤلفات الغربية من تأثير سيء !
١٤٩	حقائق لا بد أن تعرف !
١٥١	علاقة العالم العربي والإسلامي بإفريقيا
١٥٧	التعليم الاسلامي في ماضيه وحاضره
١٦١	ركب دعاة الإسلام وفعالية الجمعيات الإسلامية للدعوة
١٧٣	اصالة المسجد في الشرق الافريقي ودوره في الأخذ بحياة المسلم
١٧٦	بناء المساجد
١٧٧	وظيفة المسجد في الشرق الافريقي
١٧٩	الأقليات الإسلامية في إفريقيا
١٨٠	مفاهيم الأقليات الإسلامية
١٨٢	الأخطار المحدقة بالإسلام
١٨٤	ما يجب أن يؤخذ به تجاه هذه الأخطار
١٩٣	مراجع الكتاب
١٩٥	فهرست المواضيع

● هذا الكتاب بما اشتمل عليه من حقائق مستمدة من مصادر أصيلة ومن بعض ما لم أكن أعرف عن أفريقيا، وخاصة المصادر الأجنبية قد عرفت منه الكثير القسم الذي خصه بالذكر في عنوان كتابه وهو : أفريقيا الشرقية .

● وهذا القسم هو الذي يشمل الجمهوريات (كينيا ، وبوغندا ، وتنجانيقا) . والمؤلف قد أتبع له المقام هناك لسنوات ، استطاع أن يدرس هذه الأجزاء من أفريقيا دراسة واعية ودقيقة أثمرت هذا الكتاب القيم، ولعله أول كتاب في اللغة العربية يوضع بمثل هذه الدقة . وهذا الشمل .

● ولقد تناول المؤلف دراسة الكشف الجغرافية، وهي التي قام بها الاستعمار في أفريقيا وما تمخض عن ذلك من أحداث، كما تحدث عن الغزو الأوروبي لسلطنات العرب في أفريقيا الشرقية بأنواعه الثلاثة : البرتغالي والاماني ثم البريطاني .

● ومن الفصول المهمة في الكتاب حديثه عن الرقيق . . والدور الذي قام به المستعمر في ممارسته لتجارة الرقيق .

من كلمة التقديم

للاستاذ محمد سعيد العامودي